د. منتصر أمين عبد الرحيم

# بحوث مصطلحية

الإنحاء ومكانة التغير اللغوي في المعجم التاريخي
المصطلحات اللسانية في المعاجم العربية
المعجم الثنائي اللغة في التراث العربي
مصطلحات التصحيح الزائف في نصوص العربية الوسيطة
المصطلحات اللغوية في كتاب العين قراءة في ثلاثة فهارس

دراسات منشورة في مجلة اللسان العربي

# الإنحاء ومكانة التّغيُّر اللُّغويّ
# في المعجم التّاريخيّ للُّغة العربيّة

د. منتصر أَمين عبد الرّحيم
جامعة الطّائف-السعودية

**مقدمة**

لما كان «التَّغيُّر» سمة عامّة، لكل لُغة منه نصيب يزيد وينقص، فقد استدعت مقاربته البحث عن جهاز تفسيريّ يُخضِع التَّغيُّرات المختلفة الَّتي تصيب أَلفاظ اللُّغة وتراكيبها ودلالاتها ووظائفها لقوانين تحكمها وتبرر أَحوالها ومصائرها، ومما لا شك فيه أَنَّ صناعة معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة -يتعقب تغيّرات أَلفاظها وتراكيبها ومعانيها في مراحلها الزَّمانيّة وبقاعها المكانيّة المختلفة - تتطلّب باتفاق المعجميّين المختصين توجيه العناية إلى الدِّراسات اللِّسانيّة التَّاريخيّة لاسيما الَّتي تهتم بدراسة التَّغيُّر اللُّغويّ وتحاول الوصول إِلى الأَسباب (اللُّغويّة وغير اللُّغويّة) الَّتي تقف وراء تلك التَّغيُّرات؛ ذلك أَنَّ أَغلب الخطط الموضوعة من أَجل بناء المعجم المنشود لم تقدم حديثًا مفصلًا حول ظاهرة التَّغيُّر اللُّغويّ، يقول الدُّكتور عَلي القاسميّ: "إِنَّ كتاباتنا الرَّاهنة عن صناعة المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة لا تتناول قضية التَّغيُّر اللُّغويّ بصورة وافية، وتغفل ضرورة أَنْ يزودنا المعجم التَّاريخيّ بالأَسباب الَّتي أَدت إِلى وقوع التَّغيُّر في مبنى اللّفظ أَو معناه أَو استعماله، والقوانين العلميّة الَّتي تحكم ذلك التَّغيُّر[1]، ولعل التّأكيد على تضمُّن المعجم التَّاريخيّ المنشود معلومات حول أَسباب التَّغيُّر

---

(1) دراسة علي القاسميّ: معالجة قوانين التّغير اللُّغويّ في المعجم التّاريخيّ، ص. 182. ضمن كتاب المعجم التاريخي للغة العربية: رؤى وملامح، إعداد منتصر أمين عبد الرحيم، ود. خالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، 2016 ص. 159- 196.

اللُّغويّ والقوانين الَّتي يلبيها أَو تضبطه هو تأكيد على الوظيفة التَّفسيريّة أَو قل الجانب التَّبريريّ من هذا المعجم حيث "تتمثّل وظيفته الأَساس بإِبراز مراحل التَّطوُّر الشَّكليّ والدِّلاليّ وتبريرها"[(2)]؛ ومن ثَمَّ كانت حاجة المعجم إِلى دراسات لِسانيّة تاريخيّة تستطيع أَنْ تقدّم له ظواهر التَّغيُّر اللُّغويّ المختلفة مدعومة بالجهاز المفاهيميّ والاصطلاحيّ الَّذي يمكّنه من تبرير مثل تلك الظّواهر.

## الإِنحاء: المفهوم والمصطلح

لقد أَشارت الخطة الَّتي وضعها القاسميّ للمعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة إِلى مبحث مهم من مباحث اللِّسانيّات التَّاريخيّة يتصل بصورة أَساسيّة بدراسة التَّغيُّر الَّذي يطرأ على نوع المفردات اللُّغويّة أَطلق عليه "**إِضفاء النَّحويّة**"، "فالمفردات في اللُّغة تُقسّم إِلى مفردات معجميّة تحمل معنى كاملًا مستقلًا مثل: (كرسي)، (رجل)، (سماء)، ومفردات نحويّة، لا تحمل مضمونًا خارجيًّا بل مضمونًا قواعديًّا مثل: (أَل)، (قد)، (قط)، ويدرس «**إِضفاء النَّحويّة**» تحوّل الصَّرفيّات المعجميّة إِلى صرفيّات نحويّة خلال حقبة معينة من الزّمن»[(3)]. وأَظن هنا أَنَّ القاسميّ قدّم "**إِضفاء النَّحويّة**" - ربما بناء على ما ورد في المعجم الموحَّد لمصطلحات اللِّسانيّات - مقابلًا عربيًّا لمصطلح "الإِنحاء"

(2) عبد الرّزاق بنور 2014: التّلازم الدّلاليّ والتّرسيس، ضمن كتاب «نحو معجم تاريخيّ للّغة العربيّة»، الدّوحة: المركز العربيّ للأَبحاث ودراسة السّياسات، الطّبعة الأُولى، ص114. وقد ضرب الباحث عدة نماذج من المعاجم التّاريخيّة السّابقة تؤكد على الوظيفة التّبريريّة للمعجم، فذكرت أَنَّ المعجم التّاريخيّ الفرنسيّ «لم يكتف بعرض فعل voler باعتباره من المشترك اللّفظيّ كما عرضه معجم الأَكاديميّة الفرنسيّة بمدخلين، أَحدهما بمعنى «سرق» والثّاني بمعنى «طار»، أَو متعدد الدّلالات كما تقدّمه المعاجم اللّغويّة الأُخرى ... **بلْ فسّر بالتّفصيل كيف انتقل فعل voler من ميدان الصّيد والقنص بالبازي إِلى ميدان السّطو والسّلب**، ولم يكتف المعجم التّاريخيّ الإِنجليزيّ OED بعرض معاني Bit بحسب ظهورها واستعمالاتها، بل **بيّن كيف تولّد معنى الجزء a bit من معنى القضم to bite**. انظر: المرجع نفسه، ص119.

(3) علي القاسميّ: صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، مكتبة لُبنان ناشرون، بيروت، الطّبعة الأُولى، 2014، ص75.

(Grammaticalization)[4]، فحديثه دالّ بوضوح على أنّه مجال بحثيّ يدرس التّغيّر الّذي يطرأ على نوع المفردات بصفة عامّة أو تحوّل الصّرفيّات المعجميّة إلى صرفيّات نحويّة بصفة خاصّة، وأنّه من الأهمية بمكان أنْ يرصد المعجم المنشود هذه التّحوُّلات بعد أنْ تخضع مقاربتها لبحث لِسانيّ يعي التّضمينات النّظريّة الّتي يقوم عليها الإنحاء وأهم المبادئ الّتي يتأسس عليها وتتحكم في مساراته؛ لذا وجدتُ من الواجب أنْ يعرّف بحثي هذا بذاكم المجال الجديد نسبيًّا في سياق اللّسانيّات العربيّة؛ أُسسه ومبادئه وفرضيّاته، وأنْ يشير إلى بعض الأمثلة العربيّة الّتي ينطبق عليها، وأنْ يبيّن علاقته بالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة في محاولة تمهيديّة متواضعة يمكن استثمارها فيما بعد بصيغة أفضل اتساقًا وأشد تناسقًا.

بداية أود الإشارة إلى أنَّ "الإنحاء" يشير إلى تحوّل المفردة من المعجميّة إلى النّحويّة (وهو ما تعبر عنه بعض الدّراسات بالمصطلح Grammation[5])، ويشير أيضًا إلى تحوّل المفردة من درجة نحويّة معينة إلى درجة أعلى (ويشار إلى هذا بالمصطلح Regrammation[6])؛ ومن ثمَّ تمَّ تفريع الإنحاء إلى صِنفين هما:

---

(4) انظر مكتب تنسيق التّعريب 2002: المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيّات، ص 64 المصطلح رقم 698، حيث ذكر تعريفه التّالي: «تغيّر صنف المقولة، في اللّسانيّات الزّمنيّة، حين تتحوّل صرفيّة معجميّة إلى صرفيّة نحويّة خلال تطوّر لُغة معينة». والحقيقة أنَّ لهذا المصطلح عدة بدائل لم يذكرها المعجم منها (Grammacization) و(Grammatization) وهي ترتبط باعتبارات نظريّة مختلفة، ولكنَّ مصطلح Grammaticalization أوسع انتشارًا واستعمالًا في هذا السّياق بعيدًا عن هذه الاعتبارات.

(5) ويقصد به ذلك التّغير الّذي يحمل بمقتضاه التّعبير مضمونًا نحويًّا، وذلك قياسًا على مصطلح ياكبسون Phonologization :Jakobson, 1931 حيث يتحول الصّوت وفق هذا التّصور إلى جزء فونيميّ في الجدول الفونولوجيّ. انظر:

Henning Andersen 2008: Grammaticalization in a Speaker-Oriented Theory of Change. p.19 in Þórhallur Eyþórsson 2008: Grammatical Change and Linguistic Theory. Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins.

(6) ويقصد به ذلك التّغير الّذي يكتسب به التّعبير النّحويّ مضمونًا نحويًّا مختلفًا. وذلك قياسًا على مصطلح ياكبسون Rephonolgization حيث يغير نمط صوتيّ معيَّن علاقته بالفونيمات؛ وبذلك يتحول من جدول فونولوجي إلى آخر مختلف. انظر: Henning Andersen 2008: Op. cit. p.21, 19

"الإنحاء الرّئيسيّ" (Primary Grammaticalization) وهو التّغيُّر من عنصر معجميّ إلى عنصر نحويّ، و"الإنحاء الثّانويّ" (Secondary Grammaticalization) وهو التّغيُّر من عنصر نحويّ إلى عنصر أكثر نحويّة، وهذا هو التّقسيم الّذي أفادته تروجت (Elizabeth C. Traugott) (سنة 2002)(7) من التّعريف الشّهير الّذي قدّمه كوريولفتز (Jerzy Kurylowicz) (سنة 1965) للإنحاء ومؤداه أنّه "تغيُّر مرحليّ تدريجيّ تكتسي به الوحدات المعجميّة والتّراكيب اللُّغويّة وظائف نحويّة، وبه أيضًا تصير الصّيغ الأقل نحويّة أكثر نحويّة"(8)، وقد تبنى هذا التّقسيم عدة باحثين منهم موريل نورد (Muriel Norde)(سنة 2012)(9) .

إنّ "الإنحاء" (Grammaticalization) بصفته إطارًا بحثيًّا يشير إلى جانب من جوانب دراسة تغيّر اللُّغة غايته تفسير كيفية أداء العناصر المعجميّة أو البنى التّركيبيّة لوظائف نحويّة في سياقات لُغويّة معينة، وتعليل الكيفيّة الّتي تتطوّر بها العناصر النّحويّة تطوّرًا يمنحها الوسيلة لأداء وظائف نحويّة جديدة، أمّا بصفته مصطلحًا على ظاهرة لُغويّة فيشير إلى المراحل الّتي تمرُّ بها العناصر اللُّغويّة حتى تصير أكثر نحويّة(10)، وإذا كان الإنحاء مرتبطًا بنحويّة العناصر فإنّ دراسته تنطوي - كما سنرى في ثنايا البحث - على مقاربة عدة أصناف من التّغيُّرات الصّوتيّة والصّرفيّة والتّركيبيّة والدّلاليّة، وهو مصطلح فرنسيّ الأصل (Grammaticalisation)(11) يعود إلى دراسة أنطوان مايه (Antoine Meillet) سنة 1912 الّتي عنونها بـ "تطوّر الأشكال

(7) see Elizabeth C. Traugott 2002: From Etymology to Historical Pragmatics. p.26f. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.

(8) Jerzy Kurylowicz 1975: Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories) p.52. Munich: Wilhelm Fink.

(9) Muriel Norde 2012: Lehmann's Parameters Revisited. p.73. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins

(10) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: Grammaticalization. 2nd ed. p.1-2. Cambridge: Cambridge University Press.

(11) see Antoine Meillet (Ed.) 1948: Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales) p.133. Paris: Champion

النَّحويّة" (L'évolution des formes grammaticales)، والثَّابت أَنَّ "مايبه" لم يقدّم تعريفًا لهذا المصطلح إنَّما اكتفى فقط بوضعه بين مزدوجين، لكنَّ دلالته على منح كلمة مستقلة سِمة نحويّة(12) كانت واضحة في هذه الدِّراسة.

**نبذة تاريخيّة**

وفي سبيل التَّأريخ لأُس هذا المصطلح هناك مَن يرى أَنَّ المفهوم أَو الفكرة الأَساسيّة الَّتي يقوم عليها المصطلح تعود إلى فترة أَقدم من تاريخ ظهوره لدى "مايبه"، وهناك مَن يرى أَنَّه ظهر في الصّين في القرن العاشر الميلاديّ، ومنهم مَن ينسبه إلى اليونانيّين، كذلك نهضت عدة دراسات تستتبع هذا المفهوم في الدّرس اللِّسانيّ الغربيّ السّابق على ظهور المصطلح في فرنسا. فيرى أوستن دال (Östen Dahl) أَنَّه "على الرّغم من تصاعد الاهتمام بهذا المفهوم لدى اللّغويين في نهايات القرن العشرين، فقد جرت دراسته في القرن التّاسع عشر على نطاق متسع بوصفه ظاهرة تحت مسمى نظرية الإلصاق Agglutination Theory"(13)، وهي النّظرية الّتي قدّمها فرانز بوب (Franz Bopp) وقام بتعديلها ومراجعتها «وليام دويت وايتني (W. D. Whitney)(14). أمّا عن التّراث النَّحويّ العربيّ فيرى كرستيان ليمان (Christian Lehmaan) أَنَّه على الرُّغم من تعامل النَّحو العربيّ مع التّصريف وبناء الكلمات فإنَّ بحثه – كما أكد جوناثان أونز (Jonathan Owens)– كان درسًا آنيًّا؛ وبالتّالي لم يحرز تطوّرًا فيما يتعلق بالإنحاء(15)، ومن اللّافت أنَّ "ليمان" يستشهد -في الوقت نفسه- بنص اقتبسه جدعون جولدنبرج (Gideon Goldenberg) عن

(12) see Christian Lehmaan 2015: Thoughts on Grammaticalization. 3rd Ed. Berlin: Language Science Press. p.5.

(13) Östen Dahl 2004: The Growth and Maintenance of Linguistic Complexity. p.119. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

(14) see Stephen G. Alter 2001 : The Linguistic Legacy of William Dwight Whitney. p.1926. in Sylvain Auroux et al. (Eds.): History of the Language Sciences. Vol.2. pp.1923-31. Berlin, New York: Walter de Gruyter.

(15) Christian Lehmaan 2011: Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (29): 9-26. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf. p.1

الزّجاجيّ (في كتابه الإيضاح) رأى فيه ليهان دليلًا على نظريّة غير مكتملة في النّحو العربيّ حول "الإنحاء"، يقول الزّجاجيّ: "إنّ الفعل لما كان لا يخلو من الفاعل ولا يستغني عنه ضرورة، ثمّ اتصل به مُضمر صار كبعض حروفه، وصارت الجملة كلمة واحدة"(16). ويرى ليهان أنّ اللّسانيّات السّاميّة الغربيّة لم تتأخر كثيرًا في إدراك مفهوم الإنحاء، ودلّل على هذا بكتاب كارل بروكلمان "الأساس في النّحو المقارن للّغات السّاميّة Grundriß der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen" الصّادر سنة 1908م حيث كان مفهوم الإنحاء حاضرًا في مقاربة «بروكلمان»، بل يذهب «ليهان» أبعد من هذا، فيرى أنّ معالجة «بروكلمان» لحروف الجر افترضت ما يطلق عليه الآن مسارًا إنحائيًّا يتكون من أربع مراحل، وأنّه استعمل في وصف هذه المراحل مفاهيم وصفيّة أساسيّة هي: فقد المحتوى الدّلاليّ (من المرحلة الأولى إلى الثّانية)، و"التّحجر" (fossilization) (من المرحلة الثّانية إلى الثّالثة)، والتّقلص إلى وظيفة نحويّة خالصة (في المرحلة من الثّالثة إلى الرّابعة)، أمّا الأسماء الّتي تمثّل المرحلة الأولى فهي عادة ما تكون دالة على أعضاء جسم الإنسان(17).

ولقد شغلت دراسة الإنحاء في اللّغات السّاميّة لاسيما الأكاديّة والعبريّة عددًا غير قليل من الباحثين المعاصرين أمثال جيفون (Talmy Givon) 1991،

(16) الزّجاجيّ (أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق ت 337هـ): الإيضاح في عِلل النّحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النّفائس، الطّبعة الثّالثة، ص75. وقد جاء هذا القول في معرض حديث الزّجاجيّ عن حكم إعراب الأفعال (الأمثال) الخمسة بالحروف، يقول: «فإنْ قال قائل: فلمَ جاز أنْ يجيء إعراب الفعل المستقبل بعد الفاعل في قولك: الزّيدان يقومان، والزّيدون يقومون، وما أشبه ذلك؟ فقد جاءت علامة رفع الفعل بعد الفاعل وهي ثبات النّون، وكذلك النّصب والجزم، لأنّها بحذف النّون، وهي بعد الفاعل، أفيجوز أنْ يكون إعراب شيء موجودًا في غيره وكون ذلك الشّيء معربًا؟ قيل له: إنّ الفعل لما كان لا يخلو من الفاعل ولا يستغني عنه ضرورة، ثمّ اتصل به مُضمر صار كبعض حروفه، وصارت الجملة كلمة واحدة؛ فجاز لذلك وقوع الإعراب بعد ضمير الفاعل لما صارت الكلمة كلمة واحدة، والدّليل على ذلك إسكان لام الفعل في قولك: فعلْت، أُسكنت اللّام لئلا تتوالى في كلمة واحدة أربع متحركات».

(17) adapted from Christian Lehmaan 2011: op. cit., p.2.

وروبا (Jo. Rubba) 1994، وسيمون-سنل (Marie-Claude Simeone-Senelle) وفانهوف (Martine Vanhove) 1997، وكوفنبرج (N. J. C. Kouwenberg) 1997، وفوجت (Rainer Voigt) 1999، وتوزعت اهتمامات هذه الدِّراسات على موضوعات منها: الأَفعال النَّاقصة، وحروف الجر، والمصدر، والأَسماء الموصولة، وتضعيف بعض الأَفعال[18].

فهذه الدِّراسات الَّتي تهتم ببحث الإِنحاء في اللُّغات السّاميّة تؤكد من ناحية فاعليّة الإِنحاء في فهم الأَنظمة النَّحويّة لمثل هذه اللُّغات، وهذا له كبير الأَثر في إِدراك كيفية تطوّر النّظام النَّحويّ في العربيّة؛ ذلك أَنَّ مقاربة عملية الإِنحاء في عدد من المجالات النَّحويّة المختلفة وكذا في عدد من اللُّغات المتنوعة تفترض أَنَّ «العموميّات الحقيقيّة للُّغة هي عموميّات التَّغيُّر، وأَنَّ هذه العموميّات يمكن النّظر إِليها على أَنَّها تمثّل مسارات من التَّغيُّر، وأَنّنا في سبيل فهم النَّحو والقواعد بصورة تامة لابد أَنْ ننظر من خلال هذه المسارات إِلى الآليَّات الفعليّة المسببة للتّغيُّر عندها نحاول فهم هذه الآليَّات عبر سيرورات تفاعليّة ومعرفيّة أَساسيّة، فإِذا نجحنا في هذا بدأنا فهم كيف تبني اللُّغة قواعدها»[19]. كذلك أَعتقد أَنَّ هذه الدِّراسات من ناحية أُخرى يمكن أَنْ تضع أَيدي صناع المعجم التَّاريخيّ على معلومات مهمة حول المداخل "النَّحويّة أَو المعجميّة الّتي تطوّرت عنها وفق عمليات الإِنحاء المختلفة" وحول توزيعها (كمداخل رئيسة أَو فرعيّة) وحول تعريفها أَيضًا، فدراسات اللُّغات العرُوبيّة (السّاميّة الحاميّة) من المصادر المهمة بالنّسبة إِلى المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة[20].

وما أَود الإِشارة إِليه هنا أَنَّ مفهوم الإِنحاء كان حاضرًا لدى النُّحاة العرب؛ وعليه فإِنَّ حديث ليمان السّابق عن أَنَّ النَّحو العربيّ لم يستطع الإمساك

(18) see Aaron David Rubin 2004: Studies in Semitic Grammaticalization. p.10. PhD Thesis. Harvard University.

(19) adapted from Joan Bybee 2003: Cognitive Processes in Grammaticalization. P.151. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of Language. Vol.2. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc. 145-167

(20) انظر علي القاسميّ، مرجع سابق 2014 ، ص293.

بمفهوم الإنحاء يحتاج في سبيل تأكيده أو تفنيده إلى مزيد من البحث والتّقصي، فإذا كان بروكلمان في مقاربته المقارنة لأنحاء اللّغات السّاميّة قد فطن إلى مفهوم الإنحاء وغاب عنه مصطلحه كما صرّح بذلك ليمان، فإنّ أبا حيّان الأندلسيّ في محاولته الرّائدة تطبيق القواعد النّحويّة العربيّة على اللّغة التّركيّة[21] (الّتي لم تخل من مواضع عديدة قارن فيها بين اللّغتين) لم يغب عنه أيضًا مفهوم الإنحاء وإنْ لم يسمِّه شأنه في هذا شأن بروكلمان، يقول أبو حيّان: "وتقول في معنى: أقام سنجر أم سنقر؟: (سنجر مو طردو يا سنقر)، ويقال: (سنجرمى طردى يق سا سنقر)، وصار هذا الكلام يعطي معنى: أقام سنجر أم سنقر؟، و(يُق) **أصله اسم بمعنى معدوم، والدّليل على ذلك الإضافة إليه، يقولون في معنى فقير: (يُقلو)؛ أي: ذو معدوم، والإضافة من خواص الأسماء، ثُمَّ استعملت (يُق) استعمال (لا) النّافية**، و(سا) معناه (إنْ) وهو حرف للشّرط فكأنّه قال: أقام سنجر لا إنْ سنقر، ويعطي معنى: أم سنقر[22]، ويزيد أبو حيّان فيقول: "و(يُق) بمعنى (لا) وقد تقدّم أنّ (يُق) اسم والاستدلال على ذلك، **وإنْ كان قد أُستعمل بمعنى (لا) لأنّه بمعنى معدوم، فقد توافق معنى (لا) ومعنى معدوم**"[23].

إنّ إشارة أبي حيّان الأندلسيّ إلى تحوّل (يُق) في اللّغة التّركيّة المنطوقة من الاسميّة إلى الحرفيّة، وفقدها المعنى الّذي كان لها بالاسميّة (معدوم)، وتطوّرها لتصير أداة نفي عامّة (=لا)، وتفسيره لهذا التّحوّل بالتماس جامع دلاليّ بين (يُق) و(لا) النّافية، كل هذا دليلٌ واضحٌ على وجود مفهوم "الإنحاء" في التّراث النّحو العربيّ (المقارن) عند "أبي حيّان الأندلسيّ" وإنْ غابت عنه تسمية هذه الظّاهرة، كذا لا أعتقد أنّ أحدًا ممن يهتمون بمقاربة الإنحاء ينكر أنْ يكون حديث "ابن جني" التّالي إشارة إليه وشاهدًا عليه، قال: "ومن ذلك أنّه لما **اطّردت** إضافة أسماء الزّمان إلى الفعل نحو: قمتُ يومَ قمتَ، وأجلسُ حينَ

(21) see C. H. M. Versteegh 2006: Arabic Linguistics Tradition. p.438. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.1: 434-40. Amsterdam: Elsevier

(22) أبو حيّان الأندلسيّ712 هـ: الإدراك للّسان الأتراك، مطبعة عامره، 1309، ص204.

(23) أبو حيّان الأندلسيّ712 هـ: المرجع السّابق، ص212.

تَجلسَ، شبهوا ظرف المكان بها في (حيث)، فتدّرجوا من (حين) إلى (حيث) فقالوا: قمتُ حيثُ قمتَ"(24)، ويمكنني أنْ أُضيف في هذا السّياق ما توصلت إليه دراسة ثُريا عامِر من أنَّ "المتفحص لما قيل في الأَفعال النّاقصة في كتب التّراث [يخرج] بنقاط التقاء عديدة لما تمّ ضبطه من مبادئ الإِنحاء"(25)، وبصرف النّظر عن تاريخ مفهوم الإِنحاء فقد رأى فيه بعض اللِّسانيّين المعاصرين إِمكانية لطرح إِطار تفسيريّ لدراسة عموميّات اللّغة وبعدها الطّوبولوجي، ورأى فيه آخرون مقاربة بديلة لبنية اللّغة الّتي تمَّ وصفها وتحليلها في الأَنحاء الشّكليّة الآنيّة(26).

## الإِنحاء والمعجم التَّاريخيّ للُّغة

أَمَّا عن علاقة الإِنحاء بالدّرس المعجميّ بعامّة والمعجم التَّاريخيّ للُّغة بخاصّة فتتمثّل من وجهة نظري في إمكانية أَنْ تقدم البحوث المتعلقة بالإِنحاء وظواهره المختلفة في اللُّغة العربيّة صورة مفصّلة عن تطوّر أَلفاظ اللُّغة على البعدين الآنيّ والتَّاريخيّ؛ فآنيًّا يقارب الإِنحاء الاستعمالات المتعددة لصيغة أَو تركيب مفرد في فترة زمنيّة معينة ويبيّن درجة إِنحائها، وتاريخيًّا يلقي الضّوء على الدّورة التّطوريّة لصيغة معينة وتحوّلاتها المختلفة داخل اللُّغة(27). أَضف إِلى هذا أَنَّ الإِنحاء يتضمَّن مجموعة من الآليَّات كل واحدة منها تعدُّ تطوُّرًا وتغيُّرًا في حد ذاتها؛ بمعنى أَنَّ الإِنحاء عملية تطوُّر مركبة تتضمن عدة تغيُّرات منها التَّغيُّر الصّوتيّ والتَّغيُّر الدِّلاليّ والتَّغيُّر النَّحويّ والتّركيبيّ، فإِذا نظرنا إلى التَّأريخ

(24) ابن جنيّ (أَبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت 392هـ) : الخصائص، تحقيق عبد الكريم بن محمد، القاهرة، المكتبة التّوفيقيّة، د.ت، المجلد الثّاني، ص12.

(25) ثُريا السّكريّ عَامِر، ظاهرة الإِنحاء في اللُّغة العربيّة: الفعل النّاقص نموذجًا، تونس: كلية الآداب والفنون والإنسانيّات، تصدير الأَزهر الزّناد 2009، ص95، وانظر لمزيد من التّفصيل الباب الأَول من هذه الدّراسة ص 93-110.

(26) after Paul J. Hopper 1996: Some Recent Trends in Grammaticalisation. p.217. Annual Review of Anthropology, vol.25:217-36

(27) after Mohssen Esseesy 2007: Grammaticalization. p.191 in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (191-8) Leiden, Boston: Brill

المعجميّ بمعناه العميق والشّامل الَّذي أَلمح إِليه الدُّكتور «الودغيريّ» – ممثّلًا من ناحية – في ملاحقة مسار الوحدات المعجميّة «في كل بيئاتها الَّتي تَقَلَّبَت فيها والمجالات والحقول الدِّلاليّة الَّتي انتقَلت منها وإِليها، وتسجيلُ كل الملاحظات الخاصّة بالتغيُّرات الَّتي طَرَأت على صِيَغها اللّفظيّة صوتًا وصرفًا، سواء في حالة انفرادِها وانعِزالها أَمْ في حالة انتِظامها مع غيرها وتَرْكيبها في جُمَلٍ وسلاسل كلاميّة، وممثَلًا – من ناحية أُخرى – في تتبع رحلة الكلمات من لُغة إِلى أُخرى[28]، فإِنَّ الدّرس الإِنحائيّ يضع أَمام عملية التّأَريخ هذه مجموعة من الحقائق المتعلقة بصور الأَلفاظ ودلالاتها وما طرأ عليها من تغيّر في مبناها ومعناها ووظائفها وتحوّلاتها سواء داخل اللُّغة أَو في لُغة أُخرى حيث أَصبح مفهوم الإنحاء ركنًا مهمًّا في دراسة الاحتكاك بين اللُّغات الَّتي تربط بينها علاقات معينة وأَثرًا شاهدًا على تاريخ تلك العلاقات[29].

فتطوُّر علامة المستقبل (السّين) عن (سوف) أو (السوف)، واستعمال (مَن) صلة وشرطًا، و(ذو) متبوعة بالاسم والفعل، و(ما) التّميميّة والحجازيّة،

---

(28) انظر دراسة د. عبد العلي الودغيري 2016: التّأريخ المعجميّ والتّطوّر اللّغويّ، ضمن كتاب المعجم التاريخي للغة العربية: رؤى وملامح، إعداد د. منتصر أمين عبد الرحيم، ود. خالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، ص. . وأَذكر هنا أَنَّ ديروي L. Deroy يعدّ من أَوائل الّذين اهتموا بفكرة «رحلة الكلمات» سنة 1956 في كتابه حول الاقتراض اللُّغويّ L'emprunt Linguistique، ولعل تتبع هذه الرّحلة لا يتوقف عند رصد انتقال الكلمات من لُغة إِلى أُخرى، بلْ تتبع عودتها إِلى لُغتها الأَصليّة مرة أُخرى في ثوب صياغيّ جديد، وهذا النّوع من الكلمات يُطلق عليه ديروي «الكلمات الرّحالة Mots Voyagers»، انظر د. عبد المنعم السّيد جُدامي 2016: المشكلات الثّقافيّة في معجم إِلياس بُقطُر، ضمن كتاب (المعجميّة العربيّة: قضايا وآفاق – الجزء الثّالث) إعداد وتنسيق د. منتصر أَمين عبد الرّحيم، ود. حافظ إِسماعيلي علوي، إِربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى، ص282، و307. ومما يستحق الذّكر هنا أَنَّ تتبع رحلة الكلمات ذهابًا وإِيابًا مثّل مظهرًا لافتًا من مظاهر المعجم التّاريخيّ للُّغة الفرنسيّة الّذي أَشرف عليه آلان راي A. Rey.

(29) لمزيد من أَبعاد تلك العلاقة بين الإِنحاء والاحتكاك اللُّغويّ انظر: Bernd Heine & Tania Kuteva 2005: Language Contact and Grammatical Change. p.1-21. Cambridge University Press.

وانتقال كلمة (**وسط**) من الاسميّة إلى الظّرفيّة، واستعمال (**جي**) تركيّة الأصل للنّسبة إلى صنعة أو للدّلالة على لزوم صفة معينة، واستعمال (**مرة**) للدّلالة على النّفي والتّكثير بمعنى (أبدًا) و(جدًّا) و(كثيرًا)، و(**بعد**) بمعنى (أيضًا وكذلك)، و(**يمّ**) بمعنى (جانب)، واستعمال (**أخذ**) بمعنى (بدأ)، كل هذه الأمثلة وغيرها تؤكد على أنَّ الإنحاء من المفاهيم المهمة الَّتي يجب أنْ نلتفت إليها وننوّه بها ونحن نتحدث عن معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة؛ وذلك لاتصاله الرَّاسخ بظاهرة التَّغيُّر اللُّغويّ. أضف إلى هذا أنَّ الإنحاء لا يعبر فقط عن تطوّر واحد في مرحلة زمنيّة واحدة إنَّما هو عدة تطوُّرات وتغيُّرات تصيب العناصر اللُّغويّة على فترات زمنيّة مختلفة متعاقبة، حيث يراد من المعجم التَّاريخيّ للُّغة أنْ يوثق جميع مظاهر هذه التَّغيُّرات اللّغويّة ومن بينها الصّيغ المنحَاة، فيُوضع أمام كل صيغة من هذه الصّيغ ما يشير إلى أنَّ معنى معينًا من معانيها ووظائفها المختلفة إنَّما هو نتيجة لنوع معين من الإنحاء، فتُوضَع الصّيغ تحت مداخلها الرَّئيسة ويتمّ الاتفاق على رمز محدد يشير إلى الإنحاء أو سبب تغيّرها. ولا ترى دراسة معمقة حول الإنحاء إلا وتجد أنَّها تحيل على معجم لُغتها موضع البحث لاسيما التَّاريخيّ كما هو الحال بالنّسبة إلى معجم أكسفورد التَّاريخيّ للُّغة الإنجليزيّة[31]، ويمكننا هنا الإفادة من المعاجم اللُّغويّة التّراثيّة وما تلاها من معاجم حتى عصرنا هذا في إثراء بحوث الإنحاء من خلال ما تمَّ رصده في هذه المعاجم من تغيّر في صور المفردات المعجميّة ووظائفها النَّحويّة وانتمائها المقوليّ، فلسان العرب لـ «ابن منظور» على سبيل المثال واحد من المعاجم المهمة في هذا السّياق لاسيما أنَّ حديثه عن المداخل المعجميّة - كما يرى أحمد العَلويّ - يضم أخبارًا عن معانيها واختلافًا في ذلك لا يفسر إلا بكونه بيانًا لتطوّر معنى المدخل زمانيًّا أو مكانيًّا. بغير هذا التّفسير لا ندرك معنى لاختلاف الكلمة الواحدة إلى أكثر من ثلاث دلالات، وأحيانًا لا نجد بين الدّلالات المختلفة رابطًا مجازيًّا بيّنًا، بل نجد اللّفظ

(31) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Languages of the World. p.217-8. Chicago and London: University of Chicago Press.

يدل على معان بينها روابط أُخرى لا يفسرها إلا التّطوُّر والإضافات الدلاليّة المتراكمة لأَسباب متجددة عند المستعملين[32]، وبدورها على بحوث الإِنحاء ودراساته أَنْ تقدّم قائمة بمجموعة الصّيغ العربيّة المنحَاة مع وصف لمراحل تغيّرها ومسارات إِنحائها كي يفيد منها واضعو المعجم التّاريخيّ للُّغة.

## مسار الإِنحاء وأُحادية الاتجاه

فلكل لفظ من الأَلفاظ المنحَاة رحلة تطوّر خاصّة يُشار إِليها بمسار الإِنحاء (Grammaticalization Path)، كما رأَينا سابقًا في وصف "بروكلمان" لتطوّر حروف الجر في اللُّغات السّاميّة، والغالب على هذا المسار أَو ذاك هو انتقال اللّفظ من المعجميّة إِلى النَّحويّة أَو من النَّحويّة إِلى درجة أَعلى منها، وهذا معناه أَنَّ هناك اتجاهًا أُحاديّ الوجهة (معجميّ < نحويّ[33])، وهو ما يصطلح عليه في الدّرس الإِنحائيّ بـ "أُحاديّة الاتجاه" (Unidirectionality) (واختصارها UD)، وهي فرضيّة تؤكد أَغلب دراسات الإِنحاء -رغم خلافات كثيرة لا داعي إِلى سردها هنا[34]- على أَنّها ركيزة أَساسيّة في نظريّة الإِنحاء[35]، وتقوم هذه

---

(32) انظر دراسة أَحمد العلويّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة وشروط قيامه، ضمن كتاب المعجم التاريخي للغة العربية: رؤى وملامح، إعداد منتصر أَمين عبد الرحيم، وخالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأُولى، 2016.

(33) يشير السّهم ( < ) في هذا البحث إِلى أَي صورة من صور التّطوّر التّاريخيّ لصيغة ما، ويُقرأ: تطوّرت أَو تغيّرت إِلى.

(34) لعرض مهم حول هذه الفرضيّة، انظر : Roger Lass 2000: Remarks on (Uni)dierctionality. pp.207-27. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company.

(35) لم تتفق الآراء حول ما إِذا كان الإِنحاء يشكّل نظرية أَم لا، ومن الرّؤى المبالغ فيها في هذا السّياق رؤية «فريدريك نيوماير»،انظر:

Frederick J. Newmeyer 1998: Language Form and Language Function. p.234-235. MIT Press .

وإِذا كان «نيوماير» يمثّل موقف التّيار التّوليديّ من دراسة الإِنحاء فسأَكتفي هنا برأي «بيبي Joan Lea Bybee» – من بين آراء أُخرى لا يتسع المقام لذكرها – فيما يخص هذا الموقف، فهي ترى أَنّ التّوليديّين ينظرون بخصوص هذه الظّاهرة إِلى جوانب قليلة (تغيرات المقولة) تاركين بعض الجوانب الأُخرى الّتي تشكّلها وتؤثر فيها كـ(التّغيرات الصّوتيّة والدّلاليّة والتّداوليّة)، وترى أَيضًا أَنّ الغاية من وراء==

الفرضيّة -كما يوضح روجر لاس (Roger Lass)- على ثلاث نقاط أساسيّة؛ الأُولى: أَنَّ عمليات التَّغيُّر الصّرف-تركيبيّ تنطوي على مسارات أَو مُتصَلات تغيّر ذات نقاط تدرجيّة محددة، وأَنَّ المسار الرَّئيس هو التّحوّل من (المعجميّة <النَّحويّة) حيث تبدأ بكلمات معجميّة تنتهي بها رحلة التّطوُّر إلى مورفيمات صرفيّة، هذا بالإضافة إلى مسارات أُخرى تتضمَّن - على سبيل المثال - التّحوّل من (حر < مقيد)، النّقطة الثّانية: أَنَّ أَيّ حركة على هذه المسارات أَو المتصَلات هي تغير أُحاديّ الاتجاه، النّقطة الثّالثة والأَخيرة: وجود الكثير من الأَدلة التّطبيقيّة الَّتي تدعم هاتين النّقطتين (الأُولى والثّانية) يمكّن من القول إنَّ العناصر النَّحويّة الموجودة في جميع اللُّغات الطّبيعيّة ناتجة عن عناصر معجميّة أَو مشتقة منها[36] .

ويمكن أَنْ يُطلق على هذا المسار أَو ذاك "مسار النَّحويّة" (Grammaticality Pathway) ما دمنا سلمنا بفرضيّة أُحاديّة الاتجاه. وخلال هذه المسارات نَلمح تحركًا للعناصر من مصدر حسيّ إِلى هدف أَو عدة أَهداف مجردة عبر مجموعة متعددة من الوظائف المتتاليّة الَّتي يمكن أَنْ يؤديها العنصر خلال عملية التّطوّر أَو التَّغيُّر بحيث يعكس موقع الصّيغة على هذا المسار درجة نحويّتها، أَمَّا عن المواقع الدّقيقة لنقاط المسار فمن الصّعب تحديدها؛ إِذ ليس هناك حدود واضحة بين المقولات الَّتي يُمكن لها أَنْ تُشكّل مسار التّطوُّر[37]. ولعل واحدًا من أَهم المسارات النَّحويّة في هذا الإِطار هو المسار الَّذي وضعه بول هوبر (Hopper Paul J.) واليزابيث تروجت (Elizabeth C. Traugott) حيث يبدأ بكلمة

= وضع ما يسمى «المبادئ التّفسيريّة Explanatory Principles » هي الدّفع بالإِنحاء في اتجاه معين، هذا بالإِضافة إِلى أَنَّ عددًا غير قليل من الفرضيّات الأَساسيّة الَّتي يتبناها التّوليديّون لا تتماشى وحقائق كثيرة حول الإِنحاء. وللمزيد انظر:

Joan Bybee 2009: Grammaticization: Implications for a Theory of Language. p.346 In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. 345-355

(36) adapted from Roger Lass 2000: op. cit. p.207-8.

(37) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

ذات محتوى معجميّ تتطوّر من خلال الإنحاء إلى كلمة نحويّة، فمُتصِل، ثُمَّ لاصقة تصريفيّة، وذلك على الصّورة التّاليّة[38] :

Content Item > Grammatical Word > Clitic > Inflectional Affix

ووفقًا لفرضيّة أُحاديّة الاتجاه فإنَّه إذا انتقل عنصر معجميّ من نقطة إلى نقطة أُخرى داخل هذا المسار، فلا يمكن له العودة مرة أُخرى إلى واحدة من صيغه الأُول الَّتي كان عليها قبل عملية التّطوُّر أو الانتقال، ولكن هذا لا يمنع إمكانيّة أَنْ تبقى الصّيغة المنحَاة بجانب العنصر المعجميّ الأصليّ الَّذي تطوّرت عنه؛ ومن ثَمَّ يخضع هذا العنصر للتّغيُّر كغيره من العناصر، ويُطلق على هذه الظّاهرة "التّفرّع" (Divergence)[39]، وتتمثّل هذه الظّاهرة وفق ما طرحه محسن السِّيسيّ في تطوّر العلامة الدّالة على الزّمن المستقبل في العربيّة الفصحى المعاصرة[40]، وهي "السّين" في مثل: "ستظهر النّتيجة غدًا"، فهي من اسم "السّوف" بمعنى الأَماني في مثل قولهم: فلانٌ يقتاتُ السّوفَ[41]، وتستعمل مصدرًا مُضافًا في مثل ما ذكره سيبويه من شعر ابن مقبل: (لو ساوفتْنا بسوف من تجنُّبها *** سوفَ العيوف لراح الرَّكب قد قنعوا)، وذكر ابن منظور أَنَّهم "قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام"[42]، وأَحسب أَنَّ قولنا: (سَـ) صورة متطوّرة عن قولهم: (سَا يكون) بحذف العين واللّام معًا طلبًا للخفة، وعلى هذا فإِنَّ السّين وحدها "منحاة عن الاسم وقد فقدت علاماته (التّعريف والجر والإِضافة) وحالاته الإِعرابيّة وجانبًا كبيرًا من دلالته، وأَصبحت مجرد لاصقة مقصورة على صنف معين من الأَفعال تسبقه وتوجّه

(38) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.7.
(39) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.118.
(40) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

(41) ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، ت 711هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، (سوف) المجلد 9، ص164.

(42) ابن منظور، السّابق نفسه.

دلالته الزّمنيّة نحو المستقبل"(43)، وسواءٌ أكانت هذه السّين منحاة عن اسم أم عن فعل في رأي بعضهم - حيث ذكر «ابن منظور» عن «ابن جني» قوله عن "سوف": "هو حرف واشتقوا منه فعلًا فقالوا: سوَّفْتُ الرَّجل تسويفًا"(44) - فلا ينفي هذا الإنحاء الحاصل فيها، إنَّما يدعونا هذا -وبناء على شواهد من العربيّة ومعاجمها وقواعدها وآراء النّحاة العرب أنفسهم- إلى التَّفكير مرة بعد مرة في رسم مسارات إنحائيّة تستجيب -أولًا وقبل كل شيء- لمنطق العربيّة في التّطوّر، فإذا كانت اللُّغات جميعها تخضع للتّطوّر والتَّغيُّر، فإنَّها بلا شك تتفاضل في مظاهره ومساراته، وهذا لا ينفي بالطّبع وجود الكثير من أوجه التّشابه.

فالمتوقع وفق دراسة بيبي (Joan Bybee) وآخرين أنَّ أي عمليّة من عمليّات الإنحاء تبدأ بمعنى مصدر (Source Meaning) مشابه لمعنى آخر في لُغة أُخرى فمن المتوقع لهذه العملية أنْ تسلك المسار نفسه، وهو ما يُطلق عليه في هذه الدّراسة المسارات العامّة (Universal Paths)، ولكنَّ هذا التّوقع لا يمنع أمثلة خاصّة من الإنحاء(45)، إنَّ علاقة "السّين" هنا بالفعل "سوّف" أو بالاسم "السّوف" والأقوال الثّلاثة الّتي ذكرها ابن منظور (سو يكون، وسا يكون، وسف يكون) تدعمها ظاهرة "التّفرّع" لدى "هوبر" و"تروجت" أو ما اصطلح عليه "هين" (Bernd Heine) و"ريه" (Mechthild Reh) بالانقسام (Split)؛ أي وجود صيغتين لعنصر معين؛ الأُولى تمثّل حالة وضعه الأول، والثّانية هي حالته النّاشئة عن الإنحاء(46)، وأحسب أنَّ "الانقسام الوظيفيّ" (Functional Split)؛ أي وجود تطوّرين مختلفين لوحدة معينة داخل اللُّغة(47) توصيف مهم وغير مستبعد أيضًا في حالة "السّين" الدّالة على المستقبل. إنَّ حالة "السّين" هنا قريبة الشّبه بحالة "will" الإنجليزيّة، فالأخيرة مأخوذة عن

(43) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

(44) ابن منظور، مرجع سابق، ص164.

(45) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: op. cit., p.14-15.

(46) see Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. p.57. Hamburg : Helmut Buske

(47) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.57.

الأَلمانيّة بمعنى: يريد (want)، ثُمَّ فقدت جزءًا كبيرًا من هذا المعنى، وتمَّ إِنحاؤها لتصير علامة دالة على المستقبل تتقيّد بمواقع محددة داخل الجملة[48]. وإذا كانت "will" تتعرض لـ "تآكل صوتيّ" (Phonetic Erosion) – وهو أَيضًا مظهر من مظاهر الإِنحاء[49] – في مثل "she'll" فهذا يعود بنا إِلى قول ابن منظور: "قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأَبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام"، فحديث ابن منظور –من وجهة نظري– يموضع مثل هذه الصّيغ عند نقطة معينة من نقاط مسار إِنحاء "السّين"، وأَظن أَنَّ "الحذف" الَّذي تحدث عنه هنا معادل مصطلحيّ للتآكل الصّوتيّ الَّذي تتعرض له بعض الصّيغ المنحَاة.

وهنا أَقترح العودة إِلى معجم لسان العرب لـ«ابن منظور» وإِلى معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة لـ «أَحمد مختار عمر» كي ننظر في هذه "السّين" وموضعها في المعجمين، وتعريفها، وماذا يمكن أَنْ تقدّم دراسات الإِنحاء للمعجم اللُّغوي العربيّ عامّة والمعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة بخاصّة من خلال هذا المثال، فـ "السّين" في معجم لسان العرب وردت على النَّحو التّالي: "**حرف السّين المهملة**" "الصّاد والسّين والزّاي أَسليّة؛ لأَنَّ مبدأها من أَسلة اللِّسان، وهي مستدق طرف اللِّسان، وهذه الثّلاثة في حيز واحد، والسّين من الحروف المهموسة، ومخرج السّين بين مخرجي الصّاد والزّاي؛ قال الأَزهريّ: لا تأتلف الصّاد مع السّين ولا مع الزّاي في شيء من كلام العرب"[50].

وجاءت في معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كما يلي: **(2401– س)** «**س**[1] [كلمة وظيفيّة]: الحرف الثّاني عشر من حروف الهجاء، وهو صوت أَسنانيّ لثويّ، مهموس، ساكن، احتكاكيّ (رخو)، مُرقّق. س[2] [كلمة وظيفيّة]: 1– حرف يسبق الفعل المضارع المثبت دون المنفيّ فيخصصه للاستقبال، فيدل على

(48) after Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco 2007: A Glossary of Historical Linguistics. p.73. Edinburgh University Press.

(49) see Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.15.

(50) ابن منظور: مرجع سابق، المجلد السّادس، ص3.

المستقبل القريب، وقد يدل على المستقبل البعيد. 2- حرف غير عامل يفيد تكرار الفعل وتوكيده ...»[51]. إِنَّ ثمة اختلافات كثيرة بين المعجمين فيما يخص "السّين":

▪ تعامل لسان العرب معها على أَنَّها صوت من أصوات العربيّة؛ فبيّن مخرجها وعلاقاتها بغيرها من الأصوات وبعض صفاتها.

▪ لم يشر لسان العرب إِلى معنى السّين كحرف دالٍ على المستقبل يسبق الفعل المضارع المثبت كما فعل معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة.

▪ أَدرجها معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كلمة وظيفيّة لأَنَّها من حروف الهجاء؛ فبيّن موقعها من حروف الهجاء، وعدّد صفاتها الصّوتيّة.

▪ أَدرجها معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة كلمة وظيفيّة لأَنَّها مما اكتسب دلالة جديدة غير دلالته اللُّغويّة؛ فذكر مواضعها النَّحويّة ودلالاتها في هذه المواضع.

فالكلمات الوظيفيّة في معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة «هي الكلمات الَّتي اكتسبت دلالة جديدة بعيدة عن الدِّلالة اللُّغويّة لأَلفاظها وتشمل حروف الهجاء وجميع حروف الجر وأَدوات الاستفهام والأَسماء الموصولة وأَسماء الإِشارة وأَدوات الشّرط والظّروف وأَسماء الأَفعال، كما اشتملت بعض الأَفعال الجامدة، مثل "عسى" ... إلخ»[52].

ورغم ما يبدو من أَنَّ معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة قد خطا خطوات جيدة فيما يتعلق بترتيب المداخل واستقصاء معلوماتها، فإِنَّ ورود حديثه عن السّين كحرف دالٍ على المستقبل مخصص للدخول على المضارع المثبت بعد حديثه عنها كصوت أَو حرف هجائيّ يشي -وفق تعريفه للكلمات الوظيفيّة

(51) أَحمد مُختار عمر (بمساعدة فريق بحث) معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة، القاهرة، عالم الكتب، الطّبعة الأَولى، المجلد الثّاني، 2008، ص1019.

(52) أَحمد مُختار عمر، المرجع السّابق، المجلد الأَول، 2008، ص13.

السّابق- بأَنَّ هذه الدِّلالة دلالة جديدة للسّين المفردة، ويعزز هذا الاستنتاج أَنَّ حديثه عن "سوف" لم يتضمن أَيَّة إِشارة إِلى السّين (فقد ذكر في (سوف) 2675 [كلمة وظيفيّة] حرف مبني على الفتح يخصص أفعال المضارعة للاستقبال البعيد، فيردّ الفعل من الزّمن الضّيق وهو الحال إِلى الزّمان الواسع وهو الاستقبال، وهو يقتضي معنى المماطلة والتّأخير، وأَكثر ما يستعمل في الوعيد، وقد يستعمل في الوعد[53] فلم يوضح هذا التّعريف علاقة "سوف" بالسّين رغم ثبات هذه العلاقة، ورغم أَنَّ الدُّكتور أحمد مختار عمر -رحمه الله- قد أَخذ في معجمه الموسوعيّ لأَلفاظ القرآن الكريم وقراءاته على الأَعمال السّابقة في هذا الشأن أَنَّها لم تذكر "بل" و"السين" في حين أَنَّها أَثبتت "بلى" و"سوف"[54]، كذلك خلا حديثه عن هذا المدخل 2675 من "سوف" الاسميّة رغم أَنّه أَثبت الأَفعال "سَاوف - سَوَّفَ"، ورغم وجودها في لسان العرب، وربما خلا هذا المعجم من مدخل لـ "التّسويف"!.

وما أُريد التّأكيد عليه هنا أَنَّ الاختلاف الجوهريّ بين المعجمين يكمن في رؤيتهما لـ «معجميّة» العناصر الَّتي تشكّل مداخل كل منهما، فالسّين الدّالة على المستقبل ليست مدخلًا من مداخل لسان العرب؛ لأَنَّها بذاتها صيغة خالية من المعنى بالمنظور المعجميّ، ولكنَّها في المقابل شكّلت مدخلًا من مداخل معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة ربما لأَنَّ المنظور النَّحويّ مثَّل واحدًا من العناصر الَّتي يتكون منها مفهوم «المعجميّة» عند أَصحاب هذا المعجم.

إِذن، فالمعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة - وهو يستثمر مثل هذه المعاجم في معالجة مواده - مطالب برصد "السَّوفَ" كاسم له من الشّواهد -الَّتي ساقها «ابن منظور» و«سيبويه»- ما يؤكده، وببيان العلاقة بين "السِّين" و"سَوفَ" و"السَّوفَ" و"سَوَّفَ"، وبتحقيق قول «ابن جنيّ» في هذا: "هو حرف اشتقوا

---

(53) انظر أَحمد مُختار عمر (بمساعدة فريق بحث) المعجم الموسوعيّ لأَلفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرّياض، مؤسسة سطور المعرفة، الطّبعة الأَولى، 2002، ص19.

(54) د. أَحمد مُختار عمر 2008: المرجع السّابق، المجلد الأَول، ص13.

منه فعلًا"، والتّأكد من الشّواهد: (سف يكون، وسا يكون، وسو يكون) وتبرير أَشكالها، وأَحسب هنا أَنَّ الاستعانة ببحوث الإِنحاء يمكن أَنْ تساعد في تحقيق بعض هذه المطالب، فإِذا صح استنتاجنا أَنَّ "السَّوفَ" [عنصر معجميّ - اسم] تطوّرت عنه "سَوفَ" [عنصر نحويّ -حرف]، ثُمَّ حصل فيها تآكل صوتيّ (سَف، سَو، سَا، ثم سَـ) ولزمت مواقع تركيبيّة محددة مع بقاء الكلمتين جنبًا إِلى جنب [التّفرع أَو الانقسام]، أَو أَنَّ "سَوَّفَ" انتقلت إِلى "سَوفَ" وتحوّلت الأَخيرة إِلى "سَف، سَو، سَا، ثم سَـ" وتقيّدت بالدّخول على الفعل المضارع المثبت فقط، فإِنَّ المعجم التّاريخيّ لابدّ أَنْ يشير في تعريفه لهذه المداخل (بحسب الطّريقة الّتي سيتم اعتمادها في التّرتيب) إِلى إِنحائها ويتتبع مسار هذا الإِنحاء لاسيما أَنَّ المعاجم السّابقة لم ترصد هذه العلاقات.

## بين الإِنحاء والمَعجَمة

إِنَّ الصّورة المجازيّة للإِنحاء تمثّلها مقاربة يُطلق عليها "مقاربة الصّندوق" (Box Approach) ومفادها أَنَّ هناك صندوقًا ضخمًا للمعجم وآخر للنّحو، الأَول ممتلئ بالعناصر المعجميّة، والثّاني ممتلئ بالعناصر النَّحويّة؛ ومن ثمَّ فإِنَّ العمليّات الّتي يتمُّ من خلالها انتقال العناصر من الصّندوق الأَول الخاصّ بالمعجم إِلى الصّندوق الثّاني الخاصّ بالنَّحو تمثّل الإِنحاء، أَمَّا العمليات الخاصّة بنقل العناصر من صندوق النَّحو إِلى صندوق المعجم فتمثّل "مَعجَمة" (Lexicalization)[55] العناصر النَّحويّة، فبين كل من الإِنحاء والمَعجَمة روابط قوية، ففريق من الباحثين يرى أَنَّها نوعٌ مخصوصٌ من "نزع الإِنحاء" (Degrammaticalization) حيث تفقد الصّيغ والبنى وظائفها النَّحويّة ويتم تحجرها في صورة عناصر معجميّة أَو تعابير اصطلاحيّة عقيمة، وفريق آخر يرى أَنَّ الإِنحاء هو تطوُّر إِضافي في عملية المَعجَمة؛

---

(55) see Nikolaus P. Himmelmann 2004: Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?. p.21. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.

بمعنى أنَّه تقييد صارم لعنصر معجميّ معين[56]، فإذا كان الإنحاء هو إيجاد عنصر نحويّ من عنصر معجميّ، أو إيجاد عنصر نحويّ من آخر أقل نحويّة، فإنَّ المَعجَمة هي العمليّة العكسيّة؛ أي التّحوّل من عنصر نحويّ إلى عنصر معجميّ أو خفض درجة نحويّته بمعنى أنَّه إيجاد عنصر معجميّ -من عنصر غير معجميّ- أو زيادة درجة معجميّة هذا العنصر[57].

فقد رأينا فيما سبق رأي "ابن جنيّ" الَّذي أورده "ابن منظور" حيث ذكر أنَّ "سَوفَ" «حرف اشتقوا منه فعلًا فقالوا: سوَّفْتُ الرَّجل تسويفًا»[58]، وهذا معناه أنَّ "سَوفَ" انتقلت من النَّحو إلى المعجم بتحوّلها من الحرفيّة إلى الفعليّة، ومعنى هذا أيضًا أنَّها انتقلت من صيغة غير معجميّة إلى عنصر معجميّ كامل الدِّلالة، وتُسمى عمليّة الانتقال هذه "القلب Conversion"، وهي ظاهرة غير مألوفة نسبيًّا، ولكنْ لها شواهد في أغلب اللُّغات[59]، ومنها في العربيّة أيضًا ما أورده "ابن جنيّ" دليلًا على تداخل أقسام الكلام في العربيّة قال: "إنَّ كثيرًا من الأفعال مشتق من الحروف، نحو قولهم: سألتك حاجة فلوليت لي، أي قلت لي: لولا، وسألتك حاجة فلاليت لي، أي: قلت لي: لا، واشتقوا أيضًا المصدر -وهو اسم- من الحرف، فقالوا: اللالاة، واللولاة ... وكذلك قالوا: سوَّفت الرَّجل، أي: قلت له: سوف، وهذا فعل كما ترى مأخوذ من الحرف ... وأنا أرى أنَّ جميع تصرف (ن ع م) إنَّما هو من قولنا في الجواب: نَعَمْ، من ذلك النِّعمة والنَّعمة، والنَّعيم والتَّنعيم، ونعمت به بإلا، وتنعَّم القوم، والنُّعْمَى، والنّعماء، وأنعمت به

(56) adapted from Ilse Wischer 2000: Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. p.359. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company

(57) after John van der Auwera 2002: More Thoughts on Degrammaticalization. p.20. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company

(58) ابن منظور، مرجع سابق، المجلد التّاسع، ص164.

(59) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.58.

له، وكذلك البقية، وذلك أنَّ (نَعَمْ) أَشرف الجوابين، وأَسرهما للنفس وأَجلبهما للحمد ... لما فيها من المحبة للشّيء والسّرور به ... [فـ] الحروف يشتق منها، ولا تشتق هي أَبدًا، وذلك أَنَّها لَّما جمدت فلم تتصرف شابهت بذلك أُصول الكلام الأَول الَّتي لا تكون مشتقة من شيء"(60)، وإِذا كانت نهاية كلام ابن جنيّ تقدح في إِنحاء "سوف" من الاسم أَو الفعل، فإِنَّني أَظن أَنَّ الحديث عن الاشتقاق أَمر مختلف عن التَّطوُّر أَو الإِنحاء، كما أَظن أَنَّ هذا الحديث يثبت إِنحاء "الفعل من الحرف" ولا يقدح في إِنحاء السِّين من "سوف" الفعليّة أَو الحرفيّة بدليل قول «ابن منظور»: "قالوا: سو يكون، فحذفوا اللّام، و:سا يكون، فحذفوا اللّام وأَبدلوا العين طلبَ الخفة، و:سف يكون، فحذفوا العين كما حذفوا اللّام"، ولكنْ يمكن لنا الإِفادة من ملاحظة "ابن جنيّ" هذه في ضبط بعض الأُمور المتعلقة بمسار الإِنحاء واتجاهه، وتبقى المسأَلة مفتوحة للاجتهاد ما لم نعثر على شواهد موثقة تاريخيًّا تمكّننا من معرفة متى بدأ التَّغيُّر ومتى انتهى وبأَي صيغة، وهنا يأتي دور المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة، وعليه فإِنَّ البحث يشدد في مواضع كثيرة على ضرورة التّكامل بين جهود أَصحاب المعجم التَّاريخيّ وباحثيّ الإِنحاء.

وقبل أَنْ نترك حديث "ابن جنيّ" أُشير إِلى مَلحظ مهم يجب التّنبيه إِليه بخصوص فرضيّة أُحاديّة الاتجاه UD والرَّأي الَّذي يمكن أَنْ نجده لدى "ابن جنيّ" إِزاء هذا الملحظ، فالقول بهذه الفرضيّة وفق الصِّياغة المعممة لها أَو ما أَصبح يُطلق عليه فرضيّة أُحاديّة الاتجاه القوية (Strong UD)(61)؛ أَي بتطوُّر الصّيغ النَّحويّة فقط عن صيغ معجميّة، قولٌ أَحد معانيه التّسليم بأَنَّ جميع عناصر اللُّغة كانت في مرحلة ما من مراحل تطوُّرها السّابقة عناصر معجميّة فقط، فقد ذكر "ابن جنيّ" في "باب في هذه اللُّغة: أَفي وقت واحد وُضِعت أَم

(60) ابن جنيّ (أَبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت 392هـ) : الخصائص، مرجع سابق، المجلد الثّاني، ص23: 25 بتصرف.

(61) adapted from Roger Lass 2000: op. cit. p.218.

تلاحق تابعٌ منها بفارطٍ؟» أَنّه "يجوز أَنْ يكونوا عند التّواضع قدّموا الاسم قبل الفعل، ويجوز أَنْ يكونوا قدّموا الفعل في الوضع قبل الاسم، وكذلك الحرف، وذلك أَنّهم وزنوا حينئذٍ أَحوالهم وعرفوا مصاير أُمورهم، فعلموا أَنّهم محتاجون إِلى العبارات عن المعاني، وأَنّها لابد لها من الأَسماء والأَفعال والحروف، فلا عليهم بأَيها بدءوا، أَبالاسم أَم بالفعل أَم بالحرف؛ لأَنّهم قد أَوجبوا على أَنفسهم أَنْ يأتوا بهن جُمَعَ، إِذ المعاني لا تستغني عن واحد منهن"[62].

## الفقد والاكتساب

إِنَّ معنى انتقال العنصر من المعجم إِلى النَّحو هو أَنْ تتغيّر سماته وصفاته، فالإِنحاء بحسب «هين» و«ريه» تطوّر تفقد من خلاله الوحدات اللُّغويّة تعقيدها الدِّلاليّ، وسمتها التّداوليّ، وحريتها التّركيبيّة، ومادتها الصّوتيّة[63]، ويرى السِّيسيّ أَنَّ الأَمر هنا غير محصور في فقد هذه السّمات، بل اكتساب سمات جديدة، فعلامة المستقبل (سَـ) فقدت بإِنحائها المحتوى الدِّلاليّ، وانتمائها إِلى "فئة كلاميّة مفتوحة" (Open Class)، كما فقدت استقلالها التّركيبيّ، ومادّتها الصّوتيّة، ولكنَّها حصّلت في مقابل هذا تغيّرًا في المعنى، ومدى متسعًا من السّياقات، ودرجة كبيرة من التّواتر، وعموميّة دلاليّة، وأَصبحت في النهاية جزءًا من التّصريف (Paradigm)[64]. فالإِنحاء آليًّا يتضمن عمليات أَربعة؛ الأُولى هي "الخفوت الدِّلاليّ" (Semantic Bleaching)[65] أَو "فقد المعنية" (Desemanticization) حيث

(62) ابن جنيّ (أَبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت 392هـ) : الخصائص، مرجع سابق، ص21.

(63) adapted from Bernd Heine & Mechthild Reh 1984: op. cit. p.15.

(64) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

(65) واحد من المفاهيم المهمة في دراسة الإِنحاء يشار به إِلى فقد العناصر المعجميّة لمعناها أَو حالاتها المقوليّة حيث تتحوّل إِلى مجرد علامات تؤدي وظيفة نحويّة، ولهذا المفهوم عدد غير قليل من المصطلحات الّتي تعبر عن مضمونه وهي: الضّعف الدّلاليّ Semantic Weakening (Guimier 1985:157)، وفرضيّة الاحتواء Containment Hypothesis (Willett 1988:80)، والتّجريد Abstraction (Hein et al 1991:41-45)، والتّعميم الدّلاليّ Semantic Generalization، والخفض الدّلاليّ Semantic Reduction (Bybee et al 1994: 6)، والنّضوُب الدّلاليّ Semantic Depletion (Weinreich in Lehmann 1995:127)، وفقد المعنيّة Desemanticization (Lehmann 1995:127)، نقلًا عن = =

تفقد العناصر جزءًا كبيرًا من محتواها الدِّلاليّ، والثّانية هي "التّوسع" (Extension) أَو "التّعميم السّياقيّ" (Context Generalization) حيث يتم استعمال العناصر في سياقات جديدة، أَمَّا الثَّالثة فهي "فقد الانتماء المقوليّ" (Decategorialization) حيث تفقد العناصر السّمات الصّرفيّة والتّركيبيّة، والعملية الرَّابعة هي "التّآكل" (Erosion) أَو "التّقلص الصّوتيّ" (Phonetic Reduction) وفقد المادة الصّوتيّة، وعلى الرُّغم من أَنَّ ثلاثة من هذه العمليات تنطوي -كما نرى- على فقد بعض الخصائص وخسارتها فإِنَّ هناك مجموعة من الخواص المميزة الَّتي تكتسبها هذه العناصر من استعمالها في سياقاتها الجديدة(66).

## أَفعال الشُّروع ومبدأ الاستمراريّة

فالصّيغ المنحَاة يمكن أَنْ تكتسب علاقات صرفيّة-تركيبيّة لم تكن لها من قبل في مقابل فقدها لبعض السّمات والخواص، ومثال هذا الفعل "أَخذ" عندما يستعمل كفعل معجميّ في مثل "أَخذ الولد الكتاب" يمكن أَنْ يتصرف زمنيًّا فيدل على الماضي والحاضر، أَو أَنْ يُبنى للمجهول، أَو أَنْ يتبادل رتبته مع فاعله ومفعوله، ويمكن أَنْ تسبقه أَداة نفي، ولكنْ عند إِنحائه في مثل "أَخذت الرِّيح تعصف" ستتقيد رتبته، ويصبح منتميًا إِلى فئة مغلقة من الأَفعال الَّتي تُسمى «أَفعال الشُّروع/ الإِنشاء»(67).

واتصالًا بهذا الصِّنف من الأَفعال في العربيّة من جهة وبأَحد مبادئ الإِنحاء من ناحية أُخرى، أَود أَنْ أُشير هنا إِلى "مبدأ الاستمراريّة"(Persistence)، ومفاده أَنَّ المصادر المعجميّة رغم خضوعها لعملية الإِنحاء وفقد بعضها مادته المعجميّة، فإِنَّ هناك حالات عديدة تستمر فيها معاني هذه العناصر الأَصليّة بدرجات مختلفة، بل إِنَّ هذه المعاني لتؤثر في الوظائف النَّحويّة الَّتي تحوزها

= = (وقد قمتُ بترتيبها تاريخيًّا): Mohssen Esseesy 2009b: Semantic Bleaching. p.160 in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (160-4) Leiden, Boston: Brill.

(66) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: World Lexicon of Grammaticalization. p.2. Cambridge University Press.

(67) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

العناصر المنحَاة خلال مساراتها الإنحائيّة (انظر فرضيّة تحديد المصدر في الصَّفحات التَّالية من البحث)، وهذا معناه أنَّ هناك آثارًا دلاليّة مصدرها المعاني المعجميّة الأصليّة لتلك العناصر الَّتي تنعكس في صورة قيود تحكم توزيعها النَّحويّ النَّاجم عن الإنحاء[68]، والمثال الَّذي يضربه "السِّيسيّ" نموذجًا لهذا المبدأ يتمثَّل في الفعل "قام" حيث يتم إنحاؤه فيدخل ضمن فئة أفعال الشُّروع في قولنا: قامت المرأة تنوح. ففي رأيه أنَّ المفهوم الأساسيّ لهذا الفعل لم يختفِ بشكل كامل، بل إنَّه مستمر في فرض بعض القيود على مدى العلاقات الدِّلاليّة لصيغته المنحَاة؛ فلا يدخل هذا الفعل (وهو من أفعال الشُّروع) في علاقات تركيبيّة مع أفعال أُخرى تناقض مفهومه حيث تعدُّ جملة "قامت المرأة تنام" جملة غير نحويّة بسبب التَّضاد الحاصل بين "قامت" و"تنام"، وذلك عند مقارنتها بالبنية النَّحويّة: "قامت المرأة من النوم"[69].

## الأَفعال النَّاقصة ومعجميّة التَّصنيف النَّحويّ

أَمَّا عن الأَفعال النَّاقصة في اللُّغة العربيّة سواءٌ في الفصحى التّراثيّة أَو في الدَّوارج واللّهجات المعاصرة، فالنّواسخ الفعليّة مثل "كان" وأَخواتها تعدّ أفعالًا ناقصة (Incomplete) (المعجميّة) بعكس الأفعال التّامة (Complete)[70] كاملة (المعجميّة)؛ إذ تقتضي الأَخيرة وفق قيود الانتقاء المقوليّة والدِّلاليّة «اسمًا» يكون فاعلًا تقع به، واسمًا أَو جملة يكون مفعولًا تقع عليه، ولأَنَّ هذه النَّواسخ «ناقصة» فهي لا تدل على أَكثر من إطار زمنيّ للجملة الَّتي تحتويها، وتدلّنا على هذا معالجة "سيبويه" لهذه الأَفعال فقد أَوردها في باب "الفعل الَّذي يتعدى اسم الفاعل إلى اسم المفعول واسم الفاعل والمفعول فيه لشيء واحد"[71] وذكر

(68) see Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.96.

(69) after Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.196.

(70) for more details see Hana Zabarah 2012: The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. pp.115-25. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.

(71) سيبويه (أَبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت 180هـ): الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّالثة، المجلد الأَول، 1988، ص45.

أَنَّ كون اسم الفاعل هو عينه اسم المفعول يجعل هذا النّوع من الأَفعال صنفًا مميزًا يقول: "فمن ثَمَّ ذُكِرَ [هذا الفعل] لحدته [وخاصيته المميزة]"(72)، ثُمَّ قال: "ولا يجوز فيه الاقتصار على الفاعل كما لم يجز في ظننت الاقتصار على المفعول الأَول؛ لأَنَّ حالك في الاحتياج إلى الآخر ههنا، كحالك في الاحتياج إليه ثمّة"(73)، ثُمَّ مثّل "سيبويه" لهذه الأَفعال بمجموعة صغيرة منها «كان ويكون، وصار، وما دام، وليس»(74)، وترك عنوانًا عريضًا لما يمكن أَنْ يسلك سلوك هذه الأَفعال فقال: "وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر(75)، فـ "سيبويه" - وإِنْ فُهِمَ من عنوان الباب أَنَّه يجعلها أَفعالًا فقد - جعل لها اسمًا للفاعل واسمًا للمفعول هو عينه اسم الفاعل، ولم يجعل لها فاعلًا ومفعولًا بالمعنى الَّذي نجده مع غيرها من الأَفعال التّامّة الحقيقيّة، وفطن «سيبويه» إلى أَنَّ هذه الأَفعال وإِنْ كان يجوز في تراكيبها ما يجوز في تراكيب غيرها من الأَفعال من التّقديم والتّأخير إِنَّما تدل فقط على الزّمان، يقول: "تقول: كان عبد الله أخاك، فإِنَّما أَردت أَنْ تخبر عن الأُخوة، وأَدخلت "كان" لتجعل ذلك فيما مضى ... وإِنْ شئت قلت: كان أَخاك عبد الله، فقدّمت وأَخرت كما فعلت ذلك في "ضرب" لأَنَّه فعل مثله، وحال التّقديم والتّأخير فيه كحاله في (ضرب)، إِلا أَنَّ اسم الفاعل والمفعول فيه سواء"(76).

فهذه الأَفعال النّاقصة تسلك السّلوك التّركيبيّ نفسه للأَفعال التّامة، والفرق أَنَّها ليست أَفعالًا بقدر ما هي علامات دالة على الزّمان وبقدر كون هذا السّلوك جزءًا مما اكتسبته بمعاملتها معاملة الأَفعال الأُخرى، ويبدو هذا جليًّا في قول «سيبويه»: "وقد يكون لـ (كان) موضع يقتصر على الفاعل فيه، تقول: قد

(72) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(73) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(74) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(75) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

(76) سيبويه: الكتاب، السّابق نفسه.

كان عبد الله، أَي قد خُلِق عبد الله، وقد كان الأَمر، أَي **وقع** الأَمر، وقد دام فلان، أَي **ثبت**، كما تقول: رأيت زيدًا، تريد رؤية العين، وكما تقول: أَنا وجدته، تريد وجدان الضّالة، وكما يكون أَصبح وأَمسى مرة بمنزلة (كان)، ومرة بمنزلة استيقظوا وناموا"[77]، ثُمَّ ضرب "سيبويه" مثالين وردت فيهما (كان) بمعنى (وقع)، الأَول لـ "مقّاس العائذيّ"، والثّاني لـ "عمرو بن شَأس"[78].

وكي يتأكد لنا هذا دعنا ننظر في رؤية النّحاة بعد «سيبويه» لـ (كان) وأَخواتها كما أَشارت إِليها دراسة Hana Zabarah 2012، فـ«المبرد» (ت 282هـ) يرى أَنَّها **أَفعال صحيحة** (لأَنَّها تتصرف تصرف الأَفعال في الزّمن ومع الضّمائر المختلفة)، ولكنَّها **أَفعال غير حقيقيّة** (لأَنَّ اسمها وخبرها الشّيء نفسه)، وهي لا تغيّر معنى الجملة إِنَّما تشير فقط إِلى زمنها، ويرى «ابن السّراج» (ت 318هـ) أَنَّها **أَفعال غير حقيقيّة** لأَن الفعل الحقيقيّ هو ما دلّ على معنى وزمان، أَمَّا (كان) وأَخواتها فتدل على الزّمان فقط. أَمَّا "الزّجاجيّ" (ت 340هـ) فقد تجنب استعمال مصطلح "الفعل" وعدَّ "كان" وأَخواتها **حروفًا**، فإِذا وصلنا إِلى "البطليوسيّ" (ت 521هـ) وجدنا قوله إِنَّ "**الفعل الصّحيح** إِنَّما وُضِع في أَصل وضعه ليدل على حدث واقع في زمان مُحصَّل، وذلك الحدث هو خبره الَّذي يستفيد المخاطب منه إِذا ذُكِر، وذلك الحدث الَّذي هو خبره **مُضمَّن فيه غير خارج عنه، وأَحداث هذه الأَفعال الَّتي هي أَخبارها خارجة عنها غير مُضمَّنة فيها**"[79].

إِنَّ هذه المقاربات وإِنْ كانت "نحويّة" بالأَساس قصدت إِلى بيان علاقة الكلمات بعضها ببعض داخل الجمل ودلالة مثل هذه العلاقات، فإِنَّها لم تغفل "معجميّة" الأَفعال أَساسًا للتفريق بين ما هو فعل حقيقيّ وما هو فعل غير حقيقيّ، فـ "كان" وأَخواتها أَفعالٌ غير حقيقيّة لأَنَّها فقدت دلالتها على الحدث الَّذي يَفيده المخاطب متى ما سمع الفعل في أَقل سياق أَي مُنفردًا؛ إِذ أَصبحت

(77) سيبويه: الكتاب، السّابق، ص46.

(78) انظر سيبويه: الكتاب، السّابق، ص46، 47.

(79) see Hana Zabarah 2012: op. cit. p.118; 119; 120; 122.

أَحداثها -بتعبير "البطليوسيّ"- خارجة عنها غير مُضمَّنة فيها، وهذا ربما السّبب الَّذي حدا بـ "الزّجاجيّ" أَنْ يجعلها حروفًا أَو قل بالمصطلح المعاصر كلمات وظيفيّة، فـ "الفقد التّدريجيّ للسّمة المميزة للأَفعال، والاكتساب التّدريجيّ لسمات نحويّة مختلفة هما السّبب وراء صعوبة تصنيف الأَفعال النّاقصة ووراء الخلاف بين النّحاة الآنيّين في النّظر إِلى هذه العناصر بوصفها أَفعالًا أَو عدّها مقولة قائمة بذاتها"[80].

وتأكيدًا على ما سبق من رؤى النّحاة العرب لـ "كان" وأَخواتها أَورد "ابن منظور" لـ "كان" التّامة العديد من المعاني المعجميّة منها: وَقع/ وُجِد واستقر/ خُلق/ مَضي وتَقضَّى[81]، وله على كل معنى من هذه المعاني شاهد أَو أَكثر من الشّواهد الموثّقة. أَمَّا عن "كان" النّاقصة في هذا المعجم فأَكتفي فيها بما اقتبسه "ابن منظور" عن "ابن بري"، قال: "واعلم أَنَّه يُلحق بباب (كان) وأَخواتها **كلُ فعلٍ سُلِبَ الدّلالة على الحدث، وجُرِدَ للزّمان، وجاز في الخبر عنه أَنْ يكون معرفة ونكرة، ولا يتمُّ الكلام دونه**، وذلك مثل: عاد ورجع وآض وأَتى وجاء وأَشباهها»[82]. وهنا نرى أَنَّ مثل هذه الأَفعال فقدت دلالتها على الحدث واكتسبت معنى نحويًّا (وفق آليّة فقد المعنيّة)[83]، أَضف إِلى هذا أَنَّها فقدت الخصائص المميزة للأَفعال الحقيقيّة وتجردت فقط للدلالة على الزّمن (وفق آليّة فقد الانتماء المقوليّ)[84]، هذا بالإِضافة إِلى آليّة "التّآكل الصّوتيّ"[85] فقد رأت إِحدى الدِّراسات أَنَّ (كـَ Ka ) في الدّارجة المغربيّة في مثل: (كيكتب

(80) adapted from Joan Bybee & Joanne Scheibman 2007: The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. p.295. in Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press

(81) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد الثّالث عشر، ص365 وما بعدها.

(82) ابن منظور : السّابق نفسه، ص368.

(83) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2002: On the Evolution of Grammatical Forms. p.379. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. pp. 376-97. Oxford University Press.

(84) see Ibid., p.379.

(85) see Ibid., p.379.

(Ka-yekteb) هي صيغة متبقية من الفعل (كان)[86]، وترى ثُريا عَامِر أَنّه "يمكننا أَنْ نؤول التّطوُّر الحاصل في قائمة الأَفعال النَّاقصة باشتغال آليتيّ "القياس Analogy" و"إِعادة التّحليل" (Reanalysis) في نسج فعلٍ (ب) على منوال فعلٍ آخر (أ) يشبهه في وجه من الوجوه، فيستحدث للفعل بنيةً نحويّة جديدة يُصنَّفُ على أَساسها ضمن مجموعة الأفعال النّاقصة، مثال ذلك ما ذكره "الرَّضي" في "كَمُلَ" الَّتي لا يذكرها "سيبويه" ولا "ابن يعيش" قبله، فيذكر المثال التّالي مستدلًا على وجه استعمال "كَمُلَ" ناقصة: كَمُلَ زيدٌ عالِمًا، أَي: صار"[87].

إِنَّ القضية الآن بالنّسبة إِلى المعجميّ لم تعد فقط دلالات قائمة الأَفعال النّاقصة المعروفة، بل كافة الأَفعال الَّتي تنسحب عليها سمات أَفعال هذه القائمة فتؤدي أَداءها ومعناها قياسًا. إِنَّ ثمّة فرقًا بين فعلٍ تامّ معجميًّا له دلالة وسلوك تركيبيّ واضحان، وبين فعلٍ ناقصٍ يفقد جزءًا كبيرًا من معناه الَّذي وُضِع له؛ ليسلك سلوك الأَفعال الأُخرى وإِنْ كانت دلالته تَخلُص في إِطار هذا السّلوك لمعنى مختلف وثابت؛ لذا فإِنَّ فقد الأَفعال النَّاقصة لجزءٍ من معناها وخلوص

(86) see Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet 2009: The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology, No.44. Mouton de Gruyter. pp. 325-361

(87) ثُريَا السّكريّ عَامِر : مرجع سابق، ص97، 98. والقياس l'analogie بالنّسبة إِلى مابيه قادر على إِعادة التّفاصيل المتعلقة بالصِّيغ وتجديدها مع الاحتفاظ بالصُّورة الكليّة للنظام النّحويّ الموجود والدَّوران في فلكه. (see Antoine Meillet (Ed.) 1948: op. cit., p.133)، أَمّا إِعادة التّحليل Reanalysis فهي بحسب رولاند لانجكير (Roland W. Langaker 1977)تغيُّر بنية تعبير معين أَو فئة كاملة لا يصحبه تعديل مباشر أَو جوهريّ في المظهر السَّطحيّ لهذا التّعبير، ويعرّفها آلن تمبرلاك (Alan Timberlake 1977) بأَنّها صياغة فئة جديدة عن طريق العلاقات والقوانين الكامنة.

after Mohssen Esseesy 2009a: Reanalysis. P.37. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (37-43) Leiden, Boston: Brill.

وكلتا الدِّراستين تجدهما في:

James Li 1977 (Ed.): Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.

عناصرها لنمطٍ تركيبيّ مختلف له ما يميزه عن غيره من مناويل الأَفعال الأُخرى لهو دليلٌ على سلوك هذه العناصر لمسارٍ معين من مسارات الإِنحاء.

إنَّ القضية تتعلق هنا بضرورة معرفة ما هو نحويّ وما هو معجميّ، فهذه المعرفة تعدُّ أَساسيّة في دراسة الإِنحاء من ناحية، وفي صناعة المعجم أَيًّا كان نوعه من ناحية أُخرى، وأَضرب هنا مثالًا من بحث جورج متري عبد المسيح صاحب معجم "لُغة العرب" يوضح أَهمية هذه القضية، وهو وإِنْ كان مثالًا مُطَولًا لكنَّه مهم في هذا السّياق، يقول "جورج" تعليقًا على مادة "خَلْفَ"[88] في بعض المعاجم العربيّة، وقد اخترت هذه الكلمة لأَنَّه يُنظر إِليها في إِحدى دراسات الإِنحاء في اللُّغة العربيّة على أَنَّها صيغة منحاة عن الاسم "الخلف"[89]، فأَردت من وراء هذا المثال أَنْ نتبيّن علاقتها بهذا الاسم داخل المعاجم العربيّة، وأَنْ نستكشف خصائص المعالجة المعجميّة لهذه الكلمة والنّتيجة الَّتي يمكن أَنْ تترتب على معرفة المعجميّ أَنَّها منحاة:

(خَلْفَ) ظَرْف بِمَعْنى: مَوْجود في مَكان غَيْر مُواجِه وغير جانِبيّ، وهو مَنْصوب إذا أُضيفَ: جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِه، أَو إِذا قُطِعَ عن الإضافة لَفْظًا ومَعْنًى: جَعَلَهُ خَلْفًا؛ ويُبنَى على الضَّمّ إذا قُطِعَ عن الإضافة لَفْظًا لا مَعْنًى: جَعَلَهُ خَلْفُ أَي خَلْفَهُ، مَرَّ مِنْ خَلْفُ أَي من خَلْفِهِ.

▪ وَرَدَت "خَلْفَ" في مَدخل مُستقِلّ لأنّها مادَّة لغويَّة - نحويَّة أو نحويَّة - لغويَّة، لا يَجوز حَشْرها مع المدخل - الاسم (الخَلْف)؛ فهي لا تَدخلها (أَل)، ولا تُجمَع مثل "الخَلْف" الاسميَّة على أَخْلاف وخُلوف. ولا تُصبح اسمًا إِلّا إذا

(88) جورج متري عبد المسيح (2014) 2016: دورُ المعجم العربيّ في إِحياء التّراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، بحث أُلقي في الموسم الثّقافيّ لدار الآثار الإِسلاميّة بدولة الكويت، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ص19وما بعدها، أُعيد نشره ضمن كتاب «**المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، الجزء الثّالث**»، **إِعداد منتصر أَمين عبد الرّحيم، وحافظ إِسماعيلي علوي، إِربد: دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى، انظر ص93 وما بعدها.**

(89) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.

خرجت عن الظَّرفيَّة... ولذلك فإنّ حَشْرها مع مادَّة "الخَلْف" في المَعاجم الجذريَّة الترتيب تصنيف أو ترتيب في غير مَحَلّه...

▪وَرَدَت في حالة النَّصْب مُراعاة لِأَحوالها الغالبة... وهي تُبنَى على الضّمّ في محلّ نصب في حالة واحدة... ولذلك فإنّ المعاجم القديمة والحديثة: أَخطأت في ترتيبها وفي تَحريكها إعرابيًّا بحيث غَلَّبت الأَقلّ على الأَكْثر عندما وضعت "ضَمَّةً" على الفاء. والأَسوأ أن بعض المعاجم النُّطقيَّة الترتيب، (معجم عبد النور المُفصَّل الثُّنائيّ اللُّغة، عربيّ فرنسيّ)، وَضَعَ ضَمَّتين على الفاء "خَلْفٌ"، ومن نافل القول أنّ "خَلْفَ" لا تُترَك بدون تَحريك...

▪يَتَّسم تعريف "خَلْف" في المعاجم بالقصور والدَّوْر، ففي المُعجَم الوسيط مثلًا، وَرَدَ في مادَّة "الخَلْف": ضدّ قُدّام (مؤنَّثة) يكون ظَرْفًا [تَكون: أَوْلَى]، وقد يَخرج عن الظَّرْفيَّة فينصرف.

▪إِذا بحثنا في الوسيط عن "قُدّام" وَجَدْنا أَنّها: ظَرْف بمعنى أمام، فإذا فتَّشنا عن "أمام" وجدنا أنّها: ظرف بمعنى قُدّام، وهكذا تَتَّسم التعريفات بالقصور وبالدَّور... وقد اضطرّ الوسيط في آخر التَّعريف إلى أنْ يقول: يكون ظَرْفًا وقد يَخْرج عن الظَّرفيَّة فينصرف، لأنّه ذَكَرَها مع المادَّة الاسميَّة (الخلف). أمّا قوله: فينصرف ففيه تَرخُّص في التَّعبير، لأنّ المَقصود "فيتصرَّف" أَي لا يلازم النَّصب على الظَّرفيَّة...

▪(مؤنَّثة) ليست دقيقة لأنّها من الكلمات التي تُؤنَّث وتذكَّر، وهنا بالذات ليس لها ضرورة لأنّها ليست موصوفًا لنَحتاج إلى تأنيث صفته أَو تَذكيرها.

▪وأَخيرًا فإنّ كلمة "خَلْف" تنتمي إلى مَجموعة معجميَّة - نحويَّة أو نحويَّة - مُعجميَّة تُسمَّى "ظروف الغايات" ومن أَفرادها: أَسْفَلَ، أَمامَ، بَدَلَ، بَعْدَ، تَحْتَ، دونَ، شَمال، فَوْقَ، مَكان، وراء، يَمينَ...

وعلى الصِّناعة المعجميَّة العلميَّة أنْ تراعي:

▪ وجودها في المُعجَم الشّامل (قانون التّكامل).

▪ توحيد شروحها (قانون التّماثُل).

▪ تمييز مَوادّها بأَنْ تكون الواحدة منها مَصروفة، والأُخرى ممنوعة مثلًا (قانون المغايرة).

▪ ومُراعاة هذه القوانين أو المبادئ دليل على عَقْل تنظيميّ، وعلى وَعْي لغويّ وعلميّ، وعلى وجود مَنهَج، صَريح، أَو ضمنيّ ناظم للموادّ، ولو لم يُصرِّح به المعجميّ...

نرى من خلال هذا المثال أَنَّ "خلف" تنتمي كما ذكر جورج عبد المسيح إِلى مجموعة (نحويّة/ معجميّة) أَو (معجميّة/ نحويّة) وهذا معناه أَنَّ (1) على صاحب المعجم أَنْ يعي الحدود بين ما هو معجميّ وما هو نحويّ، وما هو معجميّ تحول إِلى نحويّ أَو العكس، أَمَّا ملاحظة أَنَّ "خَلْفَ" لابد أَنْ تشكّل مدخلًا مستقلًا بعيدًا عن الاسم "الخلف" لأَنَّها لا تقبل الأَلف واللام، ولا تُجمَع، وغير هذا من علامات الاسم الَّتي فقدتها، فكل هذا يدل على (2) ضرورة الفصل بين الصّيغة المنحَاة والصّيغة الَّتي تطوّرت عنها واعتبار كل واحدة منهما مدخلًا مستقلًا، ولكنْ لا يمنعنا هذا من (3) الإِشارة إِلى العلاقة الَّتي تجمع بين الصّيغتين سواءٌ أَكانت هذه العلاقة ناشئة عن الإِنحاء أَم عن المَعجَمة، مع وضع رمز معين لكل منهما.

الخروج عن المسار

ولعلّ عنصرًا معيّنًا عند نقطة ما على مسار الإِنحاء لابد أَنْ يكون موسومًا بمجموعة معينة من الصّفات الصّوتيّة والفونولوجيّة والتّركيبيّة والدِّلاليّة الَّتي تميِّزه عما يسبقه أَو يتلوه من العناصر المتصلة به على هذا المسار، وقد يخرج هذا العنصر عن المسار عند نقطة معيّنة دون غيرها، فإِذا كان مسار الإِنحاء يبدأ بعنصر معجميّ فليس من الضّروريّ أَنْ ينتهي بلاحقة تصريفيّة كما في مخطط "هوبر" و"تروجت"؛ فالشّيء الأَكبر أَهمية في نظر "السّيسيّ" أَنَّ اللَّواصق التّصريفيّة ليست هي النّتيجة النّهائيّة لعملية الإِنحاء، وهذا معناه أَنَّ فقد

المورفيم أو تقليصه إلى الصّفر ربما يكون المحطة الأخيرة من تطوُّر بعض الصّيغ المنحَاة كما في دورة تاملي جيفون (Tamly Givón) للإنحاء[90] :

الخطاب > التّركيب > المورفولوجيا > المورفيميات الصّوتيّة > صفر

فالعناصر المعجميّة كما يرى "السِّيسيّ" قد تترك مسار إنحائها عند نقطة تسبق مرحلة اكتماله، ولا تتقدم عليها خطوة إضافيّة، كما في حالة كثير من الأسماء والصّفات العربيّة الّتي تحوّلت إلى ظروف، مثل: (**أَحيانٌ > أَحيانًا / كثيرٌ > كثيرًا**)، ويُطلَق على مثل هذا التّحوُّل "عَكس المقولة" (Category Conversion)[91]، ويمكن لنا قياس (**قريبٌ > قريبًا**) و(**بعيدٌ > بعيدًا**) و(**قليلٌ > قليلًا**) وأشباهها على هذا الصّنف من التّحوُّل. وهذا معناه بالنّسبة إلى المعجميّ المؤرِّخ ألّا يتمَّ الجمع والحال هذه بين الاسم والظّرف أو بين الصّفة والظّرف في مدخلٍ واحد لاختلاف صنفهما المقوليّ من ناحية، ولسبق الأُولى الثّانية من ناحية أُخرى ما لم نجد من الشّواهد ما يخالف هذا.

**فرضيّة تحديد المصدر**

إنَّ إحدى أهم الفرضيّات الّتي وضعتها بيبي وآخرون (Joan Bybee et al) 1994 في سبيل بِناء نظريّة عن الإنحاء هي "فرضيّة تحديد المصدر" (Source Determination Hypothesis)[92] ومؤدى هذه الفرضيّة أَنَّ "المعنى الحقيقيّ للبنية موضع الإنحاء يحدّد بصورة أَساسيّة مسار هذا الإنحاء، ويحدّد بالتّالي المعاني النَّحويّة النّاجمة عنه"، وهذا يستتبع النّظر في المعاني الّتي تعمل بوصفها مصادر للإنحاء، فليست جميع المعاني قابلة للإنحاء، وإذا كان الإنحاء ينطوي على تغيُّر دلاليّ، فإنَّ «التَّغيُّرات الدِّلاليّة الّتي تؤدي إلى الإنحاء وتستمر خلاله هي التَّغيُّرات الّتي تضاعف عموميّة معنى الصّيغ المنحَاة»[93]، فالعناصر المعجميّة موضع

(90) adapted from Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.192.
(91) Ibid., p.192.
(92) see Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: op. cit., p.9.
(93) Ibid., p.9.

الإنحاء تخضع بالفعل لتغيُّرات دلاليّة تؤدي إلى تعميم يمثِّل في العادة السّمات الدِّلاليّة لمجالاتها الَّتي تنتمي إليها، أمَّا العناصر المعجميّة الَّتي لا يمكن وسمها بعموميّة دلاليّة أو العناصر النَّحويّة الَّتي ربما تشترك في البنية المصدر، فهذه يمكن تأويلها -كما صنعت "بيبي" وآخرون(94)- كي تعادل حالات أفعال الوجود والملكيّة والتّموضع الفيزيائيّ والحركة في فضاء مكانيّ وغيرها من الأَفعال الموسومة بالتّعميم، ولكنْ إلى جانب العموميّة الدِّلاليّة هناك المفاهيم الأَساسيّة غير القابلة للاختزال الَّتي تشكّل أساس المعاني النَّحويّة في اللُّغات البشريّة، هذه المفاهيم هي ما يجري عليه الإنحاء، ورأتْ "بيبي" وآخرون أَنَّ هناك دراسات أُخرى توصلت إلى مثل هذه النتيجة؛ فـ «تروجت» (Traugott 1982: 246) أَشارت إلى أَنَّ المفاهيم المصدر هي المفاهيم الَّتي تعدُّ أَساسيّة في المواقف الكلاميّة، كذا لاحظ «هين» و«كلودي» و«هنمير» (Heine, Claudi, and Hunnemeyer 1991 :33) أَنَّ التّصورات/ المعاني المصدر موضع الإنحاء هي التّصورات الأَساسيّة في التّجربة الإنسانيّة، وأَنَّها إلى حد كبير تصورات مستقلة ثقافيًّا؛ لأَنَّه يتم فهمها وإدراكها بطريقة ثابتة رغم اختلاف اللُّغات والأَعراق(95).

وأَحسب أَنَّ تلك النّتيجة يمكن دعمها وتأكيدها من خلال نتائج أُخرى توصلت إليها بعض دراسات الإنحاء الَّتي اهتمت بما يُطلق عليه "الخفوت الدِّلاليّ" أَي بالسّؤال عن طبيعة المعاني الَّتي تفقدها العناصر المعجميّة أَثناء رحلتها الإنحائيّة حيث ترى إحدى هذه الدِّراسات أَنَّ ما تفقده العناصر

(94) see Ibid., p.9;10.
(95) after Ibid., p.10.

والدِّراسات المشار إليها في الاقتباس على التّوالي للإطلاع هي:

- Elizabeth Closs Traugott 1982: From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P.
- Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. 245-71. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991: Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.

المعجميّة في الإنحاء هو "المعاني غير المنطقيّة" (non-Logical Meanings)[96]، ومعنى هذا أَنَّ ما يتبقى لها هو المعاني الأَساسيّة أَو قُل الذَّرات الدِّلاليّة الأَساسيّة الأَكبر عموميّة، ولقد قرّر «هوبر» و«تروجت» أَنّنا حين ننظر إِلى المعجم (Lexicon) لا يمكن أَنْ نتصوّر أَنّه يتضمن فقط السّمات التّركيبيّة أَو الصّوتيّة للعناصر المعجميّة، بل يجب أَنْ يحفل إِلى جوار هذه بسمات تلك العلاقات الدِّلاليّة بين الكلمات داخل المجالات الدِّلاليّة الَّتي تتكون منها؛ إذ من المقترح أَنَّ المعاني المعجميّة القابلة للإِنحاء هي المعاني الَّتي تتسم بقدرٍ عالٍ من العموميّة - أَو ما اصطلحا عليه بـ "الكلمات الأَساسيّة" (Basic Words) - في مقابل الكلمات الأَكبر خصوصيّة داخل المجال الدِّلاليّ[97]، أَضف إِلى هذا أَنَّ العناصر القابلة للإِنحاء تمثِّل مظاهر أَساسيّة وثابتة في علاقة الإِنسان بالبيئة لاسيما البيئة المكانيّة[98]، ولعل أَحد الأَمثلة المهمة الَّتي ضربتها «بيبي» وزميلاها في هذا الإِطار هو استعمال الكلمات الدّالة على أَعضاء جسم الإِنسان في بنى نحويّة تشير إِلى علاقات مكانيّة، وأَشاروا إِلى عدة دراسات قامت بتوثيق ظاهرة استعمال كلمة "Face" ليس بمعنى "وجه» إِنّما بمعنى "في مقابل in front of" وذلك في عدة لُغات لا تجمع بينها صلة أَو قرابة، الأَكيد أَنَّ كلمة "Face" تعدُّ مميزة بمعناها حيث تشير إِلى عضو محددٍ ومعقدٍ من أَعضاء جسم الإِنسان، ولكنْ لاحظ أَنّها ليست "وجه" بهذا المعنى هي ما يدخل ضمن تلك البنى النَّحويّة؛ فربما خضعت الكلمة لتعميم دلاليّ عن طريق المجاز كي تؤدي معنى "Front" كما في التّعبير الإِنجليزيّ "the face of the cliff وجه الهاوية/ مقدمة الهاوية"، ثُمَّ دخلت -بعد أَنْ دلّت على علاقة مكانيّة عامّة- مسارًا إِنحائيًّا لِتصبح من خلاله حرف جر. ومن ثَمَّ قرّر المؤلفون أَنّه في سبيل تقصي أَصل المعنى النَّحويّ لابد أَنْ

(96) after Ian Roberts 2010: Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. p.66. in Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

(97) adapted from Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003: op. cit. p.101f.

(98) after Joan Bybee 2003: op. cit., P.151.

نظر في البعد التّركيبيّ والصّرفيّ لبنية المصدر، وليس في المعنى الإحاليّ لعناصرها المعجميّة[99].

**المصدر والهدف**

إنَّ فرضية تحديد المصدر تؤكد على أَنَّ سمات دلاليّة معينة لها علاقتها – أولًا– بما يجوز إنحاؤه وما لا يجوز، وبالمسار الّذي يسلكه هذا الإنحاء –ثانيًا– وبطبيعة المعاني النّاجمة عنه –ثالثًا– وبالعلاقة بين مصدر الإنحاء (الكلمة أو الصّيغة أو البنية الّتي يسري عليها الإنحاء) وهدفه (الصّيغة النّهائيّة النّاشئة عن الإنحاء) –رابعًا– ولها كذلك أثرها في طبيعة هذه العلاقات. فالإنحاء إذن ليس مسألة اعتباطيّة إنّما هناك جملة من الخصائص الّتي تميز الصّيغ القابلة للإنحاء استنبطها الباحثون من خلال جرد سمات العديد من هذه الصّيغ في لُغات مختلفة.

وتؤكد "بيبي" بشأن المصادر المفاهيميّة لعمليّة الإنحاء أَنَّ العلاقة المكانيّة بين شيئين دائمًا ما يتم التّعبير عنها في كثير من اللُّغات عن طريق علاقة أَحد أَعضاء جسم الإنسان ببقية الأَعضاء الأُخرى؛ وعليه فإِنَّ الاسم رأس (Head) يشارك في معنى "حروف الجر on the top of / top / on"، ويستعمل الاسم خلف (Back) في معنى in back of، أَمَّا الاسم وجه (Face) فيستعمل في معنى "in front of"، كذا قرّرت أَنَّه من خلال تقصي هذه الوحدات العلاقيّة في 125 لُغة إفريقيّة، توصّلت دراسة «هين» ورفيقاه (Heine et al 1991) إلى أَنَّ أكثر من ثلاثة أَرباع العناصر (المفردات) مشتقة من أَسماء أَعضاء جسم الإنسان، أَمَّا سفورو (Svorou) 1993 فقد توصّل من خلال بحث أَمثلة مختلفة من جميع الفصائل اللّغويّة إلى أَنَّ أَعضاء الجسم البشريّ هي مصدر هذه الوحدات العلاقيّة، أَضف إلى هذا أَنَّ العلاقة بين هذه العناصر المكانيّة والنِّظام النّحويّ المجرد تمَّ التّأكيد عليها منذ السّبعينيّات حين اقترح أَندرسون (Anderson 1971)

(99) after Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994: op. cit., p.10-11.

نظريّة لـ "الحالات النَّحويّة" (Grammatical Cases) تقوم بالأَساس على العلاقات المكانيّة[100].

وعلى الرُّغم من أَنَّ بعض الأَمثلة السّابقة ربما تقترح علاقة أَحاديّة (من واحد إلى واحد) بين المفهوم المصدر والهدف؛ بمعنى أَنَّ ناتج عملية الإنحاء عنصر وحيد، يرى "السِّيسيّ" العلاقة بينها على العكس من هذا علاقة (واحد لمتعدد)؛ بمعنى أَنَّ مفهوم مصدر وحيد يمكن أَنْ يكون له أكثر من هدف؛ أي أَنَّ إِنحاء هذا المصدر ينتج الكثير من العناصر والصّيغ المرتبطة بهذا المصدر، وشاهده على هذا من العربيّة كلمة (سواء)، فالصّيغ المنحَاة عن هذه الكلمة تتضمن الرَّابط (سواءٌ)، وأَداة الاستثناء (سوى)، و(لاسيما)، فهذه الأَمثلة برأيه شاهدة على ما اصطلح عليه كولت كريج (Colette Craig) سنة 1991 بـ "الإِنحاء المتعدد" (Polygrammaticalization)[101].

ومن أَمثلة الإِنحاء المتعدد أَيضًا (حتى)، يقول "ابن منظور": "قال "الأَزهريّ": ... وقال بعضهم (يقصد: النَّحويّين): حَتَّى فَعْلى من الحتِّ، وهو الفراغ من الشَّيء مثل شَتَّى من الشَّتِّ، ... وقال "الجوهريّ": حَتَّى فَعْلى، وهي حرف"[102]، ومن المعاني الأُخرى التي ذكرها "الجوهريّ": تكون جارة بمنزلة

---

(100) see Joan Bybee 2003: op. cit., P.152.

والدِّراسات المشار إليها في الاقتباس على التّوالي للإطلاع هي:

- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991: Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.
- S. Svorou 1993: The Grammar of Space. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- J. M. Anderson 1971: The Grammar of Case: Towards a Localist Theory. Cambridge University Press

(101) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

ودراسة كولت كريج المشار إليها عنوانها:

Colette Craig 1991: Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.2: 455-92. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company

(102) ابن منظور : مرجع سابق، المجلد 2، ص23، 24.

(إلى) في الانتهاء والغاية، وتكون عاطفة بمنزلة الواو، وقد تكون حرف ابتداء، يُستأنف بها الكلام بعدها"[103]، ويرى «السِّيسيّ» أنَّ مثل هذه المعاني الدِّلاليّة والوظائف النَّحويّة لكلمة (حتى) توضح لنا أنَّ هذه الكلمة المشتقة من مصدر اسميّ جرى عليها ما يسمى "إعادة تحليل" (Reanalysis)[104] فاستعملت كحرف جر وكأداة، وأنَّ من آثار إعادة التَّحليل تعدد الوظائف والعلاقات التَّركيبيّة الخاصّة بهذه الكلمة[105]، ولكنَّه يرى من ناحية أُخرى أنَّه ربما ينشأ عن الإنحاء المتعدد غموض دلاليّ وتركيبيّ، مثال هذا استعمالنا (حتى) كحرف جر في مثل قولنا: أكلتُ السَّمكة حتى رأسها. الَّذي يتعارض مع استعمالها كأداة حيث يصبح المعنى: (أكلتُ السَّمكة، وحتى الرَّأس أكلتُها)[106].

إنَّ وجود أسماء أعضاء جسم الإنسان في صدر مسار إنحائيّ تثمر نهايته عن حرف جر يتمتع بمفهوم دلاليّ تضمَّنته دلالات هذا الصَّدر أو المصدر باصطلاح أهل الإنحاء ووفقًا لـ«فرضيّة تحديد المصدر SDH» يذكّرنا بمقاربة «بروكلمان» لحروف الجر في اللُّغات السَّاميّة - الَّتي أشرت إليها في بداية هذا البحث - حيث افترض أنَّ حروف الجر في اللُّغات السَّاميّة تطوَّرت عن الأسماء الَّتي تشير إلى أعضاء جسم الإنسان، وأنَّ تطوُّرها هذا مرَّ بمراحل أربعة من خلال آليَّات ثلاثة هي: فقد المحتوى الدِّلاليّ (من المرحلة الأُولى إلى الثَّانية)، و"التَّحجر" (fossilization) (من المرحلة الثّانية إلى الثَّالثة)، والتّقلص إلى وظيفة نحويّة خالصة (في المرحلة من الثّالثة إلى الرَّابعة)[107].

وفي اللُّغة العربيّة واتصالًا كذلك بالمصادر المفاهيميّة للإنحاء وسمات العناصر المنحَاة أشار "السِّيسيّ" إلى أنَّ أسماء أعضاء جسم الإنسان الَّتي تشير إلى علاقات مكانيّة يتم إنحاؤها كحروف جر: (**فو - فم< في**)، و(**وسط< وسط**)،

(103) ابن منظور: السّابق نفسه، ص24.

(104) راجع الهامش رقم 86 من هذا البحث.

(105) see Mohssen Esseesy 2009a: op. cit. p.39.

(106) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

(107) see Christian Lehmaan 2011: op. cit., p.2.

و(خلف< خلف)، و(قدم < قدام)، على عكس العناصر المحدّدة دلاليًّا مثل (كاحل–رمش–وغيرها)[108]. وجدير بالذِّكر هنا أَنَّ "السِّيسيّ" قارب في رسالته للدّكتوراه الَّتي نشرتها "Brill سنة 2010" إنحاء حروف الجر في اللُّغة العربيّة، وقد قامت الدِّراسة على مدونة لا بأس بها[109] من النُّصوص العربيّة القديمة والمعاصرة (شملت القرآن الكريم، وألف ليلة وليلة، وبعض الرِّوايات والأَعمال الإِبداعيّة المعاصرة بالإِضافة إِلى عددٍ لا بأس به من الأَعمال السِّياسيّة والثّقافيّة، وبعض الصُّحف المصريّة كالأَهرام والحياة والوطن والتّجديد، والكتابات اللّهجيّة مثل دردشة مصريّة)، وكان من الإِجراءات اللّافتة في هذه الدِّراسة توسيع فئة حروف الجر اعتمادًا على التَّشابهات الوظيفيّة المشتركة بينها وبين فئات وظيفيّة أُخرى لتشمل على سبيل المثال بعض الظُّروف كفئات فرعيّة لها[110]؛ لذا تجده في الاقتباس السَّابق يجمع بين (في ووسط وخلف وقدام)، وتتلخص وجهة نظره في أَنَّ الوظائف المتعددة الَّتي تؤديها مثل هذه الفئات أَو مُتَّصل الوظائفيّة التَّدرُجيّ (Gradational Continuum of Functionality)[111] الخاصّ بها يتحدى ذلك التَّصنيف التُّراثيّ الضَّيق، وأَنَّه من غير المنطقيّ أَنْ يتم حصر هذه الكلمات في مقولة تركيبيّة لا تعكس ذاك المدى الواسع من وظيفيَّتها أَو استعمالاتها داخل السِّياقات المختلفة[112]. وبغض النَّظر عن تصنيفه لهذه العناصر والعناصر المشابهة لها وظيفيًّا فإِنَّ مناقشة صحة هذا التَّصنيف أَو عدم صحته (وهو ما يقع بعيدًا عن مجال هذه الدِّراسة) لن تقدح في مقاربته للإِنحاء الحاصل في تلك

---

(108) see Mohssen Esseesy 2007: op. cit. p.193.

(109) يرى «ويلمسن» أَنَّ هذه المدونة تعتبر صغيرة نسبيًّا، وأَنَّها ربما كانت مناسبة وقت اعتماد دراسة الدُّكتور السّيسيّ عليها غير أَنَّها خضعت للتحديث. انظر:

Von David Wilmsen 2011: On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. p.1 In Orientalistische Literaturzeitung 106 (6): 1-9

(110) see Mohssen Esseesy 2010: Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study. p.339. Leiden: Brill

(111) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.344.

(112) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.348.

العناصر، وهو ما يشغلنا في البحث الحاليّ، ومن أَمثلة هذه الدِّراسة إِنحاء حرف الجر (في) كما يمثّله الجدول التَّالي(113):

| Stage | Period | Primary function | Form | Category |
|---|---|---|---|---|
| 0 | Pre-Classical | Concrete reference to body part | *fū/fī/fā* 'mouth' | Noun |
| I | Pre-Classical | Complement of *bi*-; preposition | *bi-fī/fī* 'within'/ in, at | Nominal dependent/ preposition |
| II | Classical/ Pre-Modern | Preposition | *fī* | Preposition |
| III | Modern | Preposition/particle | *bada'a fī* | Adprep |
| IV | Modern | Textual organizer | *fī l-wāqi'* 'indeed' | Clause linker |
| V | Modern | Existential pronoun | *fī* 'there is' | Pronoun |
| VI | Modern | clitic | *f-* | Phoneme (e.g., in *fēn* 'where') |

ووفقًا لهذا الجدول يمكننا القول إِنَّ إِنحاء حرف الجر (في) مرَّ بست مراحل؛ أولها تحوُّل هذه المفردة اامن اسم معجميّ دال على عضو من أَعضاء جسم الإِنسان (فو – في – فا) < إِلى مكمل [اسميّ] لحرف الجر الباء في مثل (بفي)اا في عربيّة ما قبل الفصحى، < ثمَّ إِلى حرف جر (في)اا في العربية الفصحى وما قبل المعاصرة، < ثمَّ إِلى أَداة في مثل: (بدأ في)اا، < ثمَّ إِلى رابط نصيّ في مثل: (في الواقع)اا، < ثمّ إِلى ضمير في مثل: "في ناس محترم"، < ثمَّ إِلى متصل Clitic في مثل: "فين"اا في العربيّة المعاصرة.

فإِذا كان المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة معنيًّا بمتابعة كل صيغة لُغويّة عربيّة منذ ولوجها متن هذه اللُّغة وحتى انقراضها، وبمتابعتها أَيضًا إِذا انتقلت إِلى لُغة أُخرى بالإِضافة إِلى توثيق وتَأريخ جميع التَّغيُّرات الَّتي تلحق بها، فإِنَّ نتائج بحوث الإِنحاء في اللُّغة العربيّة لابد أَنْ تلقى عناية القائمين على بناء هذا المعجم.

---

(113) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.186.

## اللُّغة العربيّة في معجم الإنحاء

أُقدّم فيما يلي وصفًا موجزًا لمعجم من المعاجم الرَّائدة في مجال الإنحاء مبينًا مدى الاهتمام الَّذي حظيت به اللُّغة العربيّة داخل هذا المعجم، وهو في الحقيقة اهتمام ضئيل جدًّا مقارنة بلُغات أُخرى، الأَمر الَّذي ينبّه الباحثين العرب إلى ضرورة الاهتمام بهذه الظَّاهرة وبحثها بحثًا جادًّا يستوعب أُسس مقاربتها النَّظريّة والتَّطبيقيّة بحيث نراعي من خلاله خصوصيّة تطوُّر اللُّغة العربيّة ونتيح له قدرًا كبيرًا من الانضباط العلميّ كي تنعكس تلك الخصوصيّة على مرآة المسارات الإنحائيّة (السَّليمة والصَّحيحة) للصيغ المعجميّة والنَّحويّة العربيّة، وأَزعم أَنَّ إنجاز معجم للإنحاء في اللُّغة العربيّة خطوة مهمة في سبيل صناعة المعجم التَّاريخيّ للُّغة العربيّة؛ ذلك أَنَّ وجود معجم الإنحاء - الَّذي سوف أَعرض له في الصَّفحات القليلة التَّالية – خير دليل على مكانة الإنحاء وأَهميته في الدَّرس اللِّسانيّ بصفة عامَّة وفي الصِّناعة المعجميّة بصورة خاصَّة.

صدر معجم الإنحاء عن جامعة كامبريدج سنة 2002 بتأليف كل من برند هين (Bernd Heine) وتانيا كوتيفا (Tania Kuteva) وبمساعدة فريق ضخم ضمَّ أَبرز الأَسماء الرَّائدة في مجال دراسة الإنحاء، تحت رعاية جمعية البحث الأَلمانيّة (Deutsche Forschungsgemeinschaft) (German Research Society)، ولمَّا كان هذا المعجم يتضمن أَمثلة من لُغات ولهجات كثيرة من مختلف أَنحاء العالم (وصل عددها إلى500 لُغة) فقد تمت عنونته بمعجم الإنحاء الشَّامل « World Lexicon of Grammaticalization»، هذه الأَمثلة – بحسب مقدمة المعجم - نتاج عشر سنوات (1991 حتى 2000م) من البحث والاستقصاء في هذا المجال. ويهدف هذا المعجم إلى أَنْ يقدِّم للقارئ الوسيلة الَّتي يفهم من خلالها كيف ترتبط المعاني النَّحويّة المختلفة بعضها مع بعض بطريقة صحيحة ومنظمة بعيدًا عن جفاف التّضمينات النَّظريّة للإنحاء، وبتعريف القارئ بثروة من المعلومات الَّتي تمَّ نشرها خلال ثلاثين سنة قبل صدوره بشأن أُصول الصِّيغ النَّحويّة

وتطوُّراتها، وتمثّل الجمهور المستهدف بهذه المعلومات في اللِّسانيِّين الوصفيِّين والتَّاريخيِّين على السَّواء، فالتَّاريخيُّون منهم سيجدون فيها آليَّات جديدة بعيدًا عن منهج المقارنة وإعادة البناء الدَّاخليّة (Internal Reconstruction) الَّتي لم تأتِ - بحسب أصحاب هذا المعجم - بنتائج مناسبة[114]. أمَّا الوصفيُّون فسيجدون الأسباب الَّتي تربط بين المعاني النَّحويّة المختلفة، وتلك الَّتي تقف وراء ذلك التَّرابط بين الصِّيغ النَّحويّة والمعاني الَّتي تعبر عنها، وهذه الثَّاوية خلف امتلاك الصِّيغ اللُّغويّة وظائف معجميّة ونحويّة[115]، هذا بالإضافة إلى أنَّ علماء النَّفس والأنثروبولوجيِّين وعلماء الاجتماع ربما يجدون في هذا المعجم سبيلًا جديدًا للكشف عن أنَّ هذا النَّوع من السُّلوك الإنسانيّ المسؤول عن تطوُّر الصِّيغ النَّحوية لا يختلف كثيرًا عن السُّلوك الَّذي يلحظونه في مجال عملهم[116]. كذلك حوت مقدمة المعجم تعريفًا موجزًا بالإنحاء وبنظريّته وبالآليَّات الَّتي ينطوي عليها[117] ومن ثمَّ بالمشكلات الَّتي قد تواجه هذه النَّظريّة وتلك الَّتي واجهتهم في اختيار طريقة مناسبة لصياغة المداخل[118]. وتلا هذا عرض لقواعد استعمال المعجم وإرشاداته ببيان أنواع المعلومات وطريقة تعيين المداخل واللُّغات والأمثلة والشُّروح[119].

وقد تضمَّن المعجم حوالي (400) عملية من عمليات الإنحاء المختلفة الَّتي جاءت مرتبة حسب الألفبائيّة الإنجليزيّة وفق ثُنائيّة "المصدر – الهدف" (Source-Target Lexicon)، بمعنى أنَّ كل مدخل يبدأ بالمفهوم أو الوظيفة الَّتي يؤديها عنصر (معجميّ/ نحويّ) ما في أصل وضعه داخل اللُّغة وينتهي بالمفهوم أو الوظيفة الَّتي أصبح عليها بعد الإنحاء، ثمَّ تُرتب هذه الوظائف ألفبائيًّا

(114) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: op. cit. p.1.
(115) Ibid., p.1.
(116) Ibid., p.1.
(117) Ibid., p.2-5.
(118) Ibid., p.5-13
(119) Ibid., p.13-14.

باعتبار الوظيفة الأَصليّة، بعدها يقدِّم المعجم تعريفًا لهذه الثُّنائيّة/ نوع الإِنحاء، ثمَّ يسرد مجموعة اللُّغات أَو اللَّهجات الَّتي توجد بها هذه الثُّنائيّة/ نوع الإِنحاء مشفوعة بالأَمثلة والشَّواهد الَّتي تمثِّل هذه العملية أَو غيرها. ويصرح أَصحاب المعجم باحتواء مداخله على نوعين من المعلومات؛ الأُولى: مجموعة معطيات وبيانات من لُغات مختلفة لا تجمع بينها - في الأَغلب الأَعم - فصيلة أَو صلة، والثَّانية: تحليل لهذه المعلومات ممثلًا في تصنيفها وتفسيرها التَّاريخيّ[120]، وقد تستلزم بعض المداخل قدرًا من التَّفصيل أَو التَّعليق حسب طبيعة عملية الإِنحاء الَّتي يمثّلها المدخل أَو أَحد طرفيه (المصدر والهدف) أَو كلاهما.

أَمَّا عن نصيب اللُّغة العربيّة من هذا المعجم -إِذا تمت مقارنتها بلُغات ولهجات أُخرى- فهو نصيب ضئيل جدًّا، ولعل السَّبب وراء هذا يكمن في قيام المعجم على الدِّراسات الَّتي تمَّ إِنجازها بالفعل حول الإِنحاء والاعتماد على الأَمثلة الَّتي وردت في ثنايا هذه الدِّراسات وأَغلبها لم يكن معنيًا ببحث الإِنحاء في اللُّغة العربيّة، ولم يكن معنيًّا باستنتاج الأَمثلة من مظانها العربيّة وفق مدونة مناسبة، وربما يعود السَّبب أَيضًا إِلى أَنَّ دراسات الإِنحاء في اللُّغة العربيّة المكتوبة بلُغات أَجنبيّة - على أَهميتها في التَّعريف بالظَّاهرة والتَّنقيب المضني من أَجل التماس أَكبر عدد من أَمثلتها الصِّحاح- دراسات ليس لها حظ كبير من الوفرة العدديّة ناهيك من قطاعيّة مثل هذه الدِّراسات، والجدير بالملاحظة هنا أَنَّ هناك دراسات عديدة حول الإِنحاء في اللُّغة العربيّة صدرت قبل نشر هذا المعجم بكثير أَغفلها المعجم أَو تغافل عنها، وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك دراسة بلقيس النَّجار الصَّادرة سنة1991[121]. وبمراجعة مصادر ومراجع هذا المعجم - وقد جمعتُ كل العناوين الَّتي تتصل بصورة أَو بأُخرى بالبحوث الَّتي قام عليها

---

(120) Ibid., p.13.

(121) see Balkees Al-Najjar 1991: Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (3-4): 665-75.

المعجم - لم أَجد غير دراسة وحيدة أَجراها «هين»[122] سنة 1982على اللَّهجة النُّوبيّة لم يكن الإِنحاء أَحد مفردات عنوانها، فذهبتُ أُراجع مصادر مداخل هذا المعجم الَّتي ذكرت اللُّغة العربيّة ضمن شواهدها فوجدتها دراسات معنية ببحث العموميَّات اللُّغويّة أَو بدراسة إِحدى اللَّهجات العربيّة المعاصرة، وكان للَّهجة النُّوبيّة النَّصيب الأَكبر من البحث والدِّراسة إِلى جانب لَهجات العربيّة في السُّودان وسُوريا وفلسطين، والواقع أَنَّ دراسات الإِنحاء بوجه عام - وعلى اختلاف منطلقاتها النَّظريّة - تستعين بالواقع اللَّهجيّ لاستكمال الصُّورة بشأن المسار الإِنحائيّ للعناصر المعجميّة موضع بحثها. وعلى أَيَّة حال، كان من بين أَوضح العمليَّات الإِنحائيّة الَّتي أَشار إِليها هذا المعجم ومثَّلت اللُّغة العربيّة أَحد شواهدها ما يلي:

**1- (Allative > Until (Temporal))**

تقوم هذه الثُّنائيّة (= عملية الإِنحاء) على تحوُّل الحالة المكانيّة الَّتي تدل المفردة عليها (المصدر) إِلى حالة زمانيّة (الهدف)، فمصدر هذه الثُّنائيّة (Allative) يشير إِلى الحالة الَّتي يتمُّ من خلالها تعيين منتهى حركة ما ووجهتها[123]؛ كأَنْ نقول: ذهبتُ إِلى البيت. بمعنى أَنَّها تدل على الغاية. أَمَّا هدف هذه الثُّنائيّة أَو نهاية مسار الإِنحاء فتشير إِلى حالة زمنيّة، ومثَّل المعجم لهذه الثُّنائيّة في اللُّغة العربيّة بحرف الجر (إِلى)[124]، واستعمل المعجم لفظ (العربيّة) دون تخصيص أَو

---

(122) عنوان هذه الدِّراسة:

- Bernd Heine 1982: The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, 3) Berlin: Reimer.

(123) R. L. Trask 1993: A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. p.13. London and New York: Routledge

(124) see Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: op. cit., p.41.

ومرجعه في هذا الشَّأن دراسة:

- Martin Haspelmath 1997: From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. p.67. Munich and Newcastle: Lincom Europa

وصف، ولكنَّه لم يقدّم شاهدًا على هذا، ويمكننا التماس شاهد هذه الثُنائيّة في مثل قولنا: انتظرتُ إلى الفجر.

2- (Benefactive > A-Possessive)

وتقوم الثُّنائيّة على تحوُّل المفردة من تعيين حالة المستفيد (شخص أو شيء) من حدث الفعل[125] إلى حالة الإضافة والملكيّة[126]، ومثَّل المعجم لهذه الثُّنائيّة في اللُّغة العربيّة بحرف الجر اللّام ( لـ )[127]، وكان شاهده على هذا من (العربيّة المعاصرة) قولهم: "للبيت".

3- (Comitative > H-Possessive)

وتقوم على التَّحوُّل من مفهوم المشاركة والمعيّة[128] إلى مفهوم الامتلاك[129]، ومثَّل المعجم لها في العربيّة بالحرف (مع)[130]، ولم يرد شاهد على هذا، ولم يحدد المعجم وصفًا للعربيّة كما فعل في العمليات الإنحائيّة الأُخرى، ويمكن أَنْ نمثّل لهذه العملية بقولنا: سافرتُ مع محمد ومعي دينار.

4- (Same > Intensive Reflexive)

وتقوم على التَّحوُّل من المطابقة إلى الذَّاتويّة (نفس < ذات)، ومثَّل لها المعجم بالعربيّة السُّوريّة[131] رغم وجودها في لَهجات عربيّة مختلفة،

5- (Sit (to sit, to stay) > Habitual)

وتقوم على التَّحوُّل من البقاء والاستقرار إلى الاستمرار، ومثَّل لها بتحوُّل (قاعد) العربيّة السُّودانيّة إلى (قي) في اللَّهجة النُّوبيّة، وعلَّق على هذا المسار بأنَّه

(125) Ibid., p.17
(126) Ibid., p.24.
(127) Ibid., p.54.
(128) Ibid., p.18.
(129) Ibid., p.24.
(130) Ibid., p.88.
(131) Ibid., p.261.

جزء من عملية عموميّة يتمّ خلالها إنحاء أفعال الأَوضاع Postural Verbs إلى علامات تدل على استمرار الأَحداث[132].

واللّافت هنا أَنَّ هذه أَمثلة قليلة جدًّا لعمليّات الإِنحاء في اللُّغة العربيّة بوجه عام، كما أَنَّها تضمَّنت فقط بعض التّنوعات اللُّغويّة ولم تتناول كامل التّنوعات الّتي تنتمي إِلى العربيّة، ناهيك من احتياج هذه العمليّات إِلى إِعادة فحص وفق مدونة مناسبة، فالحروف الّتي تمَّ التّمثيل بها ضمن العمليّات السّابقة لها - إِنْ أَردنا أَنْ يكون مثل هذا المعجم جامعًا شاملًا - أَنْ تكون جزءًا أَساسيًّا في عمليّات إِنحائيّة أُخرى لم يأت المعجم على ذكرها، أَو أَنْ تشاركها مساراتها بعض العناصر النّحويّة والمعجميّة الأُخرى، أَضف إِلى هذا ضرورة التّنبيه إِلى أَنَّ هناك دراسات تلت تاريخ صدور هذا المعجم تناولت الإِنحاء في العربيّة وأَسفرت نتائجها عن بعض العمليّات الّتي يمكن أَنْ تُضاف إِلى رصيد العربيّة من المسارات الإِنحائيّة، فدراسة "السِّيسيّ" 2010م – على سبيل المثال – جعلت الثّنائيّة التّالية:

Allative > Purpose

ومفادها التّحوُّل من حالة مكانيّة إِلى غاية أَو غرض ممثَّلة بالحرفين: (اللّام ـ لـ ) و(حتى)[133] في قولنا: (1) غادر لبيروت بالقطار، و(2) تسلَّق الجبل حتى القمة. ومعنى هذا أَنَّ مسار إِنحاء (اللّام) هو نفسه المسار الخاصّ بـ(حتى) لانتمائهما - رغم اختلاف بعض التّفاصيل الدِّلاليّة - إِلى مجال دلاليّ مشترك هو القصد إِلى تحقيق غرض ما، أَضف إِلى هذا أَنَّ (اللّام) الّتي كانت منذ قليل مثالًا للثّنائيّة (Benefactive > A-Possessive) (رقم2 فيما سبق) هي الآن طرف في عمليات إِنحاء أُخرى مختلفة عمّا تم إِثباته في المعجم الشّامل.

وما ينبغي أَنْ نقوله في هذا المقام إِنّنا بحاجة إِلى معجم للإِنحاء في اللُّغة العربيّة يستتبع كامل صيغها المنحَاة ومساراتها التّطوُّرية المختلفة متخذًا من ثنائيّة

(132) Ibid., p.278-9.
(133) see Mohssen Esseesy 2010: op. cit., p.291.

"المصدر والهدف" أَساسًا في توزيع هذه الصِّيغ على المفاهيم والدِّلالات المختلفة الَّتي مثلتها طوال رحلتها التَّطوُّرية تمامًا كما هو الحال في معجم الإِنحاء هذا. إِنَّ أَهمية وجود معجم كهذا في العربيّة تكمن في رسم صورة كاملة لتطوُّر الصِّيغ وتحوُّلاتها على المستوى المقوليّ والوظيفيّ مع التَّأريخ لهذا التَّحوُّل أَو ذاك، وهذا الأَمر يمثل أَحد أَهداف المعجم التَّاريخيّ، بمعنى أَنَّ وجود هذا المعجم بصيغة محكمة قائمة على بحث دقيق لظاهرة الإِنحاء قوامه مدونة واسعة ممتدة سيدعو القيمين على المعجم التَّاريخيّ إِلى إِعادة النَّظر في كثير من المسائل المعجميّة المتعلقة بهذه الصِّيغ.

وجملة القول: إِنَّ لـ «الإِنحاء» علاقة قوية بالمعجم التَّاريخيّ للُّغة بصفة خاصّة، وهي علاقة تفاعليّة؛ بمعنى أَنَّ الدِّراسات الَّتي تتبع التَّغيُّرات الَّتي تصيب أَلفاظ اللُّغة وتراكيبها وفق قواعد الإِنحاء فترصد تحوُّلها من أَلفاظ معجميّة إِلى أَلفاظ نحويّة أَو من أَلفاظ أَقل نحويّة إِلى أَلفاظ أَكثر نحويّة أَو تقف بها هذه الأَلفاظ عند مرحلة معينة من مراحل دورتها الإِنحائيّة خلال فترة زمنيّة معينة من حياة أَي لُغة، فإِنَّ مثل هذه الدّراسة يمكنها أَنْ تزود صانعي المعجم بقائمة مهمة من الكلمات - حتى وإِنْ لم تكن قائمة كبيرة العدد - لابد من أَنْ يقفوا أَمامها ويتأملوها ويتتبعوا مراحل ظهورها وتطوُّرها آخذين بعين الاعتبار التّفسيرات الَّتي تقدمها دراسات الإِنحاء بصفته فرضيّة قابلة للتّفسير والتّبرير، وعلى الجانب الآخر فإِنَّ وضع معجم تاريخيّ للُّغة العربيّة سيسهم بدوره في تقدّم مثل هذه الدِّراسات الَّتي لا تزال في بداية طريقها إِلى اللِّسانيّات العربيّة.

## المصادر والمراجع

**(أ) مصادر ومراجع عربيّة**

**- أَحمد العلويّ 2016:**

المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة وشروط قيامه، ضمن كتاب «المعجم التاريخي للغة العربية: رؤى وملامح»، إعداد منتصر أمين عبد الرحيم، وخالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، ص ص49– 68.

**- أَحمد مُختار عمر 2002م:**

المعجم الموسوعيّ لأَلفاظ القرآن الكريم وقراءاته، الرّياض، مؤسسة سطور المعرفة، الطّبعة الأَولى.

**- أَحمد مُختار عمر 2008م:**

معجم اللُّغة العربيّة المعاصرة، القاهرة: عالم الكتب، الطّبعة الأَولى.

**- ثُريا السُّكريّ عَامِر 2009م:**

ظاهرة الإِنحاء في اللُّغة العربيّة: الفعل النّاقص نموذجًا، تونس، كلية الآداب والفنون والإنسانيّات.

**- ابن جنيّ (أَبو الفتح عثمان بن جنيّ، ت 392هـ) :**

الخصائص، تحقيق عبد الكريم بن محمد، القاهرة، المكتبة التّوفيقيّة، د.ت.

**- جورج متري عبد المسيح 2016 م:**

دورُ المعجم العربيّ في إِحياء التّراث وتصوير الواقع واستشراف المستقبل، ضمن كتاب «المعجميّة العربيّة، قضايا وآفاق، الجزء الثّالث»، إِعداد منتصر أَمين عبد الرّحيم، وحافظ إسماعيلي علوي، إربد، دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى، ص93– 114.

- **أَبو حيّان الأَندلسيّ712هـ:**

الإِدراك للسان الأَتراك، مطبعة عامره، 1309.

- **الزّجاجيّ (أَبو القاسم عبد الرّحمن بن إِسحاق ت 337هـ):**

الإِيضاح في عِلل النّحو، تحقيق مازن المبارك، بيروت، دار النّفائس، الطّبعة الثّالثة.

- **سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت، 180هـ):**

الكتاب، تحقيق عبد السّلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطّبعة الثّالثة، 1988.

- **عبد الرّزاق بنور 2014 م:**

التّلازم الدّلاليّ والتّرسيس، ضمن كتاب «نحو معجم تاريخيّ للّغة العربيّة»، الدّوحة: المركز العربيّ للأَبحاث ودراسة السّياسات، الطّبعة الأَولى، ص ص111– 172.

- **عبد العلي الودغيري 2016م:**

التّأريخ المعجميّ والتّطوّر اللّغويّ، ضمن كتاب "المعجم التاريخي للغة العربية: رؤى وملامح»، إعداد منتصر أمين عبد الرحيم، وخالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، ص93– 122.

- **د. عبد المنعم السّيد جُدامي 2016م:**

المشكلات الثّقافيّة في معجم إِلياس بُقطُر، ضمن كتاب «المعجميّة العربيّة: قضايا وآفاق – الجزء الثّالث» إِعداد منتصر أمين عبد الرّحيم، وحافظ إسماعيلي علوي، إِربد، دار كنوز المعرفة، الطّبعة الأُولى، ص311– 378.

- **علي القاسميّ 2014:**

صناعة المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، بيروت، مكتبة لُبنان ناشرون، الطّبعة الأَولى.

- **علي القاسميّ 2016م:**

معالجة قوانين التّغير اللُّغويّ في المعجم التّاريخيّ، ضمن كتاب "المعجم التاريخي للغة العربية: رؤى وملامح»، إعداد منتصر أمين عبد الرحيم، وخالد اليعبودي، الرياض: مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى، ص159– 196.

- **مكتب تنسيق التَّعريب 2002م:**

المعجم الموحَّد لمصطلحات اللِّسانيّات – سلسلة المعاجم الموحَّدة رقم (1).

- **ابن منظور (أَبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم، ت 711هـ):**

لِسان العرب، بيروت، دار صادر.

(ب) مراجع أَجنبيّة

- **Aaron David Rubin 2004:**

Studies in Semitic Grammaticalization. PhD Thesis. Harvard University.

- **Antoine Meillet (Ed.) 1948:**

Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales) Paris: Champion.

- **Balkees Al-Najjar 1991:**

Grammaticalization of Lexical Markers in Kuwaiti Arabic. Folia Linguistica XXV (3-4): 665-75.

**- Bernd Heine & Mechthild Reh 1984:**

Grammaticalization and Reanalysis in African Languages. Hamburg : Helmut Buske.

**- Bernd Heine & Tania Kuteva 2002:**

On the Evolution of Grammatical Forms. in Alison Wary (Ed.): The Transition to Language. Oxford University Press.

**- Bernd Heine & Tania Kuteva 2004:**

World Lexicon of Grammaticalization. Cambridge University Press.

**- Bernd Heine & Tania Kuteva 2005:**

Language Contact and Grammatical Change. Cambridge University Press .

**- C. H. M. Versteegh 2006:**

Arabic Linguistics Tradition. in K. Brown (Ed.): Encyclopedia of Language and Linguistics. Vol.1: 434-40. Amsterdam: Elsevier.

**- Christian Lehmaan 2011:**

Grammaticalization of Semitic Case Relators. Aula Orientalis (29): 9-26. http://christianlehmann.eu/publ/gr-n_semitic_case.pdf.

**- Christian Lehmaan 2015:**

Thoughts on Grammaticalization. 3rd Ed. Berlin: Language Science Press.

**- Elizabeth C. Traugott 2002:**

From Etymology to Historical Pragmatics. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.

**- Frederick J. Newmeyer 1998:**

Language Form and Language Function. MIT Press .

**- Hana Zabarah 2012:**

The Notion of 'Complete' and 'Incomplete' Verbs in Early Arabic Grammatical Theory. in Reem Bassiouney & Graham E. Katz (Eds.): Georgetown University Round Table on Languages and Linguistics: Arabic Language and Linguistics. Washington: Georgetown University Press.

- **Henning Andersen 2008:**

Grammaticalization in a Speaker-Oriented Theory of Change. in Þórhallur Eyþórsson (Ed.): Grammatical Change and Linguistic Theory. Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins.

- **Ian Roberts 2010:**

Grammaticalization, The Clausal Hierarchy and Semantic Bleaching. in Elizabeth Closs Traugott & Graeme Trousdale (Eds.): Gradience, Gradualness and Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

- **Ilse Wischer 2000:**

Grammaticalization versus Lexicalization: 'Methinks' there is some Confusion. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company

- **Jerzy Kurylowicz 1975:**

Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories) Munich: Wilhelm Fink.

- **Joan Bybee, Revere Perkins & William Pagliuca1994:**

The Evolution of Grammar: Tense, Aspect, and Modality in the Languages of the World. Chicago and London: University of Chicago Press.

- **Joan Bybee 2003:**

Cognitive Processes in Grammaticalization. In M. Tomasello (Ed.): The New Psychology of Language. Vol.2. New Jersey: Lawrence Erlbaum Associates Inc.

- **Joan Bybee & Joanne Scheibman 2007:**

The Effect of Usage on Degrees of Constituency: The Reduction of Don't in English. in Joan Bybee (Ed.): Frequency of Use and the Organization of Language. Oxford University Press.

- **Joan Bybee 2009:**

Grammaticization: Implications for a Theory of Language. In J. Guo, E. Lieven, S. Ervin-Tripp, N. Budwig, S. Ozcaliskan, and K. Nakamura (eds.), Crosslinguistic Approaches to the Psychology of

Language: Research in the Tradition of Dan Isaac Slobin. New York: Taylor and Francis Group, LLC. 345-355.

**- John van der Auwera 2002:**

More Thoughts on Degrammaticalization. in Ilse Wischer & Gabriele Diewald (Eds.): New Reflections on Grammaticalization. John Benjamins Publishing Company.

**- Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco 2007:**

A Glossary of Historical Linguistics. Edinburgh University Press.

**- Martine Vanhove, Catherine Miller and Dominique Caubet 2009:**

The Grammaticalisation of Modal Auxiliaries in Maltese and Arabic Vernaculars of the Mediterranean Area. In Björn Hansen and Ferdinand de Haan (eds.): Modals in the Languages of Europe : a Reference Work. Empirical Approaches to Language Typology, No.44. Mouton de Gruyter.

**- Mohssen Esseesy 2007:**

Grammaticalization. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.II. (191-8) Leiden, Boston: Brill.

**- Mohssen Esseesy 2009a:**

Reanalysis. In Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (37-43) Leiden, Boston: Brill.

**- Mohssen Esseesy 2009b:**

Semantic Bleaching. in Kees Versteegh et al (Eds): Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.IV. (160-4) Leiden, Boston: Brill.

**- Mohssen Esseesy 2010:**

Grammaticalization of Arabic Prepositions and Subordinators. A Corpus-based Study.. Leiden: Brill.

**- Muriel Norde 2012:**

Lehmann's Parameters Revisited. in Kristin Davidse, Tine Breban & Lieselotte Brems (Eds.): Grammaticalization and Language Change: New Reflections. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

- **Nikolaus P. Himmelmann 2004:**

Lexicalization and Grammaticalization: Opposite or Orthogonal?. p.21. in Walter Bisang, Nikolaus P. Himmelmann and Björn Wiemer (Eds.): Trends in Linguistics. Studies and Monographs. Berlin/Boston: Mouton De Gruyter.

- **Östen Dahl 2004:**

The Growth and Maintenance of Linguistic Complexity. Amsterdam/Philadelphia: John Benjamins.

- **Paul J. Hopper 1996:**

Some Recent Trends in Grammaticalisation. Annual Review of Anthropology, vol.25:217-36.

- **Paul J. Hopper & Elizabeth C. Traugott 2003:**

Grammaticalization. 2nd ed. p.1-2. Cambridge: Cambridge University Press.

- **R. L. Trask 1993:**

A Dictionary of Grammatical Terms in Linguistics. London and New York: Routledge.

- **Roger Lass 2000:**

Remarks on (Uni)dierctionality. In Olga Fischer, Anette Rosenbach & Dieter Stein (Eds.): Pathways of Change: Grammaticalization in English. John Benjamins Publishing Company.

- **Stephen G. Alter 2001:**

The Linguistic Legacy of William Dwight Whitney. in Sylvain Auroux et al. (Eds.): History of the Language Sciences. Vol.2. pp.1923-31. Berlin, New York: Walter de Gruyter.

- **Von David Wilmsen 2011:**

On Grammaticalization Processes in Arabic, the Use of Corpora and the Limits of Theory: Claims and Counter Claims. Orientalistische Literaturzeitung 106 (6): 1-9.

## (ج) مراجع وردت ضمن مراجع البحث الأساسيّة

**- Bernd Heine 1982:**

The Nubi Language of Kibera – An Arabic Creole: Grammatical Sketch and Vocabulary. (Language and Dialect Atlas of Kenya, 3) Berlin: Reimer.

**- B. Heine, U. Claudi & F. Hunnemeyer 1991:**

Grammaticalization: A Conceptual Framework. University of Chicago Press.

**- Colette Craig 1991:**

Ways to go in Rama: A Case Study in Polygrammaticalization. In Elizabeth C. Traugott & Bernd Heine (Eds.): Approaches to Grammaticalization. Vol.2: 455-92. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

**- Elizabeth Closs Traugott 1982:**

From Propositional to Textual to Expressive Meanings: Some Semantic-Pragmatic Aspects of Grammaticalization. In W. P. Lehmann & Yakov Malkiel (Eds.): Perspectives in Historical Linguistics. 245-71. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

**- J. M. Anderson 1971:**

The Grammar of Case: Towards a Localist Theory. Cambridge University Press.

**- James Li 1977 (Ed.):**

Mechanisms of Syntactic Change. Austin: University of Texas Press.

**- Martin Haspelmath 1997:**

From Space to Time: Temporal Adverbs in the World's Languages. Munich and Newcastle: Lincom Europa.

**- S. Svorou 1993:**

The Grammar of Space. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.

# المصطلحات اللّسانيّة في المعاجم العربيّة

د. منتصر أَمين عبد الرَّحيم
أُستاذ اللِّسانيَّات المساعد- الكلية
الجامعيَّة - جامعة الطَّائف

## تاريخ المعاجم اللِّسانيَّة في الغرب

ما يشغلني في سياق هذه المقدمة هو رسم صورة تاريخيَّة موجزة - بطبيعة الحال - عن صناعة المعاجم اللِّسانيَّة في الغرب[1]، ربما تؤكد على أَنَّ هذه الصِّناعة - بتطوُّرها الواقعيّ والعمليّ دون البحث في تنظيرات هنا وهناك - تعكس توجهًا حقيقيًّا نحو تعيين خصائص معجم لسانيّ يتجدَّد بتجدّد الاهتمامات اللِّسانيَّة السَّائدة، وتثبت أَنَّ هناك نزعة دائمة لدى أَصحاب هذه الصِّناعة نحو الاختصاص. وفي سياق هذا التَّقديم، سنرى أَنَّ مسألة توحيد مصطلحات اللِّسانيَّات وتوطينها مسألة قديمة، وأَنَّ المشكلات الَّتي صاحبت النِّتاج المعجميّ الغربيّ، تكاد تشبه ما تواجهه المعاجم اللِّسانيَّة العربيَّة.

بداية، يمكنني القول إِنَّ المعجم الَّذي قدَّمه «لويس فرانسوا جيان L. F. Jéhan» (1803–1871) سنة 1864 بعنوان «معجم اللِّسَانيَّات والفيلولوجيا المقارنة Dictionnaire de Linguistique et de Philologie Comparée» هو أَول معجم لِسَانيّ يشير عنوانه إِلى جدل فترة ليست بالقصيرة حول تسمية «اللِّسَانيَّات» وتمييزها، فالعنوان كما نرى يجمع بين «اللِّسَانيَّات» و«الفيلولوجيا»، وهو جمع يعكس تصوُّر بعض الدَّارسين آنذاك للعلاقة بينهما من ناحية، وعلاقتهما معًا بما كان سائدًا من مباحث النَّحو العامّ Grammaire Générale والنَّحو المقارن Grammaire Comparée من ناحية أُخرى، فقد

1 - هذا باستثناء المعاجم الموسوعية والببليوجرافية، إلا أن يجمع المعجم بين المصطلحات والببليوجرافيا.

امتازت الفترة الَّتي ظهر فيها هذا المعجم - وتحديدًا قبل سنتين من تأسيس «جمعية اللِّسَانيَّات Societé de Linguistique في باريس سنة 1866 وقبل أَربع سنوات من وفاة «أُوجست شلايشر A. Schleicher» (1821-1868) - بعدد مهم من محاولات التَّمييز بين الفيلولوجيا واللِّسَانيَّات، بوصف الأَخيرة علمًا مستقلًا ذا مجال بحثيّ يختلف عن مجال الأُولى[2]، على أَي حال لا غرابة في أَنْ نجد هذا المعجم مليئًا بأَسماء اللُّغات وفصائلها ولهجاتها، بناتها وأمهاتها وغير ذلك ممَّا يعكس التَّصوُّر السَّائد، في تلك الفترة، عن اللِّسَانيَّات وموضوعها، بوصفها، معنية فقط بدارسة تطوُّر اللُّغات عبر التَّاريخ؛ لذا أَعتقد أَنَّ ظهور معجم «جيان» السَّابق يعدُّ بداية منطقيَّة كافية لظهور أَعمال معجميَّة تالية تختص بمصطلحات «اللِّسَانيَّات»، سواء أَكان هناك تأثير مباشر أَو غير مباشر بينه وبين هذه الأَعمال.

إِنَّ العقود الثَّلاثة الأُولى من القرن العشرين وفق ما يشير إِليه «هانز - ديتر كريدور Hans-Dieter Kreuder» شكَّلت، في أُوروبا، بداية تأسيس مصطلحات اللِّسَانيَّات والاهتمام بتوحيدها وصناعة معاجمها كي يتمَّ اعتمادها، والعمل بها في غالبية المدارس والجامعات الأُوروبيَّة بكل لغاتها، وبدأ السَّعي نحو تحقيق هذه الأَهداف في فرنسا سنة 1906 في أَحد المؤتمرات الَّتي ضمَّت عدة لجان دوليَّة تمَّ تشكيلها لهذا الغرض، غير أَنَّ كل لجنة ركَّزت على لغتها الأَصليَّة فقط، ثم في انجلترا سنة 1908، وعقب أَحد المؤتمرات (برمنجهام) المعنية بالمصطلحات اللِّسانيَّة، تمَّ تشكيل لجنة مشتركة تهتم بالمصطلحات النَّحويَّة للغات خمس هي: اللَّاتينيَّة واليونانيَّة والفرنسيَّة والأَلمانيَّة والإِنجليزيَّة[3]، ولكنَّ عدة أَسباب ربما

---

2 - للمزيد حول تاريخ مصطلح اللسانيات في فرنسا في تلك الفترة انظر :
S. Auroux 1987: The First Uses of the French Word Linguistique (1812- 1880). pp. 447-59.

3 - Hans-Dieter Kreuder 2003: Metasprachliche Lexikographie: Untersuchungen zur Kodifizierung der linguistischen Terminologie. p.29 Tübingen: Max Niemeyer. and its Review by Maria Smit 2004: p.416. Lexikos (14): 415-22.

أَهمها (بعيدًا عن الأَسباب السِّياسيَّة حينها) عدم اتفاق أَصحاب الفيلولوجيا وأَصحاب اللِّسانيَّات على الأَهداف المبتغاة من وراء هذه المعاجم، أَو ما ستتضمَّنه من مصطلحات حالت دون إِكمال هذا المشروع، أَو غيره، من الخطط المتعلِّقة بصناعة معجم لسانيّ موحَّد. وفي العقد الثاني، أصبح الخلاف بين اللسانيين والفيلولوجيين وأهدافهم واضحاً، فاللسانيون يسعون خلف اعتراف غيرهم بعلمهم ومصطلحاته، بينما انصبّ اهتمام الفيلولوجيين على مجموعة المصطلحات الخاصة بالنّحو، وفي المؤتمر اللِّسَانيّ الدُّوليّ الأَول الَّذي عُقِد سنة 1928 في لاهاي – وهو ما يعدُّ لدى كثير من المنظِّرين نقطة تحوُّل في حياة العلاقة بين اللِّسَانيَّات والفيلولوجيا[4]- حذَّر اللِّسانيّون من ضيق الأُفق وأكدوا أَنَّ المشكلات المصطلحيَّة لن تحلّ دون تعاون كبير من جميع الدُّول، وبالتالي ركزت كل دولة على مصطلحاتها، بحيث يتمُّ تدقيقها، فيما بعد، من خلال اللَّجنة المركزيَّة، وتطلَّب تنفيذ هذه الخطط وقتًا طويلًا، وفي سبتمبر سنة 1932 عقدت اللَّجنة المركزيَّة جلستها الأُولى في فرانكفورت، وكان واضحًا أَنَّ هذا المشروع من المشاريع الصَّعبة بسبب اختلاف التَّصورات الدِّلاليَّة للمصطلحات في اللُّغات المختلفة، وبعد جلسة فرانكفورت، هذه، وضع استبيان حول المكافئات الَّتي تحتاج إِلى تقويم اتضح، من خلاله، أَنَّ عددًا غير قليل من اللُّغات لا توجد بها هذه المصطلحات، وأَنَّ مصطلحات بعضها مؤسسة بشكل تام على أَنظمة مختلفة من المقاربات، لكنَّ الظُّروف السِّياسيَّة السَّائدة آنذاك ووفاة بعض القيمين على المشروع، ونفي بعضهم مثل رومان ياكبسون R. Jakobson جمَّدت هذا المشروع[5].

---

4 - cf John Walmsley 2011: A Term of Opprobrium: Twentieth Century Linguistics and English Philiology. pp.40-41.

5 - Hans-Dieter Kreuder 2003: op. cit. p.54-61 and its Review by Maria Smit 2004: op. cit. p.417

وفي سنة 1933 صدر قاموس «جولي أُميل ماروزو J. E. Marouzeau» (1878–1964) بعنوان «قاموس المصطلحات اللِّسانيَّة Lexique de la Terminologie Linguistique: Français, Allemand, Anglais» متعدد اللُّغات (فرنسيّ، أَلمانيّ، إِنجليزيّ)، وتوالت طبعاته حتى نصل إِلى سنة 1951 فتصدر طبعته وقد أُضيفت إِلى قائمة لغاته اللُّغة الإِيطاليَّة بعد أَنْ تمَّ انتقاده بسبب استبعاده المدرسة اللِّسانيَّة الإِيطاليَّة[6]، وتبعًا لـ «موريس لوروي M. Leroy» كان «ماروزو» يقوم بتحيين قاموسه كل مرة يصدر فيها؛ وبالتالي يمكننا أَنْ نكتشف، في كل طبعة من طبعاته، عددًا من المصطلحات اللِّسانيَّة الجديدة، كما أَفاض في تعريف بعض هذه المصطلحات، وكان اختصاص أَغلب مصطلحاته يندرج ضمن علم الأَصوات واللِّسانيَّات البنيويَّة، والنَّحو المقارن للغات غير الهندو-أوروبيَّة، ولكن يظل شأنه شأن غيره من حيث عدم استيفائه كل الرَّصيد المصطلحيّ المنجز[7]، ولعل معجم «ماروزو» يمثل رصدًا لبداية التَّطوُّرات المعاصرة للسانيَّات بوصفها علمًا، ويدلنا على هذا أَنَّ «ماروز» نفسه أَصدر سنة 1950، أَي قبل سنة من صدور طبعة قاموسه الجديدة، كتابًا بعنوان «اللِّسانيات أَو علم اللُّغة La linguistique ou science du langage»، ومن هنا يكتسب هذا القاموس أَهمية تاريخيَّة خاصَّة فهو أول معجم في اللِّسانيَّات. وتتجلّى هذه الأَهمية في اعتماد الإسبانيّ «فرناندو لازارو كاريه F. L. Carrete» على كثير من المصطلحات الَّتي وردت في قاموس «ماروزو»[8] في بناء معجمه «Diccionario de términos filológicos» الصَّادر سنة 1953 رغم ما يثيره معجم «كاريه»، مرة أُخرى، من إِشكال العلاقة بين اللِّسَانيَّات والفيلولوجيا.

---

(6) Maurice Leroy 1946: Marouzeau (Jules), Lexique de la terminologie linguistique. Français, Allemand, Anglais. Revue belge de philologie et d'histoire, tome 25, fasc. 1-2: pp. 165-166.

(7) Maurice Leroy 1946: Ibid., p.166.

(8) F. L. Carrete 1977: Diccionario de términos filológicos. p.9. Editorial Gredos. Madrid.

وفي سنة 1954 صدر معجم «ماريو باي Mario Pei» بالمشاركة مع «فرانك جينور Frank Gaynor» بعنوان «معجم اللِّسانيَّات Dictionary of Linguistics ويشتمل المعجم على: عدد من المصطلحات النَّحويَّة التَّقليديَّة، واللِّسانيَّات التَّاريخيَّة، واللِّسانيَّات الوصفيَّة، و أَسماء اللُّغات واللَّهجات، واستهدف المعجم شريحة الطُّلاب والعاملين في المجالات اللَّسانية الأَربعة الَّتي يشملها، بالإِضافة إِلى مدرسّي اللُّغات القديمة والحديثة، وبعض الفيلولوجيين[9]، ويتميز المعجم بالتَّعريفات الموجزة، وترقيم المعاني المختلفة للمصطلح الواحد، واستعمال نظام الإِحالة، وبيان العلاقات بين المصطلحات، وعزو المصطلحات إِلى أَصحابها، وذكر بعض المصادر والمراجع في نهاية التَّعريف.

وفي تطوُّر مُلفت لصناعة المعاجم اللِّسانيَّة في الغرب، صدر مسرد «إريك هامب E. P. Hamp» سنة 1957 بعنوان « A Glossary of American Technical Linguistic Usage 1925-1950» ويُعنى -كما يتضح من عنوانه- بالمصطلحات والمفاهيم اللِّسانيَّة السَّائدة في الولايات المتحدة والموثَّقة في الأَعمال الصَّادرة منذ سنة 1925 وحتى 1950، ورغم الانتقادات الخاصَّة بعد اشتماله على جميع مصطلحات تلك الفترة، وبإقصائه مجموعة مهمة من المؤلفات والمصطلحات اللِّسانيَّة المتداولة[10]، فإِنَّ هذا المسرد البسيط الَّذي لا يتعدى، بدون مقدمته، خمسين صفحة يمثل برأيي نقلة جديدة في صناعة المعاجم اللِّسانيَّة ربما يكون لها أَثرها - أَو على أَقل تقدير ما يوازيها - في أَعمال موالية تنحو منحى التَّخصيص. ففي سنة 1960 قدَّم «جوزف فاشيك J. Vachek» معجم المصطلحات اللِّسانيَّة الخاصَّة بمدرسة براغ اللِّسانيَّة، وهو معجم متعدد اللُّغات (الفرنسيَّة، الإِنجليزيَّة، الأَلمانيَّة، التِّشيكيَّة) صدر بعنوان

9 - Mario A. Pie & Frank Gaynor 1954: Dictionary of Linguistics. Preface. Philosophical Library.

10 - Anna L. DeMiller 2000: Linguistics : A Guide to the Reference Literature. p.15. 2nd Ed. Libraries Unlimited, Inc. Englewood, Colorado.

«Dictionnaire de linguistique de l'École de Prague»، بالتعاون مع «جوزف دوبسكي J. Dubsky»، وإذا كان عمل «هامب» اختص باللسانيَّات في الولايات المتحدة محدَّدة بفترة تاريخيَّة معيَّنة، فإنَّ هذا المعجم حاول الإحاطة بمعطيات الدَّرس اللِّسانيّ الخاصّ بمدرسة براغ بصيغة المعجم في فترة امتدت من سنة 1928 إلى 1958، أضف إلى هذا أنَّ «فاشيك» سلك النِّظام عينه الَّذي اتبعه «هامب» في إيراد الاقتباسات داخل المعجم. أمَّا علاقة هذا العمل بمعجم «ماروزو»، فتتجلى في استيحاء منهج «ماروزو» في صك مكافئ المصطلح في غير لغته الأَصليَّة من اللُّغات الَّتي لا تتضمَّن هذا المصطلح[11].

ولعل صدور مسرد «هامب» ومعجم «فاشيك» مثَّل مدخلًا مناسبًا لعدد غير قليل من المعاجم اللَّاحقة الَّتي تتناول فئة معينة من المصطلحات، منها قاموس «رادولف انجلر R. Engler» الَّذي تضمَّن المصطلحات اللِّسانيَّة الواردة في بعض مؤلفات «فردينان دو سوسر F. de Saussure» وصدر سنة 1968 بعنوان «Lexique de la terminologie Saussurienne»[12]. كما صدر في أَلمانيا معجم «لانج E. Lang» سنة 1967 « Terminologie der Generativen Grammatik»[13]، وهناك مسرد «أنيبال سانشيز دياز Anibal Sánchez Diaz» و«إرنستو زريه Ernesto Zierer»، الصَّادر سنة 1971 بعنوان « Glosario Explicativo Inglés-Castellano de Término de Grammática Generativa Transformacional» حول مصطلحات النَّحو التَّوليديّ باللغتين الإنجليزيَّة والقشتاليَّة[14]، وهناك أيضًا مسرد «روبرت ألان بالماتيي Robert Allen Palmatier» حول مصطلحات النَّحو التَّحويليّ للغة الإنجليزيَّة الَّذي صدر سنة

---

11- Vachek, J. & Dubsky 2003: Dictionary of the Prague School of Linguistics. Translated by Aleš Klégr et al.; edited by Libuše Duškova. p.33; 35. John Benjamins.

12- Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p.14

13 - Hans-Dieter Kreuder 2003: op. cit., p.96

14 - Anibal Sánchez Diaz & Ernesto Zierer 1971: Explicativo Inglés-Castellano de Término de Grammática Generativa Transformacional. Universidad Nacional de Trujillo (Peru).

1972 بعنوان «A Glossary for English Transformational Grammar»، وقد اعتمد على 72 عملًا متصلًا بالنَّحو التَّحويليّ عامَّة، وبالقواعد التَّحويليَّة للغة الإنجليزيَّة خاصَّة[15]. وفي هذا السِّياق يمكننا أيضًا الإشارة بصورة خاصَّة إلى مسرد «جين أمبروز-جيرلت Jeanne Ambrose-Grillet» الصَّادر سنة 1978 بعنوان «Glossary of Transformational Grammar» إذ يعدُّ استكمالًا لمشروع «بالماتيي» السَّابق الَّذي توقف بالنظرية ومصطلحاتها عند سنة 1965. أمَّا هذا المسرد فقد تتبع تطوُّراتها حتى سنة 1975 واعتمد بصورة أساسيَّة على مؤلفات «تشومسكي» فقط[16]. واتصالًا بمعجم «فاشيك» يمكنني الإشارة إلى «معجم المصطلحات اللِّسانيَّة السّلافيَّة Slovník slovanské lingvistické terminologie- Slovar' slavyanskoi lingvisticheskoi terminologii- Dictionary of Slavonic Linguistic Terminology» من إعداد «ألوزي يدليتشيكا Alois Jedlička» الصَّادر في مجلدين سنة 1977 و1979، وهو ما اقترحت إعداده اللَّجنة الدُّوليَّة للمصطلحات اللِّسانيَّة International Committee for Linguistic Terminology (ICLT) في براغ سنة 1960 (السَّنة نفسها الَّتي ظهر فيها معجم «فاشيك») وأصبح مشروعًا دُوليًّا اشترك فيه عدد غير قليل من اللِّسانيّين، وهو معجم متعدّد اللُّغات (14 لغة) لغته الأساسيَّة التِّشيكيَّة متبوعة بغيرها من اللُّغات السّلافيَّة، بالإضافة إلى اللُّغات الغربيَّة الثَّلاثة (الإنجليزيَّة والفرنسيَّة والألمانيَّة)، ما لم يصف المصطلح ظاهرة معيَّنة في لغة مختلفة ولا كُتِب بلغته الأصليَّة، ويضمّ المعجم نحو ألفين وثلاثمائة مصطلح[17] إلا قليلًا. ومن النَّماذج السَّابقة يمكننا القول، إنَّ المعاجم اللِّسانيَّة خلال أربعة عقود من القرن العشرين (من الخامس إلى الثَّامن)، لاسيما مع ظهور مسرد «إيرك هامب» نحت منحى جديدًا ينزع إلى التَّخصيص الَّذي تنوع

---

15 - Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p.22

16 - Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p.4

17 - Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p.17

في هذه النَّماذج بين مصطلحات تستعمل ضمن لغات منطقة جغرافيَّة معيَّنة (أمريكا وبعض مناطق أُوروبا)، ومصطلحات خاصَّة بمدرسة معيَّنة (مدرسة براغ)، أَو مصطلحات مؤلِّف شكَّل نتاجه تحولًا ملفتًا في دراسة الظَّاهرة اللُّغويَّة (مثل دو سوسير)، أَو مصطلحات توجُّه مختلف في سياق تطوير أَهداف الدَّرس اللِّسَانيّ مثل (النَّظريَّة التَّوليديَّة التَّحويليَّة). هذا بالإضافة إِلى العناية بمستوى معيَّن من مستويات التَّحليل، مثلما نراه في مسرد «ستانلي جيرسون S. Gerson» الَّذي صدر سنة 1969 A Glossary of Grammatical Terms، ومن بعده مسرد «أَندرو ماكليتش Andrew MacLeish» سنة 1971 بعنوان « A Glossary of Grammar and Linguistics» ويستهدف المسرد طلاب اللِّسانيَّات المبتدئين، ويقدِّم لهم تلك المصطلحات الَّتي يجدونها في الكتب التَّعليميَّة البسيطة أَو المتوسطة، مع تركيز عنايته على المصطلحات النَّحويَّة؛ لأَنَّها كما يرى «ماكليتش» المظهر الأَكثر انتشارًا بالإِضافة إِلى بعض الموضوعات اللِّسانيَّة مثل: تطوُّر اللُّغة والأَصوات واللَّهجات، وكان الغرض الرَّئيس من ورائه مقابلة ثلاث مقاربات نحويَّة هي: النَّحو التَّقليديّ، والنَّحو البنيويّ، والنَّحو التَّحويليّ، واستقصاء مصطلحاتها في المؤلفات المعاصرة له[18]، وتميز المسرد باعتماد التَّعريف ركنًا أَساسيًّا فيه، بالإِضافة إِلى استعمال الأَمثال والرُّسوم التَّوضيحيَّة، ونظام إِحالة جيد، ولكنَّه لم يتضمَّن قائمة بالمصادر والمراجع.

على الجانب الآخر توالى صدور المعاجم اللِّسانيَّة «العامَّة»، ففي سنة 1968 صدر قاموس «روز ناش Rose Nash» بعنوان « Multilingual Lexicon of Linguistics and Philology»، وهو عبارة عن قائمة من المصطلحات اللِّسانيَّة متعددة اللُّغات (الإِنجليزيَّة والرُّوسيَّة والأَلمانيَّة والفرنسيَّة) خالية من التَّعريف، وتضمُّ نحو 5000 مدخل إِنجليزيّ ويصل عدد مصطلحاتها مع اللُّغات الأُخرى إِلى 23000 مدخل، أَمَّا الفجوات المصطلحيَّة فقد استعان عليها «ناش» بالترجمة

18 - Andrew MacLeish 1971: A Glossary of Grammar and Linguistics. p.3 Grosset and Dunlap.

مع وضع المصطلحات المترجَمة بين قوسين[19]، ولكنَّ ظهور الفيلولوجيا في عنوانه غير مبرر في مقدمته بطريقة وافية. وفي ألمانيا أصدر «ثيودور ليفاندوفسكي Theodor Lewandowski» سنة 1973 «معجم اللِّسانيَّات Linguistisches Wörterbuch» الَّذي وصلت طبعاته إلى ست آخرها صدرت 1994 في مجلدات ثلاثة غطَّت مجموعة مهمّة من المصطلحات الَّتي تمثل أغلب مدارس التَّفكير اللِّسانيّ مع التَّركيز على المجالات الموازية كاللسانيَّات الاجتماعيَّة والنَّفسيَّة والتَّطبيقيَّة[20]، ومن بعده أصدر «فيرنر ابرهام Werner Abraham» سنة 1974 «مصطلحات اللِّسَانيَّات الحديثة Terminologie zur neueren Linguistik»[21] وقد صدرت طبعته الثَّانية سنة 1988 ويضم تعريفات المصطلحات والإشارة إلى مصادرها الأَصليَّة والمراجع الإضافيَّة المتعلِّقة بهذا المصطلح أو ذاك[22]، وفي فرنسا أَصدر «ديبوا وآخرون Jean Dubois» 1973 «معجم اللِّسانيَّات وعلوم اللُّغة Dictionnaire de la linguistique et des sciences du langage وتوالت طبعاته حتى الطَّبعة الثَّالثة سنة 2002 الَّتي جاءت بعنوان «معجم اللِّسانيَّات Dictionnaire de la linguistique» وقد تضمَّنت 130 تعريفًا موسوعيًّا تمَّ جمعها في قائمة وردت بعد المقدمة[23] هذا بالإضافة إلى قائمة المصادر والمراجع، ويغطي المعجم مجالات بحثيَّة عديدة تعكس مدى اهتمام صناعه بتحيينه من فترة إلى أُخرى ومدى عنايتهم بتعريف المصطلحات وترقيم التَّعريفات المتعدّدة للمصطلح الواحد مع بيان الاختصاص الَّذي ينتمي إليه كل تعريف، وفي سنة 1974 صدر معجم «جورج مونان Georges Mounin» بعنوان «معجم اللِّسانيَّات Dictionnaire de la linguistique»، وهو معجم يربط بين تعريف المصطلح الَّذي لا يتعدى في المعجم الفقرة أو الفقرتين وبين التَّخصص الَّذي ينتمي إليه المصطلح، مع تمييز المصطلحات الواردة في التَّعريف بعلامة نجميَّة إذا

19 - Rose Nash 1968: Multilingual Lexicon of Linguistics and Philology. p.viii. University of Miami Press.

20 - Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p.18 and Hans-Dieter Kreuder 2003: op. cit., p.115;135

21- Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p. 18 and Hans-Dieter Kreuder 2003: op. cit., p.121;156

22 - Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p.3 and Hans-Dieter Kreuder 2003: op. cit., p.121;156

23 - Jean Dubois et al 2002: Dictionnaire de la linguistique p.viii-ix Paris: Larousse.

كانت تشكل مداخل مستقلة داخل المعجم، مع الإشارة إلى المراجع والدِّراسات الَّتي تتعلق بالمصطلحات[24]، ويبدو أنَّ الآليات المستعملة في بناء هذين المعجمين مازالت مستمرة بصورة يمكننا من خلالها التَّلميح إلى بعض خصائص التَّقليد الفرنسيّ في صناعة المعجم اللِّسانيّ لاسيما إذا أضفنا إلى هذه الصُّورة معجم «فرانك نوفو Frank Neveu» الصَّادر سنة 2004 بعنوان «معجم علوم اللُّغة Dictionnaire des sciences du langage»؛ إذ تجد فيه اهتمامًا كبيرًا بتعريف المصطلحات، وتعيين الاختصاص الَّذي تنتمي إليه، وتمييز المصطلحات المستعملة في التَّعريف إذا كانت من مداخله بعلامات نجميَّة، هذا بالإضافة إلى اهتمامه بالإحالة والرَّبط بين المصطلحات، وتعيين المراجع الَّتي لها علاقة بالمصطلح، وترقيم التَّعريفات المختلفة للمصطلح الواحد، واستعمال الأمثلة الَّتي توضح المقصود بالمصطلح[25].

واختصارًا على القارئ المكرَّم أنتقل إلى توجه جديد في صناعة المعاجم اللِّسانيَّة في الغرب عسى أنْ يكون له صدى في النِّتاج المعجميّ العربيّ، ويمكن لي أنْ أضع هذا التَّوجه تحت عنوان «مرحلة الاختصاص»، وهي مرحلة تجد بداياتها في المعاجم الَّتي تناولت المصطلحات اللِّسانيَّة عامَّة، ولكنَّها في الوقت نفسه خصَّت قطاعًا معينًا من مجالات الدَّرس اللِّسانيّ بمزيد اهتمام مثل مسرد «ماكليتش MacLeish 1971» السَّابق الَّذي ركَّز على المصطلحات النَّحويَّة، ومعجم «ديفيد كريستال D. Crystal» الَّذي يركِّز كما يتضح من عنوانه على علم الأصوات A First Dictionary of Linguistics and Phonetics (1980-2008)، وهي كذلك مرحلة لا تنفصل عن جذورها التَّاريخيَّة الَّتي يمكن أنْ تتمثَّل في المعاجم الَّتي ركَّزت على نتاج مقاربات معيَّنة لها أثرها في تطوُّر اللِّسانيَّات ومنهجياتها مثل معجم «إ. لانج» 1967 الَّذي اهتم بمصطلحات «دو

24 - Anna L. DeMiller 2000: op. cit. p.21

25 – انظر فرانك نوفو: قاموس علوم اللغة، ترجمة د. صالح الماجري2012. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى.

سوسير» ومعجم «رادولف إنجلر» 1968 المعني بمصطلحات النَّحو التَّوليديّ، ويمكننا تقسيم هذا التَّوجه إلى مسارات ثلاثة؛ الأَول يقوم على مصطلحات الاختصاصات اللِّسانيَّة المترابطة، والثَّاني يفصل بين مصطلحات كل اختصاص، فيضع لكل اختصاص معجمه. ولعل الفارق بين المسارين يتمثَّل في اختلاف الرُّؤية المنهجيَّة الَّتي يتبناها واضع المعجم إزاء هذا الاختصاص أَو ذاك وإزاء العلاقة الَّتي تجمع بينهما، أَمَّا المسار الثَّالث فيهتم بمصطلحات اللِّسانيَّات الموازية أَو متداخلة الاختصاص كاللِّسانيَّات النَّفسيَّة أَو الاجتماعيَّة أَو الإدراكيَّة، أَمَّا المعاجم الَّتي تتناول ظواهر معيَّنة مثل الإنحاء[26] واكتساب اللُّغة[27] فأَنا أَستثنيها من هذا التَّوجه؛ لأَنها وما هو مثلها تنظر في موضوعات لسانيَّة بعيدة عن الأَنماط الَّتي ذكرتها.

ومن معاجم المسار الأَول معجم «تراسك R. L. Trask 1996» وعنوانه «A Dictionary of Phonetics and Phonology»، وهو موجه إلى الطُّلاب ومدرسي اللِّسانيَّات وعلم الأَصوات والفونولوجيا يتضمَّن نحو 2000 مصطلح مصحوبة بطريقة نطقها وتصنيفها الكلاميّ (اسم، فعل، صفة،... الخ) وهي طريقة جيدة في عرض المصطلح، كذا اهتم المعجم بتعريفات المصطلحات الَّتي تطول وتقصر حسب أَهميتها والقضايا المتعلِّقة بها، كما أَشار إلى تعدد معاني المصطلح الواحد واستعمل التَّرقيم لتحديد هذه المعاني، ووظَّف نظام الإحالة بصورة جيدة. ومن معاجمه أَيضًا المسرد الَّذي وضعه «آلان كروز Alan Cruse 2006» بعنوان «A Glossary of Semantics and Pragmatics» وهو موجَّه إلى الطَّلاب والمهتمين بهذين الاختصاصين، ويعنى بمفاهيم علم الدِّلالة والتَّداوليَّة مع الحرص على تقديم تعريفات وافية لكل مفهوم، ويشير المؤلِّف إلى أَنَّ المفاهيم

26 - like Donald A. Lassau 1994: A Dictionary of Grammaticalization, vols. 1-3. Bochum: Universitatsverlag Dr. N. Brockmeyer.

27 - like Bill VanPatten and Alessandro G. Benati 2010: Key Terms in Second Language Asquisition. Continuum.

الَّتي يتضمَّنها المسرد تنتمي إِلى ثلاثيَّة مترابطة تجمع بين السِّيميائيَّة والدِّلالة والتَّداوليَّة، واشتمل المسرد على مقدمة وافية وإِرشادات لكيفيَّة استعماله والرُّموز الكتابيَّة المستعملة ودلالاتها، وحرص على الأَمثلة والرُّسوم التَّوضيحيَّة، والإِحاطة بالتَّعريفات المختلفة للمصطلحات، وتوظيف الإِحالة في الرَّبط بينها.

وحتى يتضح الفرق بين المسارين أَبدأ نماذج المسار الثَّاني بالاختصاصات الَّتي مثَّلتُ بها لنماذج المسار الأَول، **النَّموذج الأَول** هنا يتمثل في «مسرد الفونولوجيا A Glossary of Phonology» لـ«فيليب كار Philip Carr 2005» الَّذي يرى أَنَّ اختصاص الفونولوجيا يتداخل مع الاختصاصات اللِّسانيَّة الأخرى؛ ومن ثَمَّ لابد من اشتمال المسرد على مجموعة المصطلحات الَّتي تمثِّل هذا التَّداخل فتجده مشتملًا على مصطلحات من اختصاص علم الأَصوات والنَّحو والمورفولوجيا واللِّسانيَّات الأجتماعيَّة واللِّسانيَّات التَّاريخيَّة، فالفونولوجيا في رأي «كار» لها تاريخ طويل لا يمكن التَّغاضي عنه؛ لأَنَّه يشكِّل جزءًا من السِّياق الفكريّ الَّذي يجب أَنْ تدرس فيه؛ لذا يرى أَنَّ فهم هذا الاختصاص لا يمكن أَنْ يتمَّ بعيدًا عن الاختصاصات الأُخرى المرتبطة به[28]، ولكن ما مدى انتشار مصطلحات هذه الاختصاصات في المسرد؟ والإِجابة أَنَّ «كار» حاول تحقيق توازن بين تعريف هذه المصطلحات في مسرده وما هو كائن منها في معاجم أَو مسارد أُخرى معاصرة تناولت هذه المصطلحات، وأَعتقد أَنَّ هذا ملمح مهم يجب أَنْ نفيد منه في صناعة المعاجم لاسيما الموحَّدة، كذلك تناولت المقدمة قضية أُخرى مهمَّة تتعلَّق بالمصطلحات غير الرَّسميَّة المستعملة في الخطاب اليوميّ أَو ما يمكن أَنْ نسميها أَشباه مصطلحات، وهي مما لم يتورع «كار» عن تضمينها شريطة أَنْ تكون واسعة التَّداول وذات تعريف واضح

(28Philip Carr 2005: A Glossary of Phonology. p.3 Edinburgh University Press.

ومحدَّد يستعمله نفر غير قليل من اللِّسانيين[29]. على أية حال اشتمل المسرد على تعريفات موجزة في الغالب، واستعمل نظام إحالة يعتمد على العلامات الطِّباعيَّة ككتابة المصطلحات بخط غليظ واستعمل الخط المائل للأَمثلة الَّتي حاول أَنْ تكون مناسبة للمستعمل إلا أَنْ تكون الظَّاهرة خاصَّة بلغة غير لغته.

**النَّموذج الثَّاني** الَّذي أَرغب في عرضه هنا هو كتاب «المصطلحات الأَساسيَّة لعلم الدِّلالة Key Terms in Semantics» الَّذي وضعه «لين مورفي M. Lynne Murphy» و«أنو كوسكلا Anu Koskela» سنة 2010، ففي مقدمته حدَّد المؤلفان موضوعه بعلم الدِّلالة اللُّغويَّة بوصفه فرعًا من اللِّسانيَّات يقارب معنى التَّعبيرات اللُّغويَّة في علاقتها ببنية اللُّغة الَّتي تكشف وربما تقيد مجموعة المعاني المحتملة والهرميَّة الَّتي يبنى من خلالها المعنى أَو يتمُّ تمثيله من خلالها، وتعرض المؤلفان لعلاقة علم الدِّلالة بغيره من العلوم الأُخرى كالفلسفة التَّحليليَّة مشيرين إلى أَنَّ الكتاب سيتضمَّن عددًا مناسبًا من المفاهيم الفلسفيَّة الَّتي ازدهرت فقط في القراءات اللِّسانيَّة لهذا الاختصاص، أَمَّا عن التَّداوليَّة والسِّيميائيَّة وعلم النَّحو، فقد ذكر المؤلفان أَنَّ التَّداوليَّة هي دراسة تأويل اللُّغة داخل السِّياق بينما تركِّز الدِّلالة على دراسة المعنى الَّذي تحمله التَّعبيرات اللُّغويَّة بعيدًا عن السِّياق، وعليه يحتوي الكتاب على عدد ضئيل من المفاهيم التَّداوليَّة الَّتي تقابل فقط بعض المصطلحات الدِّلاليَّة، وسيقتصر من المصطلحات السِّيميائيَّة على ما يتعلَّق فقط بالدِّلالة اللُّغويَّة، وعلى بعض المصطلحات النَّحويَّة (التَّركيب والمورفولوجيا والمقاربة الوظيفيَّة) مع التَّركيز فقط على السِّمات الدِّلاليَّة الَّتي تطبع المقولات النَّحويَّة[30]. والجديد في شكل هذا التَّأليف هو انقسامه إلى أَقسام ثلاثة هي: المصطلحات الأَساسيَّة، والأَعلام، والنُّصوص

29 - Philip Carr 2005: op. cit. p.4

30 - M. Lynne Murphy & Anu Koskela 2010: Key Terms in Semantics. p.3 Continuum.

الَّتي شكَّلت مناقشات مهمَّة في اختصاص علم الدِّلالة، هذا بالإضافة إلى الإشارة إلى مصادر ومراجع إضافيَّة في القسمين الأَخيرين، وكما يتضح من المقدمة فإنَّ الكتاب موجَّه نحو الطُّلاب والمدرسين. أمَّا **النَّموذج الثَّالث** هنا فهو «المصطلحات الأَساسيَّة في التَّداوليَّة Key Terms in Pragmatics» لـ«نيكولاس أولت Nicholas Allott» الَّذي صدر سنة صدور المعجم السَّابق 2010، حيث اختصر المؤلف العلاقة بين علم الدِّلالة والتَّداوليَّة في الرُّؤية الَّتي تنظر إلى التَّداوليَّة على أنَّها دارسة معنى المتكلم بعيدًا عن المعاني اللُّغويَّة للكلمات المنطوقة، ولهذا صاغ المؤلف هذه العلاقة في صورة معادلة هي (التَّداوليَّة = معنى المتكلم - الدِّلالة)[31]، وبالتالي من النَّادر أَنْ تجد ضمن قائمة المصطلحات أَو تعريفاتها شيئًا يتعلَّق بالدِّلالة، على عكس المعجم السَّابق الَّذي اختار من المصطلحات التَّداوليَّة ما يقابل بعض المصطلحات الدِّلاليَّة.

أَمَّا المسار الثَّالث المعني بمصطلحات اللِّسانيَّة الموازية أَو متداخلة الاختصاص فيمكنني تمثيله بمعجم «جوان سوان وآخرين Joan Swann et al» «معجم اللِّسانيَّات الاجتماعيَّة A Dictionary of Sociolinguistics» الصَّادر سنة 2004، بدأت مقدمته بالشَّريحة المستهدفة وهم الطُّلاب والمدرسون والباحثون وأَصحاب الاهتمام من أَي مجال لغويّ يعنى بمقاربة ذات توجه اجتماعيّ، ويغطي المعجم اللِّسانيَّات الاجتماعيَّة المعاصرة منذ بداياتها في العقد السَّادس من القرن العشرين، ويتضمَّن بعض الأَعمال الباكرة في هذا المجال مثل علم اللَّهجات والأَنثروبولوجيا اللِّسانيَّة، وتغطي مصطلحاته العديد من المقاربات والمناهج الخاصَّة بتغيُّر اللُّغات وبدائلها واحتكاكها والثُّنائيَّة اللُّغويَّة، وكذلك المقاربات ذات التَّوجه الاجتماعيّ في تحليل الخطاب والنُّصوص، بالإضافة إلى التَّخطيط اللُّغويّ والسِّياسة اللُّغويَّة واستعمال اللُّغة لأَغراض تربويَّة. ولتتبع جميع هذه المجالات اهتم صناع المعجم بالمصطلحات ذات

31- Nicholas Allott 2010: Key Terms in Pragmatics. p.6 Continuum.

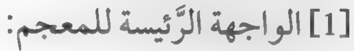
الأَهمية في اللِّسانيَّات الاجتماعيَّة أَو الَّتي تستعصي على أَفهام الطُّلاب بعيدًا عن المصطلحات المهملة أَو الَّتي لا تحمل تحديدًا اصطلاحيًّا جيدًا، مع التَّركيز على المصطلحات الَّتي تتعدَّد معانيها من مجال لآخر، وبعض أَسماء الأَعلام القليلة جدًا، وقد اعتنى المعجم بلغات المصطلحات الأَصليَّة ومبدعيها، هذا بالإِضافة إِلى اهتمامه بالأَمثلة والرُّسوم التَّوضيحيَّة، واختتم المعجم بقائمة كبيرة من المصادر والمراجع.

والحقيقة أَنَّ جهود الغربيين في مجال صناعة المعاجم اللِّسانيَّة لم تقتصر على ما هو ورقيّ ومطبوع، بل هناك جهود رقميَّة تتعلق بالمعاجم الَّتي يتمُّ نشرها على الشَّابكة.

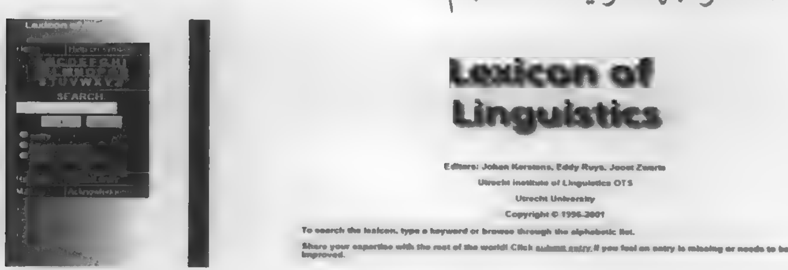
### المعجم اللِّسانيّ الغربيّ على الشَّابكة

انعكس التَّطوُّر التِّقنيّ الَّذي يشهده العالم اليوم، وانتشار الانترنت، وكذا النَّتائج الَّتي حققتها بعض المقاربات اللِّسانيَّة مثل لسانيَّات المدوَّنات – انعكس كل هذا على الجهود المعجميَّة التَّنظيريَّة والتَّطبيقيَّة الَّتي حاولت الإِفادة من هذه الإِمكانات في تطوير صناعة مجموعة غير قليلة من المعاجم العامَّة والمختصة على السَّواء- وقد تمثَّل هذا التَّطوير في تلبية احتياجات عدد غير محدود من المستعملين، وفي ضبط بعض خصائص المعجم وتحسينها مثل سهولة البحث، وحفظ المواد واسترجاعها، وضبط طريقة نطق المداخل، واشتمال المعجم على عدد كبير من المداخل والشَّواهد اللُّغويَّة الفعليَّة الموثَّقة، وغير ذلك من الخصائص الأُخرى، وما ينطبق على المعاجم العامَّة ينطبق كذلك على المعاجم المختصة، وسأَحاول في الصَّفحات التَّالية عرض خصائص أَحد المعاجم اللِّسانيَّة الغربيَّة على الشَّابكة، ولكن قبل هذا أَود التَّنويه بصنيع مكتب تنسيق التَّعريب وجهوده فيما يخص قاموس المصطلحات التِّقنيَّة على الشَّابكة المنشور على صفحات الموقع الخاصّ بالمشروع www.arabterm.com، ومحاولته الإِفادة من كل جديد في هذه الصُّورة المعاصرة من النَّشر.

والمعجم اللِّسانيّ على الشَّابكة الَّذي أَود عرضه هنا هو قاموس اللِّسانيَّات Lexicon of Linguistics الَّذي أَعده يوهان كرستنز Johan Kerstens وإِدي رويز Eddy Ruys وجوست زورتز Joost Zwartsبمعهد أُوترخت للسانيات Utrecht institute of Linguistics التَّابع لجامعة أوترخت بهولندا، والمنشور على الرَّابط http://www2.let.uu.nl/uil-ots/lexicon.



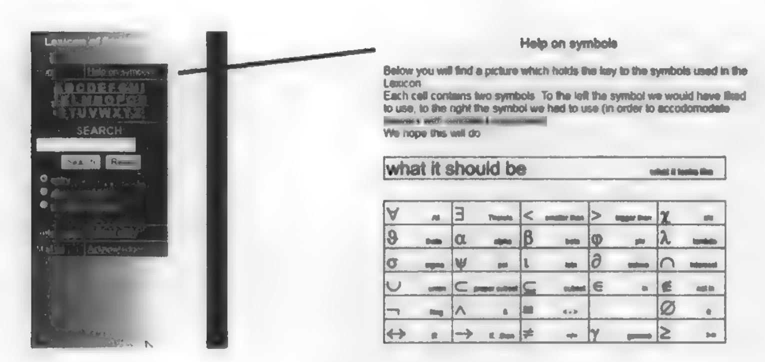
[1] الواجهة الرَّئيسة للمعجم:




من جملة مميزات هذا القاموس بساطة واجهته فهي تحتوي على قائمة رئيسة بسيطة تتكون من روابط Links مباشرة تتعلَّق بـ ([1] الصَّفحة الرَّئيسة للقاموس، و[2] الرُّموز المستعملة فيه، و[3] قائمة حروف القاموس، و[4] خانة البحث، و[5] خيارات البحث، و[6] قائمة المراجع، و[7] إِضافة مدخل أَو تعديله، و[8] وسيلة التَّواصل، ثمَّ [9] في النِّهاية الشُّكر والتَّقدير).

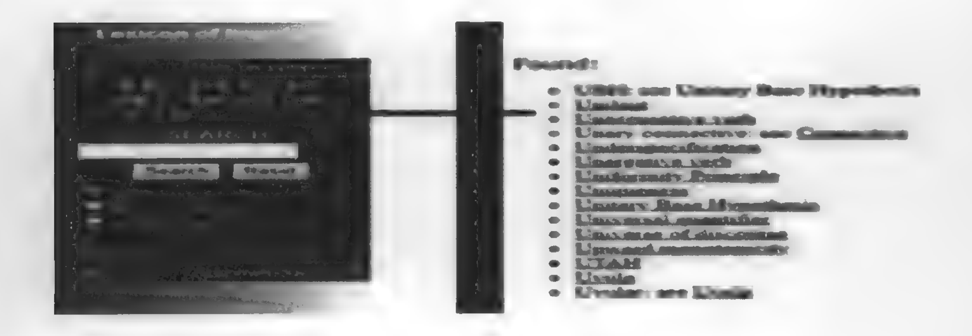


أَمَّا بخصوص [2] الرُّموز والإِشارات المستعملة في القاموس فواجهتها كالتالي:




من هُنا تبدو هذه الرُّموز مختلفة عن مثيلاتها المستعملة في المعاجم الأُخرى، وأَنَّها تحتاج إِلى شرح لكيفيَّة استعمالها في القاموس وبيان ما تدل عليه.

المكوِّن الثَّالث من مكوِّنات الواجهة يتضمن [3] قائمة حروف القاموس، وهي روابط مباشرة لقائمة المصطلحات الَّتي تقع تحت كل حرف، فإِذا قام الباحث بالضغط على حرف ما ظهرت له مجموعة المصطلحات الَّتي تبدأ بهذا الحرف، وذلك في سياق استعراض جميع المداخل.



Search the lexicon

Found:

Head

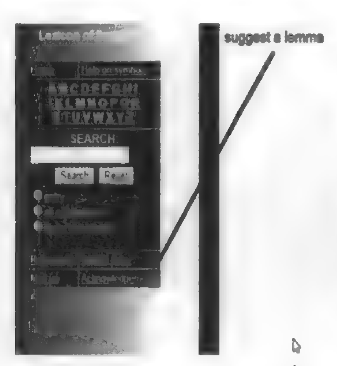
**SYNTAX:** See **X-bar theory**.

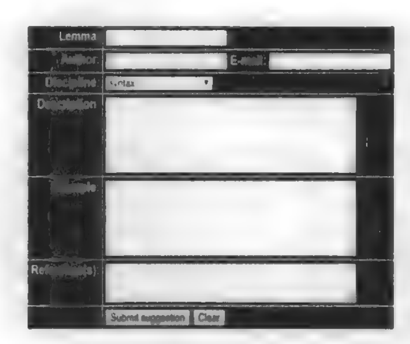
**MORPHOLOGY:** notion introduced in morphology by Williams (1981a) to account for the fact that a complex word shares most, if not all, properties with one of its constituents. The constituent that determines the properties of the complex word as a whole is called the head of that word. The head of a word is either the rightmost or the leftmost morpheme of a word. This generalization lies at the heart of the so-called **Righthand Head Rule**.
**EXAMPLE:** the English word *withstand* is a strong verb just like *stand*. Hence, *stand* is the head of the complex word *withstand*. Also see **relativized head**, and **Relativized Righthand Head Rule**.
**LIT.** Di Sciullo, A. M. and E. Williams (1987)
Spencer, A. (1991)
Williams, E. (1981a)

أَمَّا عن طريقة البحث في القاموس عن مصطلح محدَّد، فتتمُّ عبر خانة البحث حيث يكتب الباحث الكلمة أَو المصطلح الَّذي يبحث عنه في [4] خانة البحث، ثمَّ يقوم بالضغط على زرّ البحث، أَو الضَّغط على إِعادة تعيين Reset لكتابة مصطلح آخر، أَمَّا [5] خيارات البحث فتتيح البحث عن الكلمة أَو المصطلح بثلاث طرق: بوصفه مدخلًا من مداخل القاموس، أَو البحث عنه في جميع المداخل الرَّئيسة المتعلَّقة به، أَو البحث عنه بصورة شاملة.

فإِذا وجد الباحث المصطلح المراد قام بالضغط عليه لتفتح له نافذة تتضمَّن المصطلح، والاختصاصات الَّتي ينتمي إِليه، وتعريفه داخل كل اختصاص، ثمَّ الأَمثلة المتعلَّقة به، وفي النِّهاية مجموعة المصادر والمراجع الَّتي تتضمَّنه مصحوبة بروابط تنقل الباحث إِلى قائمة المصادر والمراجع ليكون المرجع موضع البحث أَول ما يظهر من هذه القائمة، أَمَّا عن علاقة المصطلح أَو جزء من تعريفه بمداخل أُخرى، فتتمُّ عن طريق الإِحالة وهي تتمثَّل هنا في كتابة هذه المداخل بلون مميز ووضع خط تحتها واستعمال روابطها للانتقال مباشرة إِلى تعريفاتها مع إِمكانية العودة إِلى المصطلح الأَول موضوع البحث.

ولا ريب أَنَّ إِحدى أَهم ميزات هذا القاموس أَنَّه قاموس تفاعليّ بالمعنى الدَّقيق؛ فهو يتيح للمستعمل إِمكانية المشاركة في وضعه؛ بإِضافة مداخل جديدة، أَو تعديل ما هو موجود بالفعل، وذلك من خلال النَّافذة التَّالية:




هنا على المستعمل أَنْ يكتب المصطلح الَّذي يريد إِضافته أَو تعديله مع كتابة اسم المستعمل والبريد الالكتروني الخاص به للتواصل فيما بعد، ثمَّ تعيين الاختصاص الَّذي ينتمي إِليه المصطلح المقترح أَو المراد تعديله أَو تعديل تعريفه، ثمَّ كتابة تعريفه أَو التَّعريف الجديد الَّذي يراه المستعمل صحيحًا، وفي الخانة الموالية عليه أَنْ يسوق الأَمثلة المتعلِّقة بهذا المصطلح، أَمَّا الخانة الأَخيرة فخاصَّة بالمصادر والمراجع المتعلِّقة بالمصطلح المقترح أَو تعريفه، وفي النِّهاية على المستعمل النَّقر لتأكيد مقترحه وإِرساله، والمفترض أَنَّ لجنة الإِعداد ستقوم بالنظر في المصطلح المقترح، وتقرير ضرورة إِضافة هذا المدخل أَو إِجراء التَّعديلات المطلوبة أَم رفضها.

**مجمل القول:** ارتبطت معاجم اللِّسانيَّات في الغرب ارتباطًا وثيقًا باللِّسانيَّات، ففي البداية عكست علاقة اللِّسانيَّات بالفيلولوجيا، وبعد أَنْ تغيرت النَّظرة إِلى اللِّسانيَّات وموضوعها بدأت تنتشر المعاجم اللِّسانيَّة وبعضها القليل لم يتخلص من البعد الفيلولوجيّ، بعدها بدأ التَّخلص تدريجيًّا من هذه المصطلحات، وانتشرت اللِّسانيَّات في مختلف الدُّول الغربيَّة وفي أمريكا، ثمَّ بدأت مجموعة من المقاربات الجديدة في الظُّهور وانعكس هذا على موضوعات هذه المعاجم وعلى المواد الجديدة الَّتي يجب أَنْ تحتويها، فنشطت حركة المعاجم في اتجاهات ثلاثة؛ الأَول يهتم بالمصطلحات اللِّسانيَّة بصورة عامَّة وجميع ما يتعلَّق بها من مقاربات جديدة وتخصصات موازية، والثَّاني نزع إِلى تخصيص مصطلحات المعجم بمدرسة معيَّنة أَو مؤلف بعينه أَو حتى منطقة جغرافيَّة

واسعة، أَمَّا الثَّالث فقد انتقل من التَّخصيص إِلى الاختصاص فوضع لكل اختصاص من الاختصاصات اللِّسانيَّة معجمه. ولقد أَفادت الصِّناعة المعجميَّة من التِّقنيات الحديثة فتراها تنتقل من المعجم الورقيّ إِلى المعجم الإلكترونيّ على الشَّابكة. وبصورة مجملة يمكنني القول إِنَّ المعاجم اللِّسانيَّة الغربيَّة كانت أَشد التصاقًا باللِّسانيَّات، وأَقرب معاصرة لها، وإِنَّ تاريخها ليمثل صورة موازية لتاريخ اللِّسانيَّات عينها، وإِنَّها كانت دائمًا أداة مساعدة في تدريس اللِّسانيَّات، وإِنَّ مصطلحاتها أَقرب إِلى المستعمَل لا المهمَل، وإِلى الطُّلاب لا الخبراء.

## المعاجم اللِّسانيَّة العربيَّة

ليس معنى ما سبق أن المعاجم اللسانية الغربية كانت خالية تماما من المشكلات التي تواجه المعاجم اللسانية العربية، ففي إطار توحيد المصطلحات في اللغات الأوروبية المختلفة على سبيل المثال واجهت هذه المعاجم مشكلات كثيرة تتعلق باختلاف الأطر النظرية والمنهجية التي يدار بها البحث اللساني في كل دولة من هذه الدول، هذا بالإضافة إلى أن الاختصاصات اللسانية وبعض المدارس والمناهج اللسانية لا تلقى اهتماما متوازنا في جميع دول هذه المنطقة أو تلك؛ لذا تجد بعض المعاجم اللسانية الغربية تركز بصورة انتقائية على بعض المصطلحات اللسانية التي تخص مجالا معينا أو مدرسة بعينها دون غيرهما من المجالات أو المدارس، ومن ثم تجد الكثير من الفجوات المعجمية بين المعاجم المتشابهة ذات الموضوع الواحد، بل تجد كذلك اختلافا واضحا في عناوين هذه المعاجم والمصطلحات التي تسمي بها العلم الذي تهتم بمصطلحاته لاسيما في ألمانيا[32] شأنها في هذا شأن المعاجم العربية، أضف إلى هذا الوتيرة المتسارعة التي تطبع تطور اللسانيات بشكل عام وهذا الفيض المصطلحي غير المنتهي.

---

32 - Hans-Dieter Kreuder 2003: op. cit. p.199 and its Review by Maria Smit 2004: op. cit. p.420.

أما المعاجم اللسانية العربية[33] فقد بدأت بمعجم المصطلحات اللغوية (ثنائي اللغة) الذي أعدته وأقرت مصطلحاته لجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ثم نوقشت هاته المصطلحات بمؤتمرات المجمع، وصدر هذا المعجم على أجزاء أولها نشر في المجلد التاسع من مجلة المجمع سنة 1967[34]، ويذكر أن فكرة وضع هذا المعجم تعود للدكتور إبراهيم أنيس سنة 1962[35]، ومن بعده وضع الدكتور محمد رشاد الحمزاوي معجم المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية (ثلاثي اللغة) سنة 1977 وقد نشر بالجزء الرابع عشر من مجلة حوليات الجامعة التونسية، ثم صدر سنة 1982 معجم علم اللغة النظري للدكتور محمد علي الخولي (ثنائي اللغة)، وفي سنة 1987 صدر قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية لإميل يعقوب وبسام بركة ومي شيخاني (ثلاثي اللغة)، وصدر معجم المصطلحات اللغوية للدكتور رمزي بعلبكي سنة 1990 (ثنائي اللغة)، وفي سنة 1995 صدر للدكتور مبارك مبارك معجم المصطلحات الألسنية (ثلاثي اللغة) وفي السنة عينها صدر معجم الدكتور خليل أحمد خليل معجم المصطلحات اللغوية (ثلاثي اللغة)، وفي سنة 2002 صدرت الطبعة الثانية من المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات (ثلاثي اللغة) الصادر عن مكتب تنسيق التعريب بالرباط. وتلاحظ هنا مقارنة بالمعاجم اللسانية الغربية تأخر صناعة المعجم اللساني العربي بفارق ثلاثين سنة قبلها، وقلة ما تم إنجازه إذ لم يتعد عدد هذه المعاجم طيلة أربعين سنة ثمانية معاجم، وقد أحسن الدكتور خالد اليعبودي الملاحظة حينما أشار إلى ما تعانيه عناوين هذه المعاجم من اضطراب يعكس عدم الاتفاق على رؤية موحدة لما تعنيه اللسانيات أو

33 – اقتصر هنا على المعاجم التي تعتمد التعريف ركنا أساسيا في بنائها

34 – نشر في (المجلد التاسع 1976: 103-115)، ثم توالت حروف هذا المعجم انظر على سبيل المثال (المجلد العاشر 1968: 127-141)، و(المجلد الثالث عشر 1971: 195-205)، (المجلد الخامس عشر 1973: 219-228)، و(المجلد السادس عشر 1974: 203-219)

35 – انظر دراسة الدكتور خالد اليعبودي 2006: آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، فاس: منشورات ما بعد الحداثة، ص176.

اختصاصاتها المختلفة بالنسبة إلى واضع المعجم، "فتسمية عناوين العلوم ومشتقاتها المتفرعة عنها أولى بالاتفاق"[36]، ولكن هذا الإشكال هو إشكال عام تعاني منه المعاجم الغربية قبل العربية، لكن ما تم التنبيه إليه بشأن عناوين المعجم الرئيسة والفرعية يتمثل في وجوب أن تعكس هذه العناوين وظيفة المعجم وحاجات المستعملين[37].

الملاحظة المهمة الثانية هنا أن الناظر في مصادر هذه المعاجم التي اعتمدت عليها يلحظ أن الكثير منها لم ينص على هذه المصادر بصورة واضحة، أو أنه وثَّق مجموعة من الكتب التي لا يمكن النظر إليها بوصفها مصادر، وحينما تستقصي ما تم ذكره في هذه المعاجم من مصادر غربية اعتمدت عليها ستجد أنها قليلة جدا ناهيك عن قدمها، فمعجم الدكتور الخولي على سبيل المثال اعتمد بصورة أساسية على معجم ماريو باي M. Pei وفرانك جينور F. Gaynor الذي صدرت طبعته الأولى سنة 1954، ومعجم هارتمان R. R. K. Hartmann وستورك F. C. Stork طبعة سنة 1973، وحينما قمتُ بمقارنة الحرف الأول من حروف هذا المعجم بهذه المصادر، وجدت أن مصطلحات هذين المعجمين تشكل ما تقارب نسبته 73٪ (234 من 334) من المصطلحات اللسانية الواردة في معجم الدكتور الخولي بعيدا عن أسماء اللغات واللهجات، وما تبقى من مصطلحات ستجد أغلبها مشتقا من مصطلحات هذه النسبة، وهذا معناه أن تخطيط المعجم، بل والغرض منه لم يتعد في حالة كهذه حدود الترجمة، ناهيك عن خطورة دلالة هذه النسبة بالنظر إلى تاريخ صدور المعجم وحالة اللسانيات وتطورها في تلك الفترة، ويتعلق بهذا أيضا أن غالبية هذه المعاجم لم تبين الصلة التي تجمع بين مصطلحاتها والمصادر التي اعتمدت عليها (باستثناء معجم الدكتور بعلبكي)، ولم تبين كذلك الصلة بينها وبين ما سبقها من معاجم عربية وكيفية التنسيق

36 – انظر دراسة الدكتور خالد اليعبودي 2006: مرجع سابق، ص222.

37 - Hans-Dieter Kreuder 2003: op. cit. p.238f and its Review by Maria Smit 2004: op. cit. p.421.

(جردا وتعريفا) بين ما تتضمنه من مصطلحات وهذه المصطلحات عينها في معاجم سابقة رغم "التناص غير المصرح به الحاصل ببعضها، كما أنها نادرا ما تعير اهتماما للمصطلحات الرائجة في اللسانيات الحديثة بمختلف مشاربها المعرفية وتياراتها المنهجية ومدارسها المتعددة"[38].

وعطفا على الملحوظة السابقة الخاصة بعناوين المعاجم اللسانية العربية أشير هنا إلى مدى ضعف اهتمام هذه المعاجم بمستعمل المعجم، ففي ظل تطور عناوين المعاجم اللسانية الغربية ونزوعها نحو الاختصاص وصناعة معاجم تركز أولا وقبل كل شيء على مجموعة مصطلحات اختصاص لساني معين، تجد أن هذا النوع من المعاجم موجه بصفة أساسية إلى طلاب اللسانيات ومدرسيها، في الوقت الذي تلحظ فيه غياب تحديد المعاجم العربية شريحة مستعمليها، بل تجد في بعضها أن هذا التحديد لا يرتبط بوظيفة المعجم أو طبيعة المصطلحات التي يتضمنها، والملحظ العام أنها موجهة في الغالب إلى الخبراء والمترجمين، وهي شريحة كبيرة تنعكس بالسلب على تخطيط المعجم وكيفية اختيار مداخله وطبيعة المحتوى الذي تتضمنه مصطلحاته، وبالتالي فإن صناع المعاجم اللسانية العربية - في ظل تأكيدهم على رغبتهم في توحيد المصطلحات اللسانية وضمان استمرارها - مطالبون بتحديد الشريحة المستهدفة بشكل واضح، وأن يتم تخطيط معاجمهم بناء على هذا التحديد بحيث "تستجيب للتجربة الحقيقية لمستعملي المعجم"[39].

38 - انظر دراسة الدكتور خالد اليعبودي 2006: مرجع سابق، ص203.

39 - يرى هارتمان أنه بالرغم من أننا لا نمتلك تاريخا لاستعمال المعجم يمكننا على الأقل أن نعتمد على نتائج الدراسات الأولية لمواقف وسياقات حقيقية يتم فيها هذا الاستعمال، ومن أجل هذا قدَّم تصنيفا يقوم على أربعة محاور: 1- البحث في فئات المعلومات التي يستعرضها المعجم، و2- تعيين فئات المستعملين، و3- البحث في سياقات استعمال المعجم (ما فائدة المعجم؟)، و4- البحث في استراتيجيات البحث في المعجم (كيف تجد ما تبحث عنه؟). انظر ر. ر. ك. هارتمان 2003: معاجم اللغة الإنجليزية: منظور المستعمل، مرجع سابق، ص127. ضمن كتاب المعاجم عبر الثقافات "دراسات في المعجمية" ترجمة د. محمد حلمي هليل، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي "سلسلة الكتب المترجمة"، الطبعة الأولى، ص125، 126.

ويمكنني أن ألخص هنا أهم الملحوظات التي صرح بها الدكتور اليعبودي بشأن بعض المعاجم اللسانية العربية[40]: (1) اضطرابها في تداول أشهر المفاهيم المحورية في البحث اللساني وترجمة هذه المفاهيم[41]، (2) عدم دقتها في تحديد المصطلحات الفرنسية المقابلة لنظيراتها الإنجليزية وتعيين مكافئاتها العربية[42]، (3) الاقتصار على ذكر معنى خاص للمصطلح يوافق الاتجاه اللساني الذي يتبناه واضع المعجم[43]، (4) عدم ترقيم المعاني المتعددة للمصطلح[44]، (5) عدم تفادي حالات التعدد الدلالي في تدوين المقابلات العربية[45]، (6) المؤالفة أو اللجوء إلى المرادفات العربية إزاء المفاهيم الأجنبية دون التمييز بين دلالاتها وإيحاءاتها[46]، (7) تفاوت المعاجم في درجات إيراد التعريفات فبعضها واف والآخر مختزل[47]، (8) الإفراط في التعريب اللفظي[48]، (9) اضطراب أساليب الترجمة[49]، (10) غلبة

40 – تقوم دراسة الدكتور خالد اليعبودي على عشرة معاجم ومسارد لسانية عربية هي: معجم علوم اللغة 1977 لعبد الرسول شاني، معجم مصطلحات علم اللغة الحديث 1983 لمحمد باكلا وآخرين، وقاموس اللسانيات 1984 لعبد السلام المسدي، معجم اللسانية 1985 لبسام بركة، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية 1987 لإميل يعقوب وآخرين، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات مكتب تنسيق التعريب 1989، 2002، معجم اللسانيات 1992 لبوهاس وآخرين، معجم المصطلحات الألسنية 1995 لمبارك مبارك، معجم المصطلحات اللغوية 1995 لخليل أحمد خليل، معجم المصطلحات اللسانية 2002 لعبد القادر الفاسي الفهري. انظر د. اليعبودي 2006: مرجع سابق، ص203.

41 – انظر دراسة الدكتور خالد اليعبودي 2006: مرجع سابق، ص204.

42 – السابق، ص205.

43 – السابق، ص206.

44 – السابق، ص208.

45 – السابق، ص208.

46 – السابق، ص210.

47 – السابق، ص218.

48 – السابق، ص218.

49 – السابق، ص220.

النزعة الذاتية في صياغة المصطلح[50]، (11) افتقادها إلى سمة التمثيلية وتهميش مصطلحات أساسية[51]، (12) الافتقاد إلى الموازنة بين المستويات المختلفة للسانيات[52]، (13) عدم استغلال المرونة الاشتقاقية للغة العربية[53]، (14) عدم حرصها على توظيف الإحالة[54]. وبناء على هذه الملحوظات يمكنني القول إن المعاجم اللسانية العربية تعاني بشكل عام من مشكلات غير قليلة تتعلق بالتسجيل[55] والوصف[56] والعرض[57]، ولكن ليس من معنى لهذا سوى أن هذه المشكلات التي تعوق تطلعاتنا نحو توحيد المصطلحات عديدة وغير قليلة.

## التحليل التاريخي للمصطلحات

من المتفق عليه في دراسات التَّخطيط المصطلحيّ، وغيرها من مجالات المصطلحيَّة (الثَّقافيَّة، أَو الاجتماعيَّة، أَو الإِدراكيَّة)، أَنَّ هناك من المفاهيم ما يتولَّد، ومنها ما يتغير أَو يتمُّ تعديله، ومنها كذلك ما يختفي تمامًا وقد يعود مرة أُخرى، وأَنَّ هذه التَّغيرات تؤثر في الوظيفة الإِدراكيَّة والتَّواصليَّة للغة العلميَّة

50 – السابق، ص221.

51 – السابق، ص226.

52 – السابق، ص227.

53 – السابق، ص227.

54 – السابق، ص231.

55 – يتضمن التسجيل Recording مجمل العمليات اللازمة لتجميع حصيلة مناسبة من البيانات يتم من خلالها توثيق نوع الاستعمال المقرر إدراجه في المعجم، انظر ر. ر. ك. هارتمان2003: المعجمية: استقصاء تقابلي. ضمن كتاب المعاجم عبر الثقافات "دراسات في المعجمية"، مرجع سابق، ص23.

56 – يمثل الوصف Description مجمل العمليات الخاصة بتحليل المواد المعجمية المراد تمييزها، انظر هارتمان 2003: المعجمية: استقصاء تقابلي، مرجع سابق، ص24.

57 – يتضمن العرض Presentation مجمل العمليات المطلوبة لترتيب المعلومات في شكل معين يناسب فئة أو أكثر من المستعملين، انظر هارتمان 2003: المعجمية: استقصاء تقابلي، مرجع سابق، ص24.

الَّتي تنتمي إِليها هذه المفاهيم بما ينعكس على سبل بناء المعرفة والطُّرق الَّتي يتوسل بها أَفراد الجماعة العلميَّة إِيصال هذه المعرفة[58]، وما ينطبق على المفاهيم ينطبق كذلك على حواملها وتعبيراتها اللُّغويَّة؛ أَي المصطلحات، وبالتالي يمكن أَنْ يتضح لنا ذلك المنوال الَّذي يتطوَّر به أَي علم من العلوم من خلال ملاحقة مفاهيمه، والحقيقة أَنَّ ما تتمتع به اللِّسانيَّات من رؤى نظريَّة مختلفة وإِجراءات منهجيَّة متباعدة تعيش جنبًا إِلى جنب يتطلَّب من المشتغلين بهذا الحقل النَّظر إِلى تاريخه والعناية بماضيه، بل النَّظر كذلك إِلى الطَّريقة الَّتي تُدرَّس بها الآن، ولعل أَحد الحلول المطروحة في هذا الاتجاه يكمن في التَّأريخ التَّحليليّ للسانيَّات Historiography of Linguistics وهو طريقة نسقية في التَّعامل مع تاريخ اللِّسانيَّات تساعد المشتغلين بها على كسب المعرفة الَّتي تساعدهم على فهم الكيفيَّة الَّتي يتطوُّر بها هذا الاختصاص، ويرى كويرنر E. F. K. Koerner - أَحد رواد هذا التَّوجه ومؤسسه الشَّهير- أَنَّ إِحدى ثمرات الاهتمام بتاريخ اللِّسانيَّات أَنْ تُتخذ هذه المعرفة التَّاريخيَّة مدخلًا مهمًّا لدراسة اللِّسانيَّات نفسها وأَنْ نستكشف من خلالها وضعيَّة هذا العلم وسيرورته ومجالاته البحثيَّة ومناهجه ومفاهيمه الَّتي شكَّلت عتاده الأَساسيّ، وقد أَكد كويرنر على أَهمية تلك المعرفة في تثقيف المختص وإِمكانيَّة استغلالها في تقويم الفرضيَّات اللِّسانيَّة الجديدة ووضعها موضعها الصَّحيح بناء على علاقاتها بما سبقها من فرضيَّات، وهذا معناه أَنَّ هذه المعرفة تساعد في تحقيق ما أَسماه "اعتدال اللِّسانيَّات" لا سيما في تقييم ما عاد يسمى بالثَّورات العلميَّة في اللِّسانيَّات[59].

وفيما يخص المصطلحات وتاريخها عبر كويرنر عن عدم سعادته لسماعه أن كاثرين شيفاني Catherine Chvany 1996 تأثر بتشومسكي Noam Chomsky

---

58 - Marita Kristiansen 2014: Concept Change, Term Dynamics and Culture-Boundness in Economic Administrative Domains. p.237f.

59 - E. F. K. Koerner 1999: Linguistic Historiography: Projects and Prospects. p.4ff John Benjamins.

في استعمال مصطلح وسم/ موسومية Mark/Markedness؛ لأن أي لساني مثقف يعرف أن هذين المصطلحين يعودان إلى تربتسكوي Trubetzkoy وأنهما انتقلا إلى أمريكا الجنوبية عن طريق رومان ياكبسون Roman Jakobson، وأن تشومسكي إما أن يكون قد أخذهما عن ياكبسون مباشرة فترة التحاقه بجامعة هارفرد (1951–1955)، أو عن طريق تلميذ ياكبسون موريس هالي Moris Halle منتصف الخمسينيات، كذا عبر كويرنر عن استيائه من سماع بعض الطلاب ينسب مصطلحي سحب السلسلة Drag Chain ودفع السلسلة Push Chain إلى وليام لابوف W. Labov ولا ينسبهما إلى أندريه مارتينيه Andre Martinet 1955؛ إذ وجدا في كتابه Economie des changements phonologiques وكان يشير إليهما بـ"chaîne de propulsion" و"chaîne de traction"، فإذا لم يكن لابوف قد اكتسبهما من قراءته كتاب مارتينيه، فالأرجح أنه تلقى هذا عن أستاذه أوريل فانريش Uriel Weinreich تلميذ مارتينه[60].

ومن هنا يمكن أنْ نفيد من التَّحليل التَّاريخيّ للمصطلح وسيلة ليس فقط للكشف عن أَهميته، بل لتتبع رحلته المفاهيميَّة -إنْ صحَّ هذا التَّعبير- والتَّغيُّرات الَّتي طرأت عليه وعلاقته بالمفاهيم الأُخرى سابقة كانت أَو لاحقة، ولتوضيح أَهمية هذا التحليل نضرب الأمثلة التَّالية:

– مصطلح «Intuition» عدل المعجم الموحد عن ترجمة هذا المصطلح من «وجدان» في نسخة 1989 إلى «حدس» في النسخة المحينة 2002 (المصطلح رقم 845)، ولكن مرادف هذا المصطلح «Linguistic Intuition» تمت ترجمته داخل النسخة نفسها بـ«الحسّ اللغوي» (المصطلح رقم 928) اعتمادا على المصطلح الفرنسي «Sentiment Linguistique» مما أوجد مصطلحين هما في الأصل مصطلح واحد، على أية حال، خضع مصطلح الحدس في النظرية التوليدية

60 - E. F. K. Koerner 1999: op. cit. p.5

لمناقشات وجدل كبير داخل الأدبيات التي تنتمي إلى هذه المدرسة، وفي كتابات من يناهضونها كذلك[61]، والحقيقة أن هذا المصطلح ينقسم إلى ثلاثة أنواع هي: النوع الأول: الحدوس الأولية (Primary Intuitions)، وتأتي في صورة أحكام استبطانية يصوغها المتكلمون عن صحة بناء التعبيرات أو معانيها[62]. النوع الثاني: الحدوس الجانبية (Marginal Intuitions)، وهي الأسباب التي تقف وراء عدم قبول المتكلمين لجمل صحيحة نحويا واختلاف أحكامهم بشأنها، وهي أسباب وعوامل تتعلق بالدلالة أو السياق[63]. أما الثالث فهو الحدوس الثانوية (Secondary Intuitions)، وتتمثل في الحدوس المتعلقة داخل النظرية بتحليل العالِم اللغوي لعدم مقبولية الأمثلة التي تستعمل في بيان قاعدة معيَّنة، ولكن لا تدور هذه الحدوس حول المقبولية ذاتها[64]؛ لذا أظن أنه كان على المعجم الموحد على أقل تقدير أن يشير في تعريف المصطلح إلى هذه الأنواع، ولربما اتخذها مداخل مستقلة. ويدلنا هذا المثال على صورة من صور التتبع التاريخي للمصطلح داخل الاختصاص الواحد.

– مصطلح استرسال لغوي « Continuum » (رقم 411) ورد تعريفه في المعجم الموحد على الصورة التالية "في اللسانيات الاجتماعية مبدأ يقوم على انعدام القطعية بين مستويين لغويين: اللغية الأساس واللغية الرأس، وتمثلان أقصى أطراف الخط الذي يربط بينهما بتدرج، مثال: لغيات الكريول"، وفق هذا التعريف قد يظن المستعمل أن مصطلح Continuum موقوف على اللسانيات

61 – انظر د. منتصر أمين عبد الرحيم 2012: مفهوم الحدس في النظرية التوليدية، مجلة اللسانيات، العدد المزدوج (17–18)، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، جامعة الجزائر، ص 5: 31.

62 - T. Wasow & J. Arnold 2005: Intuitions in Linguistics Argumentation. Lingua (115): 1481-96. p.1482.

63 - R. P. Botha 1981: The Conduct of Linguistic Inquiry. Mouton Publishers, The Hague. p. 304.

64 - T. Wasow & J. Arnold 2005: op. cit., p.1489.

الاجتماعية، والحقيقة أن من يتتبع هذا المصطلح يجده في أكثر من اختصاص، فهو في علم الأصوات (متصل سمعي Acoustic Continuum) وهو ترتيب الأَصوات أَو مجموعة منها على مدرج معيَّن وفق خصائصها السَّمعيَّة. وتجده أيضا في اللسانيات الاجتماعية (متصل لهجي Dialect Continuum)، أي توزيع لهجات لُغة معينة وفق مدرج مميز بسلاسل من اللَّهجات المتعاضدة داخل منطقة جغرافيَّة معيَّنة بحيث يسهل التَّواصُل في حدود هذه السَّلاسل ويصعب مع السَّلاسل المتباعدة، و(متصل كلامي Speech Continuum) وهو مجموعة الضُّروب واللَّهجات الخاصَّة بلُغة معيَّنة مرتبة وفق سِماتها المشتركة، وتجده أَيضًا في اللسانيات التاريخية وبخاصة في الدراسات المتعلقة بالإنحاء ممثلا في المصطلح (متصل الإنحاء Grammaticalization Continuum)، وهو المسار الَّذي تسلكه العناصر اللُّغويَّة في انتقالها من المعجميَّة إِلى النَّحويَّة، أَو من درجة نحويَّة أَقل إِلى درجة نحويَّة أكبر. وهذه المصطلحات غير موجودة في المعجم الموحد رغم أنه تتبع تعريفات عدد لا بأس به من المصطلحات في أكثر من اختصاص.

- مصطلح إضفاء النحوية "Grammaticalization" (رقم 698) ورد تعريفه في المعجم الموحد على الصورة التالية "تغيير صنف المقولة، في اللسانيات التزمنية، حين تتحول صرفية معجمية إلى صرفية نحوية خلال تطور لغة معينة". تجدر الإشارة إلى أن المصطلح في أصله الفرنسي من وضع أنطوان ماييه سنة 1912 (Grammaticalisation)[65] وأن ماييه لم يضع لهذا المصطلح أي تعريف، وقد عرفه جيرزي كوريولفتز Jerzy Kurylowicz (سنة 1965) بأنَّه «تغيُّر مرحليّ تدريجيّ تكتسي به الوحدات المعجميّة والتَّراكيب اللُّغويّة وظائف نحويّة، وبه أَيضًا تصير الصّيغ الأَقل نحويّة أكثر نحويّة»[66]، والحقيقة أَنَّ لهذا

65 - Antoine Meillet (Ed.) 1948: Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales) p.133. Paris: Champion.

66 - Jerzy Kurylowicz 1975: Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories) p.52. Munich: Wilhelm Fink.

المصطلح عدة بدائل هي: (Grammacization) و(Grammatization) وترتبط باعتبارات نظريّة مختلفة، ولكنّ هذا المصطلح أوسع انتشارًا واستعمالًا في هذا السّياق بعيدًا عن هذه الاعتبارات، وينقسم الإنحاء إلى صِنفين: «الإنحاء الرَّئيسيّ Primary Grammaticalization» وهو التَّغيُّر من عنصر معجميّ إلى عنصر نحويّ، و«الإنحاء الثّانويّ Secondary Grammaticalization» وهو التَّغيُّر من عنصر نحويّ إلى عنصر أكثر نحويّة[67]، ويطلق على هذين المظهرين (Grammation) و(Regrammation) على التَّوالي[68]، والإنحاء آليًّا يتضمن عمليات أَربع؛ الأُولى «الخفوت الدِّلاليّ Semantic Bleaching» أو «فقد المعنية Desemanticization»، والثّانية «التّوسع Extension» أَو «التّعميم السّياقيّ Context Generalization»، أَمّا الثّالثة فهي «فقد الانتماء المقوليّ Decategorialization»، والرَّابعة «التّآكل Erosion» أَو «التّقلص الصّوتيّ Phonetic Reduction» وفقد المادة الصّوتيّة. والحقيقة أن لمصطلح الإنحاء شبكة علاقات كبيرة ومعقدة بمصطلحات أخرى استدعت مع تطور الاهتمام به في تخصصات لسانية متعددة بناء معجم لمصطلحاته صدر في ثلاثة مجلدات[69]، ومعجم آخر يستقصي ظواهره ومظاهره في أكثر من 500 لغة منها العربية وبعض لهجاتها[70]. ولا ترد هذه المصطلحات في المعجم الموحد، بل نجد فقط مصطلحاً وحيداً هو معجمة Lexicalization (رقم 914): "سيرورة يتم بمقتضاها تحويل مجموعة من الصرفيات إلى وحدة معجمية"، ولكن العلاقة بينه وبين

67 - Elizabeth C. Traugott 2002: From Etymology to Historical Pragmatics. p.26f.

68 - H. Anderson 2006: Grammation, Regrammation and Degrammation. Tense Loss in Russian. p.232 Diachronica 23 (2): 231–258.
Muriel Nord 2010: Degrammaticalization: Three Common Controversies. p.135.

69 - Donald A. Lassau 1994: A Dictionary of Grammaticalization, vols. 1-3. Bochum: Universitatsverlag Dr. N. Brockmeyer.

70 - Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: World Lexicon of Grammaticalization. Cambridge University Press.
انظر عرضا لهذا المعجم في د. منتصر أمين عبد الرحيم 2016: الإنحاء ومكانة التغير اللغوي في المعجم التاريخي للغة العربية، ص227 وما بعدها.

Grammaticalization غير واضحة في هذا المعجم لانتفاء الإحالة، وما قصدت إليه من وراء هذا المثال هو إمكانية استغلال التحليل التاريخي للمصطلحات في وضعها موضعها الصحيح من منظومة المفاهيم المرتبطة بها، ومعلوم ما لهذا الأمر من فوائد جلّي على مستوى الوظيفة المعرفية لأي معجم مختصّ.

### أسماء الأعلام في المعاجم اللّسانية العَربية[71]

إذا قارنَّا بين معجم للمصطلحات اللِّسَانيَّة يتضمَّن تعريفات وآخر يتضمَّن فقط قائمة بالمصطلحات خالية من التَّعريف، سنجد أَنَّ أَسماء أَعلام اللِّسَانيِّين إِنَّما ترد فقط في إِطار المعجم الَّذي يصاحبه التَّعريف (إِمَّا ضمن هذا التَّعريف أَو ذاك، وإِمَّا بعيدًا عنه بوصفها أَجزاء مصطلحات مستقلة)، وسنجد أَيضًا أَنَّ هذين الصِّنفين من الأَعمال المعجميَّة المتخصصة يشتركان في ورود أَسماء الأَعلام في حالة واحدة فقط، إِذا كان اسم العلم مكوِّنًا أَساسيًّا في لفظ المصطلح، وقد تدلنا هذه المقارنة على أَنَّ أَسماء الأَعلام تنتمي، في الغالب الأَعم، إِلى شق التَّعريف وإِلى شق المصطلح في قطاع محدود جدًا من المصطلحات اللِّسَانيَّة، وربما دلنا هذا أَيضًا -ومن وجهة نظر أتبناها هنا- على أَنَّ أَسماء أَعلام مجال علميّ معيَّن تعدُّ جزءًا لا يستهان بأَهميته في تعريف مصطلحات هذا الحقل أَو بعضها على أَقل تقدير، ورغم إِمكانية أَنْ يتمَّ تعريف كثير من مصطلحات العلوم اللِّسَانيَّة بدون أَنْ تتضمَّن أَسماء أَعلام محدَّدة، فإِنَّ وجود تلك الأَسماء داخل التَّعريف أَمر لا يخلو من فوائد جلي لاسيما بالنسبة إِلى طلاب اللِّسَانيَّات في مراحلهم الأُول، وعليه تصبح الحاجة إِلى ضبط ورود أَسماء الأَعلام والدَّعوة إِلى إِيلائها العناية اللَّازمة ضرورة لا مفر منها.

أَظنُ أَنَّنا قد نتفق جميعًا على أَنَّ معاجم اللِّسَانيَّات، وغيرها، لا تلقى الرواج الكافي في وطننا العربيّ، وقد يقتصر استعمالها في الغالب الأَعم على المختصين الَّذين أَفنوا سنوات عدة في العمل بهذا المجال الدَّقيق، بل إِنَّ كثيرًا ممن

71 – هذا المبحث جزء من دراسة مطولة حول الموضوع تصدر لي قريبا بحول الله.

يقومون بصناعة هذا النَّوع من المعاجم إنَّما يقومون به وفي أذهانهم -بقصد أو بغير قصد- القارئ المختص الرَّصين؛ وعليه قد تبدو مسألة الاهتمام بأسماء أعلام هذا الاختصاص وضبطها مسألة هامشيَّة بالنسبة إليهم بالنظر إلى وضعيَّة هذا القارئ وخبرته، ولكن حتى في ظل الاهتمام بهذا النَّوع من الجمهور تستمر هنالك حاجة إلى الاهتمام بالأعلام وضبط طرق معالجتها داخل المعجم، وعلى الجانب الآخر علينا أنْ نأخذ بعين الاعتبار القارئ المبتدئ في مجال اللِّسَانيَّات، وألَّا نستثنيه من قائمة مستعملي هذا المعجم؛ ذلك أنَّ المستعمل بغض النَّظر عن خبرته بمجال المعجم رُكن مهم من أركان العمل المعجميّ، ومقياس جيد من مقاييس نجاحه، ودليل قاطع على جديته ومكانته.

فلا أظن أنَّ طالبًا من طلاب اللسانيَّات المبتدئين يستطيع التَّعرف على شخصية ذلك العالم الذي أشار إليه معجم المصطلحات اللغويَّة لمجمع اللغة العربيَّة بالقاهرة، في تعريفه لمصطلح "اللغات الاحتوائيَّة":

28 - Encapsulants langues

Encapsulating Languages

Einverleibende sprachen

Lingue incapsulanti

**«28- الاحتوائية (اللغات): لفظ أدخله اللغوي «ي. ليبر J. Lieber» في تصنيف اللغات حسب صفاتها العامة للدلالة على اللغات التي تسمى عادة Incorporantes أي: احتوائية»**[72]

لاسيما بعد أن سرد المعجم أربعة مصطلحات بلغات أجنبيَّة مختلفة، قد يفهم الطَّالب (إذا افترضنا أنَّ التَّعريف قائما برأسه من دون الحاجة إلى اسم العلم يستطيع الإفصاح عن شيء ذي بال غير علاقة مصطلح بواضعه) أنَّ هذا

72- مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1974: معجم المصطلحات اللغوية، مجلة مجمع اللغة العربية، مج 16، ص214.

العالم اللغوي فرنسي الأصل اعتمادا على رسمه بالحرف الأجنبي وطريقة النُّطق به، وأنَّ المصطلح الَّذي قدَّمه ينتمي إلى اللسانيَّات التاريخيَّة؛ لأنه يتصل بتصنيف اللغات ووضعها ضمن فئات لكل فئة منها سمات محدَّدة، وأنَّ «اللغات الاحتوائيَّة» مصطلح فرنسي جرت ترجمته إلى اللغات الثَّلاثة الأخرى، ولكن مثل هذه المعلومات ليست مما نص عليه التَّعريف؛ ومن ثمَّ يظل استنتاجها موضع شك، ورغم هذا أظن أنَّ ذكر التَّعريف صاحب الحق التاريخي في المصطلح أمر لا خلاف على أهميته، لاسيما إن كان مشفوعا باسم المؤلَّف الَّذي ورد فيه المصطلح في قائمة مراجع المعجم.

كذا لا أظن أنَّ هذا الطالب (أو حتى بعض المختصين) يستطيع أن يتعرَّف على ذلك اللغوي (إن كان لغويا بالفعل) الذي ورد ذكره في المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات في تعريفه بمصطلح «كلين»:

877 - Kleene

**كلين (نحو):**

**يعد نحو «كلين» نحوا ذا عدد محدود من الحالات.**

فإِذا كان الطَّالب في المثال السَّابق يستطيع استنتاج مجموعة من المعلومات تخص واضع المصطلح ومجال عمله وأَنْ يتفهم علاقة هذه المعلومات بالمصطلح، فإِنَّ حظه من الاستنتاج في حالة «نحو كلين» سيكون ضئيلًا جدًا مقارنة بمزيد من التَّساؤلات الَّتي ستواجهه، ربما لأَنَّه لم يسمع من قبل بنحو كلين، ولأَنَّ المعجم لم يأت باسم هذا العالم كاملًا، فإِذا كان هناك نحو باسم «نحو كلين» فما طبيعة هذا النَّحو؟ وهل هو نحوٌ خاص؟ ولأي لغة وضع؟ وما الحالات المحدودة الَّتي يقوم عليها هذا النحو؟ وما علاقته ببقية الأنحاء (التَّقليديَّة، التَّوليديَّة، الوظيفيَّة،... الخ)؟ والسُّؤال المهم هل هو نحو بالمعنى الاصطلاحيّ لكلمة «نحو» في أَي معجم من معاجم اللِّسانيَّات؟ وغيرها من التَّساؤلات المشروعة في مثل هذه الحالة كثيرة، وهنا ربما تكمن الإِجابة في المعلومات الشِّيقة

الَّتي قد يحصل عليها من خلال البحث على الشَّابكة عن عالم الرياضيَّات الأمريكيّ 94-1909) Stephen Cole Kleene) أو عن مصطلح Kleene star الَّذي لا تجد له أثرًا في المعجم الموحد.

وأزعم أيضا أن حظ الطالب المبتدئ مع الاسم التالي حظ عسر مقارنة بحظه مع (ليبر) و(كلين) السابقين، فقد ورد في المعجم الموحد في تعريفه بمصطلح «دلالة تأليفية» ما نصه:

357 - Combinatory Semantics,
Sémantique combinatoire

**دلالة تأليفية:**

**عند «Weinrich» نظرية تقوم على تفسير كيفية اشتقاق معنى الجملة أو البنية المخصصة من معنى عناصرها المتآلفة، والهدف هو التوصل إلى تمثيل صوري متساو للعبارات المعقدة مركبات جمل.**

صحيح أن محتوى هذا التعريف يساعد الطالب في بيان تخصص هذا العالم Weinrich وعلى اقتناص مؤدى نظريته، ولكنه لا يساعده في تحديد أو تعيين صاحب هذا التصور أهو أوريل فانريش 1926-1967 (Uriel Weinrich) أم «ماكس فانريش 1893-1969 (Max Weinrich)»؟ أم هو شخص آخر له اللقب عينه مثل -1927 (Harald Weinrich)؟!

هذه فقط بعض الأمثلة وغيرها كثير يدعونا إلى توجيه العناية إلى ضرورة وجود كيفية ثابتة ومنتظمة لدى صاحب المعجم، في إيراد أسماء الأعلام، سواء أكان المعجم موجها إلى مختص أم إلى مهتم غير مختص.

وقبل أن أنتقل إلى الحديث عن أسماء الأعلام في "معجم علم اللغة النظري"، أود أن أقول إن المعاجم اللّسانية العربية في مجموعها لم تلتزم خطة واضحة إزاء أسماء الأعلام، فالمصطلحات المنسوبة في معجم غير منسوبة في

معجم آخر، ولا تفسير لهذا سوى عدم تقدير هذه المعاجم لمجموعة الوظائف التي يمكن أن تؤديها هذه الأسماء داخل المعجم، وأقل هذه الوظائف وضع المصطلح في سياقه التاريخي، والتلميح إلى جانب من المناقشات والمقاربات المتعلقة به في سياق التطور البحثي، أو الاختلاف المنهجي للسانيات، ولعل عدم انضباط كتابة هذه الأسماء -حتى إن الاسم الواحد ربما يكتب على أربعة صور أو أكثر- يحتاج إلى عناية كبيرة من واضعي المعجم.

صدر "معجم علم اللغة النظري" (إنجليزي-عربي) للدكتور «محمد على الخولي» عن مكتبة لبنان ناشرون ببيروت سنة 1982، ومن جملة محاسنه أنه «معجم لساني حقيقي يشتمل على أغلب عناصر المعجم... شمل ميادين متنوعة من اللّسانيات التي لم تشملها المعاجم اللسانية العربية السابقة»[73]، وقبل الحديث عن أعلام اللسانيين في هذا المعجم، أود أن أشير إلى أن عدد المداخل التي تمَّ تخصيصها لأسماء اللغات وأسرها المختلفة التي تنتمي إليها، واللهجات التي تفرعت عنها بلغ نحو مئتين وتسعين (290) مدخلا، غالبيتها ليست مهمة -من وجهة نظري[74]- بالنسبة إلى مستعمل المعجم العربي بقدر أهمية أسماء أعلام اللسانيات التي لم تتجاوز نسبتها إلى عدد أسماء تلك اللغات، ولهجاتها أقل من الربع بكثير.

---

73 – د. محمد رشاد الحمزاوي 1986: ثلاث معاجم للمصطلحات اللسانية باللغة العربية، مجلة المعجمية، تونس، العدد الثاني، ص173.

74 – أظن أنه ليس ثمَّ حاجة إلى إثقال المعجم اللساني بأسماء اللغات وأسرها واللهجات المتفرعة عنها؛ ذلك أن وجودها في المعاجم اللسانية الأولى كان يشكل استجابة لعدد من المناهج اللسانية السائدة آنذاك. أما الآن وفي ظل وجود معاجم متخصصة في اللسانيات التاريخية تتضمن هذه اللغات، وأعمال شبه موسوعية تتخذ هذه اللغات موضوعا لها، فليس من الضروري أن تكون أسماء تلك اللغات واللهجات موجودة ضمن معجم متخصص في علم اللغة النظري، فالمعجم المتخصص كما يرى الدكتور مصطفى غلفان «**يضم الألفاظ النظرية والمنهجية التي يقوم عليها علم من العلوم أو المتعلقة به، وطبيعي أن تحديد هذه الألفاظ يجب أن يكون على أساس رؤية نظرية ومنهجية معينة لهذا العلم، وقد ترتب على غياب هذا التحديد الأولي أن معاجمنا تحفل بعدد كبير من المفردات العامة**» (ومن بينها أسماء اللغات) التي يشكل وجودها في المعاجم اللسانية حشوا مزعجا. راجع د. مصطفى غلفان2007: المعاجم اللسانية في الثقافة العربية الحديثة- واقع تجربة، ص98.

بصورة عامة يعاني المعجم، مثل جميع المعاجم اللسانية العربية، من عدم وجود منهج متبع في كتابة أسماء الأعلام، ولعل السبب هنا يتمثل في عدم الاعتداد بأهميتها في العمل المعجمي وعدها شيئا ثانويا غير ذي بال، فليس ثمَّ طريقة ثابتة في الكتابة، ولعل الجدول التالي يلقي مزيد إضاءة على هذه المسألة:

| أوغدن وريتشاردز | (ص30) | د. جونز | (ص35) |
|---|---|---|---|
| تشارلز فلمور<br>Charles Fillmore | (ص38) | ف. دي سوسير F. de Saussure | (ص248) |
| جسبرسن<br>Jespersen | (ص183) | سكنر Skinner | (ص300) |
| ٥. سويت<br>سويت Sweet | (ص35)<br>(ص188) | هاليداي<br>هاليداي Halliday | (ص35)<br>(ص281) |
| لامب Lamb<br>س. م. لامب<br>S. M. Lamb | (ص236)<br>(ص268) | بايك Pike<br>كنث بايك Kenneth Pike | (ص236)<br>(ص282) |
| بلومفيلد<br>بلومفيلد<br>Bloomfield<br>ليونارد بلومفيلد<br>Leonard Bloomfield | (ص33)<br>(ص107)<br>(ص270) | ر. فيرث<br>فيرث<br>فيرث Firth<br>فيرث Firth | (ص35)<br>(ص96)<br>(ص230،<br>ص281) |
| نوم شومسكي<br>نوم شومسكي<br>Noam Chomsky<br>نوم شومسكي<br>Noam Chomsky<br>نوم شومسكي | (ص67)<br>(ص110،<br>ص279)<br>(ص290) | | |

يتضح، من هذا الجدول، أن الاسم يكتب تارة كاملا باللغة العربية وحدها (ر. فيرث، ود. جونز، وهـ. سويت، ونوم شومسكي)، وتارة يكتب كاملا باللغتين العربية والإنجليزية (تشارلز فلمور Charles Fillmore، ف. دي سوسر F. de Saussure، س. م. لامب S. M. Lamb، كنث بايك Kenneth Pike، ليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield، نوم شومسكي Noam Chomsky)، وأحيانا أخرى يكتب الاسم الأول فقط باللغة العربية وحدها (أوغدن، ريتشاردز، هاليداي، بلومفيلد، فيرث)، ويكتب مرة أخرى باللغتين العربية والإنجليزية (جسبرن Jespersen، سكنر Skinner، سويت Sweet، هاليداي Halliday، لامب Lamb، بايك Pike، بلومفيلد Bloomfield، فيرث Firth)، وفي الحالتين الأولى والثانية لا يستعمل واضع المعجم اختصارات الأسماء بطريقة منتظمة، وغير خاف ما قد تؤدي إليه هذه الطريقة من إرباك مستعمل المعجم، لاسيما الطالب المبتدئ، أو القارئ غير المختصّ.

ولعل شهرة بعض هؤلاء الأعلام في الدرس اللساني قد تبرر لصاحب المعجم كتابة أسمائها بأي صورة، سواء أكان المعجم موجها إلى مستعمل مختص أم إلى مبتدئ في اللسانيات، ولكن المسألة هنا ليست متعلقة بالشهرة (وهي أمر نسبي بطبيعة الحال) أو بما يعرفه مستعمل المعجم، بل القضية تتعلق بالمنهج المتوسل في التعامل مع أسماء الأعلام داخل المعجم، كما تتعلق أيضا بما يجهله المستعمل وما يجب أن يستشعر واضع المعجم غرابته لدى القارئ، ومن أمثلة الأسماء التي قد تبدو غير مألوفة لدى مستعمل المعجم ما يلي:

| | | | |
|---|---|---|---|
| تريغر Trager | سمث Smith | برغمان | شمدت |
| (ص307) | (ص307) | (ص152، 182) | (ص308) |

فالاسمان الأول والثاني -وقد وردا في تعريف واحد- قد تثار بشأنهما مجموعة من التساؤلات منها: هل «تريغر» هذا هو «جورج ل. تريجر George

«L. Trager» صديق «بنيامين لي ورف Benjamin L. Whorf» في «يال Yale» الذي شاركه تأليف مقالة بعنوان (The Relationship of Uto-Aztecan and Tanoan) سنة 1937؟ وهل «سمث» هذا هو «هنري لي سمث الابن Henry Lee Smith, Jr.»؟ وهل مصطلح «Vowel Triangle» (مثلث الصوائت) الذي نسبه مؤلف المعجم إليهما تمَّ تقديمه في دراستهما التي تم نشرها سنة 1951 بعنوان Outline of English Structure أم في دراسة مختلفة؟ وهل تلك الدراسة موثقة في مصادر ومراجع المعجم؟ وما الفرق بين مثلث الصوائت الذي وضعه «تريجر وسمث» والمثلث الذي سبقهم به «كريستوف فريدريك هيلفج Christoph Friedrich Hellwag (1754-1835)» سنة 1781؟ وهل ثم مخططات أخرى (مُربَّعة مثلًا) للصوائت؟ وما الغرض الأساسي وراء وضعها؟[75]. إن هذه الأسئلة قد يراها البعض تساؤلات مبالغ فيها ولا مشروعية لها، وأن الإجابة عنها في سياق التعريف بالمصطلح قد تكسبه سمتًا موسوعيًّا، وأن هذا السمت هو ما نأى عن انتهاجه صاحب المعجم، ولكنني أظن أن ورود تعريف مصطلح Vowel Triangle على النحو التالي:

«**مثلث الصوائت**: شكل رسمه اللغويان سمث Smith وتريغر Trager لتمثيل الصوائت الإنجليزية حسب مواقع اللسان في الفم عند نطقها»

يتسم بالإيجاز الشديد إذا كنا في سياق محاولة التعرف على وظيفة اسم العلم في التعريف المعجمي، وعلاقتها بالتتبع التاريخي للمصطلح، وبيان مناحي مقارباته المختلفة والوقوف على المستويات اللغوية التي يطبق عليها، وهذا هو مضمون تلك التساؤلات السابقة.

---

75 - للإجابة عن هذه التساؤلات انظر :

J. Alan Kemp 2001: The Development of Phonetics from the Late 18th to the Late 19th Century. p.1470.

John G. Fought 2001: The Bloomfield School and Descriptive Linguistics. p.1960.

أما برغمان فقد ورد في سياق التعريف بمدرسة ليبزغ Leipzig School بأنها:

«نهج في البحث اللّغوي والنظرة إلى اللغة تبناه اللغوي برغمان بين 1870 – 1925م. ومن أبرز نظرياته أن القوانين الصوتية قوانين طبيعية لا شواذ لها. ولقد سمى أتباعه بالنحويين المحدثين Neo-grammarians، ولقد اتبعوا أسلوبا علميا متشددا في البحث اللغوي».

وورد مـــرة أخـــرى في ســـياق التعريـــف بـــ «النحـــاة المحـــدثون Neogrammarians"، وهم:

«لغويون اتبعوا نهج اللغوي برغمان الذي كان يعمل في جامعة ليبزغ والذي قال بعدم شذوذية القوانين الصوتية. وكان هؤلاء النحاة يدعون أيضا Leipzig School».

وغالب الظن، أن اللغوي المشار إليه في التعريفين السابقين هو «كارل برجمان Karl Brugmann»، ولد سنة (1849) وتوفي سنة (1919)، وهذا يضع تلك الفترة التي أشار إليها التعريف الأول (1870–1925) موضع تساؤل، فإذا قلنا إن هذه الفترة لا تعبر عن عمر الرجل، بل عن عمر هذا النهج أو تلك المدرسة، أصبح كلامنا غير دقيق أيضا للأسباب التالية؛ هناك – أولًا – عدد غير قليل من المهتمين بتاريخ اللسانيات يؤكد على أن سنة 1876 هي نقطة البداية[76] الحقيقية بالنسبة إلى جماعة النحاة الصغار (ترجمة للمصطلح الألماني الذي أطلق عليها Junggrammatiker) حين اجتماع كل من «كارل برجمان Karl Brugmann

76 - see for example John E. Joseph1995: Trends in Twentieth-Century Linguistics: An Overview. p.222

(1849-1919))»، و«أوجست لسكن August Leskien (1840-1916)»، و«هرمان أوستوف Hermann Osthoff (1847-1909)»، و«برتولد دلبروك Berthold Delbrück (1842-1922)»، و«هرمان باول Hermann Paul (1846-1921)»، و«إدوارد سيفرز Eduard Sievers (1850-1932)»، و«ويلهام برون Wilhelm Braune (1850-1926)»، و«فردريك كلوج Friedrich Kluge (1856-1926)»، وإذا اعتبرنا أن هؤلاء هم العناصر الأساسية والفاعلة في تأسيس جماعة النحاة الصغار فسنجد - ثانيًا - أن تاريخ وفاة «إدوارد سيفرز» كان سنة 1932؛ أي بعد التاريخ الذي ذكره صاحب المعجم بسبع سنين. والحقيقة أن ما يميز هذه الجماعة أو أحد أعضائها، لا يمكن حصره فقط في رؤيتها للقوانين الصوتية[77].

أما «شمدت» فقد ورد في تعريف مصطلح بـ«Wave Theory»، وهي:

«نظرية الموجات: نظرية قال بها اللغوي شمدت سنة 1872م، لتفسير نشوء اللغات من العائلة الهندية الأوروبية، وقال فيها إن التغيرات اللغوية حدثت باتجاه المحيط الخارجي لمكان استيطان الشعوب الآرية، وإن اللغات الشقيقة تفرعت من أصل واحد وانتشرت من مركز ذلك الأصل على شكل موجات».

ونظريَّة الموجة (Wellen-Theorie بالألَمانيَّة) نظريَّة ألَمانيَّة وضعها «يوهانس شمدت Johannes Schmidt (1843–1901)» سنة 1872 مقابل نظريَّة أُستاذه «أُوجست شليشر August Schleicher (1821–1868)» شجرة عائلة اللُّغات (Stammbaum-Theorie بالألَمانيَّة) أو «شجرة العائلة Family-tree»

77 - لمزيد من التفاصيل حول النحاة الجدد ورؤاهم اللسانية انظر:
Kurt R. Jankowsky 2001 : The Consolidation of the Neogrammarian Framework. p.1350-52.

الَّتي ظهرت سنة 1853[78]، ومن الباحثين من يرى أَنَّ «نظريَّة شمدت» هي بديل «نظريَّة شليشر» وهناك من يعتقد أَنَّها جاءت استكمالًا لتلك النَّظريَّة؛ لأَنَّ المقصود بها أَنْ تفسر التَّغيرات اللُّغويَّة النَّاجمة عن الاحتكاك بين اللُّغات واللَّهجات المختلفة[79].

وما أستطيع قوله هنا إن أسماء أعلام اللسانيات يجب أن تلقى عناية صناع المعجم اللساني لما لها من وظائف مهمة في سياق التعريف بالمصطلحات وتاريخها وتحولاتها وفق المقاربات المختلفة، فلربما ينعكس هذا الأمر على وظيفة المعجم المعرفية؛ لذا فالمقترح إزاء أسماء الأعلام أن تكتب بطريقة منتظمة موحدة في كامل المعجم، وأن يتبع كل اسم تاريخ مولد هذا العالم وتاريخ وفاته، وحبذا لو اقترن المصطلح بالمجال البحثي الذي ينتمي إليه إمعانا في تأريخ المصطلح وضبط تعريفه، وقد يبدو مهما إضافة ملحق خاص بأسماء الأعلام، والمصطلحات المتعلقة بها، وأرقام هذه المصطلحات في نهاية المعجم.

---

(78) لمزيد من التفاصيل حول علاقة شليشر بشمدت ونظرية كل منهما انظر :

Kurt R. Jankowsky 2001 : The Crisis of Historical-comparative Linguistics in the 1860s. .p.1329ff

(79) Lyle Campbell & Mauricio J. Mixco 2007 : A Glossary of Historical Linguistics. .Edinburgh University Press

## الخاتمة:

عرضت في هذا البحث لتاريخ المعاجم اللسانية الغربية قصد الكشف عن خصائصها وأهدافها ومساراتها التي سارت عليها، والمشكلات التي واجهتها، قصد الإفادة من هذا التاريخ في تجويد الصناعة المعجمية المختصة في الثقافة العربية، ثم تحدثت عن المعاجم اللسانية العربية وما تعانيه من مشكلات تعوق حركة التوحيد التي نتطلع إليها، ثمَّ تطرقت إلى بعض الأدوات التي يمكن من خلالها تحسين بعض خصائص المعاجم اللسانية العربية على مستوى التسجيل والوصف والعرض، وكان من بين الأدوات التي ركز عليها البحث التحليل التاريخي للمصطلحات للكشف عن تطوراتها المفاهيمية وعلاقاتها وتداخلاتها، وفي نهاية البحث، عرضت لطريقة ضبط أسماء الأعلام في المعاجم اللسانية العربية، لارتباطها الوثيق بوظيفة هذه المعاجم المعرفية.

## النتائج:

أما النتائج فأقدمها مختصرة فيما يلي:

- ضرورة الاهتمام بالتأريخ المعجمي؛ لأنه يكشف عن طبيعة التقاليد الخاصة بالمعاجم اللسانية؛ بنياتها ووظائفها؛
- التوجه نحو بناء معاجم للاختصاصات اللسانية المختلفة؛
- تحديد المستعمل وتخطيط المعاجم واختيار مصطلحاتها ومفاهيمها وفق حاجته؛
- وضع خطة واضحة تستوعب جميع الأدوات من أجل تحيين المعاجم اللسانية العربية وتحديثها لاسيما المعجم الموحد؛
- تنسيق التعريفات التي يتضمنها المعجم على ضوء ما ورد منها بالمعاجم السابقة والمعاصرة؛

- الاهتمام بالإحالة بوصفها بنية وسيطة بين واضع المعجم ومستعمله لأثرها الكبير في تقدير مواقف المستعمل تجاه المعجم؛
- تتبع حركة المصطلح داخل الاختصاص الذي نشأ فيه، وفي الاختصاصات الأخرى، وبيان علاقاته بالمصطلحات والمفاهيم ذات الصلة؛
- وجوب الاهتمام بأسماء الأعلام لأثرها الواضح في توثيق المصطلح والكشف عن علاقاته ومقارباته المختلفة؛
- أهمية اعتماد مقررات متقدمة خاصة بالمعجمية والمصطلحية في الجامعات العربية.

## المصادر والمراجع

د. خالد اليعبودي 2006: آليات توليد المصطلح وبناء المعاجم اللسانية الثنائية والمتعددة اللغات، فاس: منشورات ما بعد الحداثة.

ر. ر. ك. هارتمان 2003: المعاجم عبر الثقافات "دراسات في المعجمية" ترجمة د. محمد حلمي هليل، الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي "سلسلة الكتب المترجمة"، الطبعة الأولى.

فرانك نوفو 2012: قاموس علوم اللغة، ترجمة د. صالح الماجري. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى.

مجمع اللغة العربية بالقاهرة 1974: معجم المصطلحات اللغوية، مجلة مجمع اللغة العربية، مج 16.

د. محمد رشاد الحمزاوي 1986: ثلاث معاجم للمصطلحات اللسانية باللغة العربية؛ 2- معجم علم اللغة النظري، مجلة المعجمية، تونس، العدد الثاني، ص 172-176.

د. محمد علي الخولي 1982: معجم مصطلحات علم اللغة النظري، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

د. مصطفى غلفان 2007: المعاجم اللسانية في الثقافة العربية الحديثة- واقع تجربة، مجلة الدراسات المعجمية، العدد السادس، ص83-102.

مكتب تنسيق التعريب 2002: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، طبعة مراجعة.

د. منتصر أمين عبد الرحيم 2012: مفهوم الحدس في النظرية التوليدية، مجلة اللسانيات، العدد المزدوج (17-18)، ص5- 31، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية، جامعة الجزائر.

إعداد د. منتصر أمين ود. خالد اليعبودي،2016: الإنحاء ومكانة التغير اللغوي في المعجم التاريخي للغة العربية، ضمن كتاب المعجم التاريخي للغة العربية رؤى وملامح، الرياض: مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية، الطبعة الأولى.

Andrew MacLeish 1971: A Glossary of Grammar and Linguistics. Grosset and Dunlap[.Originally Published as Part II of Modern English]

Anibal Sánchez Diaz & Ernesto Zierer 1971: Explicativo Inglés-Castellano de Término de Grammática Generativa Transformacional. Universidad Nacional de Trujillo (Peru).

Anna L. DeMiller 2000: Linguistics : A Guide to the Reference Literature. 2nd Ed. Libraries Unlimited, Inc. Englewood, Colorado.

Antoine Meillet (Ed.) 1948: Linguistique historique et linguistique générale. Tome I, (1912: L'évolution des formes grammaticales). Paris: Champion.

Bernd Heine & Tania Kuteva 2004: World Lexicon of Grammaticalization. Cambridge University Press.

Bill VanPatten and Alessandro G. Benati 2010: Key Terms in Second Language Asquisition. Continuum.

Donald A. Lassau 1994: A Dictionary of Grammaticalization, vols. 1-3. Bochum: Universitatsverlag Dr. N. Brockmeyer.

E. F. K. Koerner 1999: Linguistic Historiography: Projects and Prospects. John Benjamins.

Elizabeth C. Traugott 2002: From Etymology to Historical Pragmatics. pp.19-49. in D. Minkofa & R. Stockwell (Eds): Studies in the History of the English Language. Berlin: Mouton de Gruyter.

F. L. Carrete 1977: Diccionario de términos filológicos. Editorial Gredos. Madrid.

H. Anderson 2006: Grammation, Regrammation and Degrammation. Tense Loss in Russian. Diachronica 23 (2): 231–258.

Hans-Dieter Kreuder 2003: Metasprachliche Lexikographie: Untersuchungen zur Kodifizierung der linguistischen Terminologie. Tübingen: Max Niemeyer.

J. Alan Kemp 2001: The Development of Phonetics from the Late 18th to the Late 19th Century. pp.1469-1480. In Sylvain Auroux et al (Eds.): History of the Language Sciences: An International Handbook on the Evolution of the Study of Language from the Beginnings to the Present. Vol.2. Berlin; New York : de Gruyter.

Jean Dubois et al 2002: Dictionnaire de la linguistique. Paris: Larousse.

Jerzy Kurylowicz 1975: Esquisses Linguistiques. II. (1965: The Evolution of Grammatical Categories). Munich: Wilhelm Fink.

John E. Joseph 1995: Trends in Twentieth-Century Linguistics: An Overview. pp.221-233. in E. F. K. Koerner & R. E. Asher (Eds.): Concise History of the Language Sciences: from the Sumerians to the Cognitivists. Pergamon.

John G. Fought 2001: The Bloomfield School and Descriptive Linguistics. pp.1950-1966. In Sylvain Auroux et al (Eds.): History of the Language Sciences: An International Handbook on the Evolution of the Study of Language from the Beginnings to the Present. Vol.2. Berlin; New York : de Gruyter.

John Walmsley 2011: A Term of Opprobrium: Twentieth Century Linguistics and English Philiology. pp.40-41 in Gerda Hassler & Gesina Volkmann (Eds): History of Linguistics 2008. Selected Papers from the Eleventh International Conference on the History of the Language Sciences (ICHoLS XI), 28 August - 2 September 2008, Potsdam. Amsterdam: John Benjamins.

Kurt R. Jankowsky 2001 : The Crisis of Historical-comparative Linguistics in the 1860s. pp.1326-1338. In Sylvain Auroux et al (Eds.): History of the Language Sciences: An International Handbook on the Evolution of the Study of Language from the Beginnings to the Present. Vol.2. Berlin; New York : de Gruyter.

Kurt R. Jankowsky 2001 : The Consolidation of the Neogrammarian Framework. pp.1350-1367 In Sylvain Auroux et al (Eds.): History of the Language Sciences: An International Handbook on the Evolution of the Study of Language from the Beginnings to the Present. Vol.2 Berlin; New York: de Gruyter.

Maria Smit 2004: Hans-Dieter Kreuder: Metasprachliche Lexikographie: Untersuchungen zur Kodifizierung der linguistischen Terminologie. Tübingen 2003. Lexikos (14): 415-22.

Mario A. Pie & Frank Gaynor 1954: Dictionary of Linguistics. Preface. Philosophical Library.

Marita Kristiansen 2014: Concept Change, Term Dynamics and Culture-Boundness in Economic Administrative Domains. pp.235-256 in Rita Temmerman & Mark Van Campenhoudt (Eds): Dynamics and Terminology: An Interdisciplinary Perspective on Monolingual and Multilingual Culture-Bound Communication. John Benjamins.

Maurice Leroy 1946: Marouzeau (Jules), Lexique de la terminologie linguistique. Français, Allemand, Anglais. Revue belge de philologie et d'histoire, tome 25, fasc. 1-2: pp. 165-6.

M. Lynne Murphy & Anu Koskela 2010: Key Terms in Semantics. Continuum.

Muriel Nord 2010: Degrammaticalization: Three Common Controversies. pp.123-50. in Katerina Stathi et al (Eds): Grammaticalization : Current Views and Issues. John Benjamins.

Nicholas Allott 2010: Key Terms in Pragmatics. Continuum.

Philip Carr 2005: A Glossary of Phonology. Edinburgh University Press.

Rose Nash 1968: Multilingual Lexicon of Linguistics and Philology. University of Miami Press.

R. P. Botha 1981: The Conduct of Linguistic Inquiry. Mouton Publishers, The Hague.

S. Auroux 1987: The First Uses of the French Word Linguistique (1812- 1880). pp. 447-59. in Hans Aarsleff, Louis Kelly, and Hans-Josef Niederehe (ed.): Papers in the History of Linguistics. Amsterdam: John Benjamins.

T. Wasow & J. Arnold 2005: Intuitions in Linguistics Argumentation. Lingua (115): 1481-96.

Vachek, J. & Dubsky 2003: Dictionary of the Prague School of Linguistics. Translated by Aleš Klégr et al.; edited by Libuše Duškova. John Benjamins.

# المعجم الثنائي اللغة في التراث العربيّ
# الإدراك للسان الأتراك لأبي حيان الأندلسيّ نموذجًا

د. منتصر أمين عبد الرحيم(*)

## أهمية كتاب الإدراك

فرضت ظروف الاحتكاك المختلفة بين اللغتين العربية والتركية وجود مجموعة من الكتابات التي تعكس اهتمامًا كبيرًا بتعلم اللغة التركية وتعليمها لأبناء العربية، ويعد كتاب "الإدراك للسان الأتراك"[1] أحد أهم الكتب التي اهتم فيها اللغويّ البارع والنحوي أبو حيان الأندلسي (654- 745 هـ/ 1256-1345م) باللغة التركية بالإضافة إلى تأليف عدد لا بأس به من الكتب الأخرى التي اتخذت من اللغة التركية موضوعًا لها، وقد عدَّ فرشتيج هذا الكتاب من أوائل الكتب التي قصدت إلى تطبيق نموذج النحو العربيّ على لغات أخرى غير العربية[2]، كما يمثل هذا الكتاب لمرحلة مهمة من مراحل تطور اللغة التركية في ضوء احتكاكها باللغة العربية، فيشتمل على وصف لغويّ دقيق للتركية المكتوبة بالأبجدية العربية (العثمانية)، ويتكوّن هذا الكتاب من أقسام ثلاثة هي: المعجم، والقسم الثاني عبارة عن دراسة صرفية (مورفولوجية) لأبنية الكلمات التركية،

---

(*) كلية التربية والآداب – جامعة الطائف.

(1) لهذا الكتاب أكثر من نسخة وله كذلك ترجمة باللغة الإنجليزية، وسوف أعتمد في هذا البحث على النسخة التي نشرها مصطفى بن حافظ حسين خسرو بن مصطفى بن عثمان بن محمد بن إبراهيم الشهير بمنلا زاده رادويشي – باستانبول 1309هـ.

(2) see C. H. M. Versteegh 2006: Arabic Linguistic Tradition. P.438.

والقسم الثالث دراسة لتراكيب التركية وقواعدها، وفي هذا القسم الأخير يبدو تطبيق النظام النحويّ العربيّ واضحًا على تراكيب اللغة التركية.

## المعجم في كتاب الإدراك

وما يعنينا في هذا البحث هو المعجم أو القسم الأول من الكتاب بوصفه معجما ثنائي اللغة يهدف إلى تعليم التركية لأبناء العربية، وهو من وجهة نظري من أقدم وأهم المعاجم الثنائية في التراث العربيّ، وأقصد من وراء هذا البحث بيان بنية هذا المعجم ومصادره والتقنيات المستخدمة فيه بغرض تقريب اللغة التركية وتعليمها والضروب اللسانية التي اعتمد عليها، ذلك من أجل التنبيه على مؤلَّف مهم من المؤلَّفات العربية الرائدة في هذا المجال، وبيان طريقته وتقنياته الموظفة بغرض تعليم التركية بصفة خاصة، وتأكيد فاعلية مثل هذا النهج في بناء المعاجم الثنائية اللغة عامة.

كما يسعى هذا البحث إلى التأكيد أن الدعوة إلى استقلال المعجمية عن اللسانيات في العصر الحديث بحجة أن الصناعة المعجمية أمر مختلف عما يعمل عليه النحاة من صياغة الفرضيات والنظريات التي تبتعد عن الحقائق اللغوية أو المعاني الملموسة[3] دعوة تحتاج إلى مناقشة جادة يجب تقديمها وإدارتها في ضوء ما تطرحه أعمال معجمية جل صناعها من النحاة واللسانيين.

### 1 - أقسام كتاب الإدراك

ورد في مقدمة كتاب الإدراك تفصيل يتعلق بكيفية ضبط اللسان واللغات على اختلافها، هذا التفصيل يتبين منه أن "ضبط كل لسان يحصل بمعرفة ثلاثة أشياء، أحدها معرفة مدلول مفردات الكلم ويسمى علم اللغة، والثاني أحكام

(3) انظر لمزيد من الاختلافات بين اللساني والمعجمي:
Pawley, A. 1985: Lexicalization. In: Georgetown University Roundtable on language and Linguistics, pp. 98-120. (D. Tannen, ed.). Georgetown University Press. p.99; Frawley, W. 1992/1993: Introduction. Dictionaries (14): 1-3. p.1.

تلك المفردات قبل التركيب، ويسمى علم التصريف، والثالث أحكام حالة التركيب، ويسمى عند المتكلمين على اللسان العربي علم النحو"[(4)] .

ويتضح من النص السابق أن تعلم/تعليم لغة ثانية إنما يتم من خلال فهم المتعلم لمعاني مفردات اللغة الهدف وأصولها واشتقاقاتها (التصريف) وطرق نظمها وانتظامها في تراكيب دالة (التركيب/النحو)، كما يشير النص السابق أيضًا إلى أن معرفة مفردات اللغة الهدف وتحصيل معانيها هو الخطوة الأولى في سبيل تعلمها وإتقانها.

والحقيقة أن هذا النص يمثل طريقة ومنهجًا يتبعه أبو حيان في كتاباته النحوية المهمة، ودليل هذا بالإضافة إلى التعميم الذي يتضح من عبارة أبي حيان أن نرى العبارة موجودة أيضًا في مقدمة كتاب من أهم كتب أبي حيان ألا وهو ارتشاف الضرب من لسان العرب[(5)] ، فهذه الفقرة تبيّن منهجًا تعليميًّا مقترحًا يتدرج هرميًّا من الأبسط إلى المعقد، من الكلمات إلى التركيب، ومن ثم فقراءة المعجم (القسم الأول من الكتاب) لا تنفصل بحال من الأحوال عن بقية أقسام الكتاب (التصريف والتركيب) فكل منها يثري الآخر ويعزز سيرورة تعلم اللغة الهدف المنشودة.

**2 – حجم المعجم في كتاب الإدراك:**

إن صناعة معجم ثنائي اللغة تختلف عن صناعة معجم أحادي اللغة من حيث الحجم أو الحيز أو يجب أن تكون مختلفة، والحقيقة أن هذا الأمر يتوقف على عدة عوامل، من أهمها : العلاقة بين اللغتين المصدر والهدف ودرجة ارتباط كل منهما بالأخرى، هذا بالإضافة إلى مستوى متعلم هذه اللغة، وغيرها من العوامل الأخرى.

(4) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص8.

(5) أبو حيان الأندلسي: انظر مقدمة ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح مصطفى أحمد النحاس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، 1987.

وفي حالة معجم الإدراك قصد أبو حيان إلى ما أسماه جملة غالبة من خصائص لغة الترك، يقول أبو حيان: "والغرض في هذا الكتاب ضبط جملة غالبة من لسان الترك لغة وتصريفا ونحوا"[(6)]، إن عبارة أبي حيان (جملة غالبة من لسان الترك) تبين لنا أن معجمه لن يتناول كل ما في التركية إنما يتناول فقط ما يحتاج إليه المتعلم، وهذا شي مهم في بناء المعجم الثنائي، فعلى الصانع أن يراعي في معجمه حاجات المتعلمين ومستواهم، وفي ظل علاقة احتكاك لغويّ موجودة بالفعل بين اللغة الهدف (التركية) ولغة المتعلم (العربية) زمن وجود أبي حيان في مصر، يمكن لنا تبرير هذا النهج. ويشغل المعجم في هذا الكتاب من الصفحة العاشرة (10) إلى الصفحة الرابعة والعشرين بعد المئة (124)، وهذا يعني أنه يشغل ما يزيد عن نصف الكتاب إذ يبلغ هذا الكتاب مئتين وثلاث عشرة صفحة.

**3 - الاختصارات والتنبيهات:**

عني أبو حيان بوضع مجموعة من الاختصارات التي قصد بها ضبط التشكيل الصوتي/النطقي للكلمات التركية، وهذه الاختصارات إشارة مهمة من إشارات المعجم تنم عن فهم ووعي أبي حيان بمخاطر الانحراف النطقي الذي قد تتعرض له الكلمات مما يؤثر في دلالتها أو التباس معناها بمعاني كلمات أخرى، فجاءت هذه الاختصارات زيادة في الضبط والإحكام، يقول أبو حيان: "ووضعت علامة للمرقق (ق)، وللمفخم (خ)، وللمشوب (ش)"[(7)]، والحقيقة أن اختيار هذه الاختصارات يتميز بالبساطة مما يسهل على المتعلم استخدام المعجم، ويساعده في ضبط التطريز التصويتي للكلمات.

وإلى جانب قائمة الاختصارات السابقة ثمة مجموعة أخرى لا تتعلق بالتصويت إنما تتعلق بمصادر المعجم أي باللغات والضروب اللهجية التي

(6) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 8، 9.

(7) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 9.

استقى منها أبو حيان بعض الكلمات، يقول: " وللمنقول من لسان الفرس (ف)، ومن لسان التركمان (ت)"[8]، وما قيل عن بساطة مختصرات التصويت والنطق ينطبق على هذه أيضاً.

كذا نبّه أبو حيان على أن الضبط الموجود في معجمه هو الضبط الصحيح، وأنه إذا كان هناك ضبط آخر يخالف ما جاء في معجمه فإنه نتيجة الاحتكاك اللغوي بين التركية وغيرها من اللغات، يقول: "وما وجدته في كتابي هذا مضبوطاً ورأيت من يتكلم بلسان الترك يخالفه في زيادة حرف، أو نقصه، أو تغيير حركة بحركة، أو تحريك مسكن، أو تسكين محرك، أو غير ذلك فلتعلم أن ذلك منه لحن في هذه اللغة إذ قد تغير كثير منها في هذه البلاد لمخالطة المستعربة وغيرهم من الأعاجم"[9].

**ترتيب المعجم:**

بالنسبة إلى ترتيب مواد المعجم يقول أبو حيان: "وقد ضبطت هذا اللسان حرفًا حرفًا ورتبت الكلام في اللغة على حروف المعجم باللسان التركي، فأذكر اللفظة التركية وأُتبعها بمرادفها من العربية"[10].

وكان أبو حيان قد ذكر في القسم الخاص بالتصريف مجموعة الحروف/ الأصوات التركية، فقال: "وحروف المعجم في هذا اللسان ثلاثة وعشرون حرفًا وهي: الهمزة، والباء الخالصة، والباء المشوبة، والتاء، والجيم الخالصة، والجيم المشوبة، والدال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والغين، والقاف، والكاف الخالصة، والكاف البدوية، واللام، والميم، والنون الخالصة، والنون الخيشومية، والواو، والياء"[11]، وعليه نجد أن الترتيب المتبع

(8) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 9.

(9) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 9.

(10) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 9.

(11) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 125.

في هذا المعجم هو الترتيب الألفبائي حيث بدأ بحرف الهمزة وانتهى بالياء مرورًا بالحروف التي بينهما.

## مصادر المعجم

لكل معجم ثنائي اللغة مصادره التي يعتمد عليها، وهذه المصادر تختلف عن مصادر بناء المعجم الأحادي بطبيعة الحال، وينبغي أن يكون المتصدي لهذا النوع من الصناعة على معرفة كافية باللغة المصدر موضع التعلم، هذا بالإضافة إلى معرفته بضروب هذه اللغة وتنوعاتها اللهجية الفاعلة في تغيير دلالة كلماتها وطرق استخدامها، علاوة على إمكانية الإفادة من معاجم أخرى سبقته إلى هذه اللغة، أو الاعتماد على أشخاص يحيطون بهذه اللغة ويجيدونها، ومن ثم أعرض هنا للمصادر التي اعتمد عليها أبو حيان في بناء معجم الإدراك، وأبين مجموعة التنوعات والضروب اللغوية الواردة في معجمه.

### (أ) بيلك وفخر الدين:

ورد في معجم الإدراك اسمان اعتمد أبو حيان على كل منهما في بيان بعض معاني الكلمات أو ضبط طريقة لفظها في لغتها، وهاتان الشخصيتان هما: بيلك وفخر الدين، وقد كنى أبو حيان الأخير فقال (شيخنا)، ونسب إلى الأول منهما كتابًا ظاهر أمره أنه معجم ثنائي اللغة يهتم باللغة التركية، فقال : وفي كتاب بيلك. وورد معًا في قوله عند الحديث عن (أُيا) = "العش كذا في كتاب بيلك، وقال شيخنا فخر الدين: لا أعرفه إلا (يوا)، وقد ذكرناه في حرف الياء".

والحقيقة أن كتاب الإدراك يخلو من الإشارات التي قد تساعدنا في تحديد هاتين الشخصيتين تحديدًا دقيقًا، ولكن هناك من يرى أن فخر الدين هذا هو (أبو طاهر إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن برتق بن برغش بن هارون القوصي الفقيه الحنفي المصري)، وهو المسمى جلال الدين، توفي في السنة السادسة من

سلطنة الناصر محمد الثالثة سنة (715هـ / 1315م)، وهو شيخ أبي حيان إذ تعلّم على يديه القراءات القرآنية السبع[12].

أما بيلك هذا فالراجح أنه غير معروف، فهناك ثلاثة أسماء مطروحة من أجل تحديد هذه الشخصية، هذه الأسماء هي: علاء الدين بيلك القفجاقي، وبيلك بن عبد الله القبجاق، وبيلك الخازندار، ويبدو أن "Ermers" يرجح أن يكون بيلك هذا هو بيلك الخازندار الذي اشتهر بمعرفته للغات أجنبية كثيرة فضلا عن درسه للتاريخ والحديث، حيث ذُكِر هذا الاسم أيضا في كتاب "البلغة" (ويقصد به كتاب "بلغة المشتاق في لغة الأتراك والقبجاق"لجمال الدين التركي)[13]، ولبيلك هذا كتاب يسمى الأنوار المضيئة غير أن محتوى هذا الكتاب غير معروف[14] مما يصعب معه القول بأنه الكتاب المقصود في المعجم الذي نقل عنه أبو حيان.

وعلى أية حال فالواضح أننا إزاء مصدرين: أحدهما يمثل رواية شفهية عن طريق شيخه فخر الدين، والآخر يعد مصدراً مكتوباً إذ دائما ما يحيل إليه بقوله "وفي كتاب بيلك" وأغلب الظن أنه معجم في اللغة التركية مفقود، وقد تتبعت مواضع ذكرهما في المعجم فوجدت لبيلك (26) ستة وعشرين موضعا، ولفخر الدين (5) خمسة فقط.

*** بين بيلك وأبي حيان :**

يهمنا هنا أن نعرض للعلاقة بين بيلك وأبي حيان داخل المعجم، ومن أشكال هذه العلاقة ما يلي: **أن يتفقا حول معنى كلمة ما ولفظها**، يقول أبو حيان: ين = الريش في كتاب بيلك. أو **أن يتفقا حول معناها ويختلفا في لفظها**،

(12) see Ermers, R. 1999: Arabic Grammars of Turkic: The Arabic Linguistic Model Applied to Foreign Languages and Translation of Abu Hayyan al Andalusi's Kitab al-Idrak li-Lisan al-Atrak. Leiden: E. J. Brill. p.26.

(13) see Ermers, R. 1999. op. cit. p.26, 39

(14) Ibid, p45

يقول أبو حيان: **قُلَق** = الأذن، وفي كتاب بيلك (**قُلَع**). أو **أن يتفقا على لفظها ويختلفا حول معناها**، يقول أبو حيان: **يمشي** = الفاكهة وفي كتاب بيلك الثمرة. وورد مثال يبين أنهما **اختلفا في اللفظ والمعنى**، يقول أبو حيان: **أُودى** = فت وفي كتاب بيلك (**أُودو**) = طحن، وفي أمثلة واضحة يبدو أن كتاب بيلك يطرح مجموعة من المعاني أكثر من التي يطرحها أبو حيان، يقول: **بُزَوُ** = العجل الصغير، ويقال (**بُزَغُو**) بالواو والغين، وفي كتاب بيلك ولد الأيل وفيه أيضاً العجل الصغير. ويقول: **بَصا** = يقال عند الاستزادة من الحديث نحو إيه في اللسان العربي، وقال بيلك: بصا = كلمة يجئ في أثناء كلامهم فاصلة وهي لفظة بصا = فتارة تكون بمعنى ثم، وتارة بمعنى إلا، وتارة بمعنى أيضًا.

*** بين فخر الدين وأبي حيان:**

العلاقة بين أبي حيان وشيخه فخر الدين فيما يتعلق بمداخل المعجم لا تختلف كثيرًا عن الأشكال السابقة للعلاقة بينه وبين بيلك، فقد يتفقا في اللفظ ويختلفا حول المعنى، يقول أبو حيان: **صَلَّجا** = المحفة، وقال سيخنا فخر الدين: **صَلَجا** = عود الجنازة. أو يتفقا حول المعنى ويختلفا في اللفظ، يقول أبو حيان: **كَبكُك** = الشديد الزرقة، وقال شيخنا فخر الدين: هو بالميم بدل الباء. ولكن ثمة إشارة وردت عند حديث أبي حيان عن (**اِشْكِك**) يتبين منها صدقه في النقل وتحريه، يقول: **اِشْكِك** = المجدف، ولم يعرف شيخنا فخر الدين هذه اللفظة.

*** بين بيلك وفخر الدين:**

ورد في المعجم الخلاف بين فخر الدين وبيلك حول بعض الكلمات على النحو التالي، يقول أبو حيان:

○ **أُيا** = العش كذا في **كتاب** بيلك، وقال شيخنا فخر الدين: لا أعرفه إلا (**يوا**)، وقد ذكرناه في حرف الياء.

ومن الواضح أنهما اتفقا في هذا المثال حول معنى الكلمة واختلفا في لفظها. أما المثال التالي فقد اختلفا فيه حول اللفظ والمعنى معًا، يقول أبو حيان:

○ صِزدِردى= أذاب هكذا في كتاب بيلك، وقال شيخنا فخر الدين ليس بجيد بل أذاب (آَرِتى) لأن ذاب (آَرِدى) وأما (صِز) فأنضج، و(صِزْدى) نضج في نفسه.

(ب) الضروب اللهجية في المعجم

وردت في المعجم مجموعة من الضروب اللهجية للغة التركية التي أخذ عنها أبو حيان بعض الألفاظ والمعاني، وهي اللغة القبجاقية(15)، والتركمانية(16)، ولغة البلغار(17)، ولغة التركستان(18)، ولغة طقصبا(19) كما وردت في المعجم مجموعة أخرى من المفردات المترّكة عن العربية أو الفارسية(20).

والناظر إلى هذه المجموعة من الضروب اللهجية يرى أن أبا حيان اعتمد في بناء هذا المعجم على صنفين من أصناف الضروب اللهجية التركية، أولهما: مجموعة الضروب المتفاعلة التي تنتمي إلى لغة واحدة، وتسمى في مجال احتكاك اللغات (Intrafamily Contacts)، والصنف الثاني تمثله مجموعة من الضروب التي تمثل علاقة احتكاك هذه الضروب بلغات أخرى، وتسمى

(15) ورد هذا الضرب اللغوي في الصفحات التالية من كتاب الإدراك: 15 (2)، 22 (3)، 23 (2)، 25 (2)، 31، 34 (2)، 35، 38، 43، 45 (3)، 46 (2) 47 (2)، 48، 49، 53، 55، 56، 61، 67، 69، 72، 76 (2)، 79، 80 (2)، 86، 87، 89، 93، 94، 97، 102، 105، 110 (2)، 111، 114 (2)، 116، 121.

(16) وورد ذكرها في الصفحات: 11، 17، 18، 21، 30، 31، 35، 45، 46، 47 (2)، 48 (2)، 49، 68، 72، 75، 78، 79 ، 80 (4)، 87، 89 (3)، 93، 94، 96، 97، 98، 99، 102 (2)، 103، 105 (3)، 113 (2)، 114 (3)، 121، 122.

(17) وورد في الصفحات: 13، 16.

(18) وردت في الصفحات: 34، 49.

(19) وورد ص 20.

(20) ورد القول بالنقل عن الفارسية صراحة في الصفحات: 12، 36، 41 (2)، 42، 44 (2)، 45، 49، 56، 73 (2)، 74، 76، 90، 92، 94، 106 (2)، 107، 112، 115. وورد لفظ التتريك سواء عن العربية أم الفارسية في الصفحات: 37، 58، 60، 74، 92، 95 (2)، 97، 101، 112.

"nterfamily Contacts"[21]، ولا يخفى تأثير هذا الاحتكاك بنوعيه ليس فقط في المستوى المعجمي للغة موضع الاعتبار بل في المستوى التركيبي الخاص بها أيضا، وهذا ما يجب على واضع المعجم أن يعيه تمامًا.

**المعلومات الصوتية في المعجم:**

من المهم أن يعرض المعجم ثنائي اللغة لمجموعة من المعلومات الصوتية التي تمكن المتعلم من النطق السليم للغة الثانية، وبخاصة إذا كانت هذه اللغة قد استمدت مفرداتها من لهجات مختلفة، وقد عرض أبو حيان في مواضع متفرقة من الكتاب مجموعة من المعلومات الصوتية المتعلقة بطريقة نطق المفردات في اللغة التركية، فنجده على سبيل المثال:

1 - عرض في المعجم لمجموعة الأصوات والحروف وبعض سماتها في اللغة التركية، فقال عن اتصال الباء بأختها مثلا:الباء مع الباء = لا يوجد أول كلمة باء مشوبة إلا قولهم: **ببج** "ش"، فإن أولاهما مشوبة. وقال عن حرف اللام والكلمات التي يدخل فيها: (حرف اللام) وهو قليل في الأسماء، وأما في الأفعال فلا يكاد يوجد، وأما في الحروف فلا يحفظ منه إلا قولهم لى بمعنى ذو.

وهذا العرض يرتبط بما جاء في القسم المستقل الخاص بالتصريف حيث ذكر الحروف التركية، فقال: "وحروف المعجم في هذا اللسان ثلاثة وعشرون حرفًا وهي: الهمزة، والباء الخالصة، والباء المشوبة، والتاء، والجيم الخالصة، والجيم المشوبة، والدال ، والراء ، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والطاء، والغين، والقاف، والكاف الخالصة، والكاف البدوية، واللام ، والميم، والنون الخالصة، والنون الخيشومية، والواو، والياء"[22]، ولم يكتف أبو حيان بهذا بل نبه

(21) لمزيد من التفاصيل حول هذين الصنفين انظر:
Lars Johanson 2010: Turkic Language Contacts . p. 652-653. in Raymond Hickey (Ed.): The Handbook of Language Contact. Wiley-Blackwell. Pp. 652-672.

(22) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 125.

أيضاً على أنه "متى وجِد في بعض الكلم حرف غير هذه فيعلم أن تلك الكلمة غير تركية، بل منقولة من لغة غير هذه اللغة، مثل (اَخْشَم) و(فَرَمَنْ)"[23].

2 - وضع الرموز الخاصة بطريقة نطق بعض الأصوات وحالاتها النطقية من تفخيم أو ترقيق وغير هذا واستخدام هذه الرموز داخل المعجم ، قال أبو حيان: " ووضعت علامة للمرقق (ق)، وللمفخم (خ)، وللمشوب (ش)"[24]، ومن أمثلة استخدامه لهذه العلامات داخل متن المعجم قوله: **أَبْجى** = "ش" المرأة يعني عورت، **أوج** = "خ" الثأر، **دزدى** = "ق" نظم الشيء.

3 - نبه على الضبط الصحيح للكلمات داخل معجمه وللصورة الأخرى التي قد تبتعد عنه، وفي هذا يقول: "وما وجدته في كتابي هذا مضبوطًا ورأيت من يتكلم بلسان الترك يخالفه في زيادة حرف، أو نقصه، أو تغيير حركة بحركة، أو تحريك مسكن، أو تسكين محرك، أو غير ذلك فلتعلم أن ذلك منه لحن في هذه اللغة إذ قد تغير كثير منها في هذه البلاد لمخالطة المستعربة وغيرهم من الأعاجم"[25]. وقال أيضًا: "جِين = النقش بالحرير، وجميع ما أوله جيم هي فيه مشوبة.

4 - عرض لصور الكلمات إذا كانت تنتمي إلى ضروب لهجية مختلفة، ونص على تسمية كل ضرب منها، وما يصاحب هذا الانتماء من طرائق النطق المختلفة باختلاف هذه الضروب، ومن أمثلة هذا: **أويدى** = نام وإبدال الياء ذالا لغة تركستانية قالوا: **أزيدى**، وقد ذكرناه قبل.

5 - قام بشكل وضبط أغلب كلمات المداخل في المعجم.

6 - بيّن أصول الصيغ وما حدث لأصواتها من تغيرات، ومن أمثلة هذا قوله: **اغردى** = شاب وأبيضّ، وأصله **اَقْردى** فأبدلت القاف غينا. وقوله: **اُنَدّى**

(23) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 125.

(24) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 9.

(25) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 9.

= تأصل، **الندردى** = أَصل، ولن إنما دخلت على تأصل ثم وجدت في أصل، واللام قبل النون زائدة أدغمت فيها لام ال.

7 - ربط بين تصويت الكلمات وبعض وظائفها المختلفة داخل نظام اللغة، ومن أمثلة هذا: **بُغْدى** = خنق، وهو علم ، وترقق باؤه إذا كان علمًا.

8 - وضّح كيفية نطقها في الكلام المرسل الواقعي، ومن أمثلة هذا: **أُل** = هو، وبمعنى ذاك، وبمعنى الأصل، ويقال بمعنى التحسين، يقال في المدح: **أُل صَغا** ، ويقال **أُلي** (خ) أي أحسنت، و**أُلى أُلى**.

**المعلومات الصرفية في المعجم:**

أفرد أبو حيان في كتابه فصلًا كبيرًا تحدث فيه بعناية عن المستوى الصرفيّ للغة التركية، وعرض فيه لأبنية الأفعال السماعية والقياسية، وتحدث عن التصغير، والنسب، والجمع، ثم عن اسم الفاعل، والمبالغة، والتفضيل، واسم المفعول، والمصدر، واسم المكان، والآلة، والهيئة، ثم عن الأعداد، وحرف النقل والتعدية، وحروف المطاوعة، والاتحاد، والمشاركة، والمضارعة، والمضي، ثم حروف الزيادة وأماكنها، ثم الحديث عن البدل، والحذف، والإدغام، وبين خلال هذا الفصل بعض الخصائص التي تميز التركية عن العربية، ورغم هذا لم يخل المعجم من بعض المعلومات الصرفية، ومن أمثلة هذا:

*** بيان دلالة أجزاء الكلمة وأثر تفاعل هذه الدلالات في معنى الكلمة:**

- **يتي** = السبعة، وأصلها (**يدي**)، وينطق أيضا بالأصل (**يتمش**)= سبعون التاء بدل من الدال، لأن (**يدي**) سبعة، و(**مش**) صار بها تدل على السبعين.
- **كُرُشْدى**= أي صافحه، والشين فيه للمفاعلة، وهو منقول من ناصره إلى صافحه.

*** عرض لبعض الصيغ الفعلية والتغيرات التي تحدث فيها:**

- **تِرلدى** = عاش وحقيقته أُحيي واللام لحقت لأجل بناء الفعل للمفعول.
- **كِرتو** = صادق، ولا يأتي منه فعل، بل إذا أرادوا معنى صدق قالوا: **كِرتوسُزلَدى**؛ أي تكلم صادقًا.
- **بس** = هي التربية، **بسلدى** = ربّى، **بسلندى** = تربّى، **بسى يخشى در** = أي تربية جيدة، **ويمندر** أي رديئة.

*** عرض للصيغ المشتقة وبين دلالاتها:**

- **آز** = القليل، **ازيلدي** = صار قليلًا بمعنى قل، **ازلدى** = بمعنى انقل؛ أي صار قليلا.

*** عرض لمعاني الصيغ المصاحبة للكلام وبين دلالتها:**

- **دُر** = لفظة يصحب الخبر وغيره للتوكيد وتبدل داله طاء في بعض المواضع.

*** عرض لمعاني الحروف وحروف المعاني:**

- **أُطْلق**: الزناد، ولحقت (لق) للإعداد.
- **دردو**: الأربعة المجتمعة، ودرد هو الأربعة، وهذه الواو دالة على هيئة الاجتماع.
- **سُرْتُندى** = امسح، والنون للمطاوعة ثم استعمل بمعنى زحف.
- **سِز** = لفظ يلحق **الأسماء** فتدل على انتفاء ما دخلت عليه عن المحكوم عليه به فيقولون: (تلسز)؛ أي بلا لسان أي أخرس.
- **صَمَصَن** = أي لجَّ، ولحقت النون زائدة فرقا بين الاسم والفعل.

- **طبجي** = الخادم، و(**جي**) للنسبة.

**المعلومات النحوية في المعجم:**

على الرغم من أن التركيب أو القواعد شكلت قسمًا مستقلًا من أقسام كتاب الإدراك عالج فيه أبو حيان وضع المفردات داخل الجمل والأساليب مطبقًا النموذج النحويّ العربيّ على اللغة التركية، إلا أن معجمه لم يخل من إشارات مهمة تتعلق بالجانب التركيبي لبعض الكلمات، وأحسب أن مثل هذه المعلومات مهمة في التعريف بالكلمات ومعانيها، ومن أمثلة هذه الإشارات قوله:

- **تِرلك** = الحياة، **تِرلدى** = عاش، وحقيقته أُحيي واللام لحقت لأجل بناء الفعل للمفعول.
- **تُزَلْدى** = استوى، ولا يقال (**اَشْ تزلدى**)، إنما يقال (**اش بشتي**) استوى الطبيخ، ويجوز (**تزلدى اشلر**) ؛ أي استوى أمورها.
- **دِن** = النفس، يقال (**دِنِنْ اَلِشْتي**) ؛ أي تنفس، و(**الشتي**) معناه عاط وآخذ مأخوذا من(**اَلْدى**) أي أخذوا، والشين للمشاركة، والنون في (**دنن**) للمفعولية، والكسرة في النون الأولى للإضافة.
- **سِز** = اسم مضمر بمعنى أنتم، و(**سِز**) لفظ يلحق الأسماء، فتدل على انتفاء ما دخلت عليه عن المحكوم عليه به فيقولون: (**تُلْسز**) ؛ أي بلا لسان بمعنى أخرس، و(**كُزسِز**) ؛ أي بلا عين بمعنى أعمى، و(**اَطْسِز**) أي بلا فرس.
- **طُطْماج** = عجين يلقى مرقة اللحم معناه الممسك للجوع، (**طُطْما**) أي لا تمسك و(**آج**) جائعا، فيسمى بالجملة.
- **قَجْ** = كلمة يستفهم بها بمعنى كم.

- **كِرتو** = صادق، ولا يأتي منه فعل، بل إذا أرادوا معنى صدق، قالوا: **كِرتوسُزلَدي**؛ أي تكلم صادقًا.

والحقيقة أن بعض هذه المعلومات التركيبية والوظيفية كما يتبين لنا من خلال الأمثلة السابقة هي ركن أساسيّ في تعريف بعض المفردات، ووجودها في معجم ثنائي اللغة أمر مهم وضرورته مبررة من أجل استخدام هذه اللغة في التواصل بطريقة سليمة.

ويمكننا القول إن أبا حيان في معجمه لم يكتف فقط بذكر المعلومات الخاصة بالسلوك التركيبي للكلمات في لغتها فقط، بل حاول أن يفيد من آلية المقارنة بين سلوك بعض الكلمات في التركية وفي العربية تقريبًا للمسألة وإلحاحًا على تحقيق الفائدة، يقول على سبيل المثال:

- **دكما** = هذه جاءت كما جاءت (كل) في اللسان العربيّ، يضاف إليها ما بعدها، وذلك (**تيم**) و(**بِر**) و(**انَجا**) بمعنى (بعض) كذلك بخلاف المضاف والمضاف إليه في هذا اللسان، و(**بر**) معناه واحد، و(**انجا**) مثله، ثم استعمل مجموع ذلك بمعنى بعض.

**المعلومات الدلالية في المعجم:**

بين أبو حيان معاني الكلمات التركية باستخدام بعض المفاهيم العربية المتعلقة بالدلالة، فاستخدم مفاهيم كالأصل والمشترك والترادف والنقل والضد والكناية، أما عن طريقته في عرض دلالات الكلمات والمعلومات الدلالية الخاصة ببعض المفردات فيمكن لنا أن نلخصها في العناصر التالية:

1 - اعتماد الأصل في بيان معنى الكلمة ودلالة التحول عن هذا الأصل، ومثال هذا: **ابَطْرَا** = علم يسمى به أبا لأم، وأصله للجدة، ويقال للأم على طريقة التحنن.

بيان المعاني المشتركة والتفريق بينها في الاستخدام في بعض الحالات، ومثال هذا: اِدِي = مشترك بين أرسل وكان، فإذا كانت بمعنى أرسل كانت متصرفة، وإذا كانت بمعنى كان لم يتصرف فيها تغير المضي. **وآرو**= مشترك بين النحل والزنبور، وإذا أرادوا النحل بعينه قالوا: **بالْ اَرِيسِي**. **وقُر** = الوقت والسن يعني العمر، مشترك، بغدى = القمح وبالقبجاقي بيدى ويوصف به بمعنى أسمر.

2 - اعتماد الضد والمقابل، ومثال هذا: **اَرْكَك** = الذكر مقابل الأنثى. **يُرقا** = الرقيق المقابل للغليظ من قماش أو غيره.

3 - وضع الكلمات في أمثلة مستخدمة بالفعل لبيان معانيها، ومثال هذا: **أُرْقن** = رفقًا، يقال: **ارقن ارقن كَلُر**- أي يجيء رفقا رفقا.

4 - شرح معاني المكافئات منعا للالتباس، ومثال هذا: **اطلو**= الفارس؛ أي ذو الفرس. **واطلندى** = ركب؛ أي اتخذ فرسا. **واَغِرْلَدى** = استثقله بمعنى احترمه وأكرمه.

**الطريقة التواصلية ودورها في المعجم :**

من المعروف والشائع في اللسانيات التطبيقية التي تهتم بتعليم اللغات التركيز على ما يسمى الطريقة التواصلية في تعليم اللغات، وتشديدها على أهمية تلك الطريقة ومدى نجاحها، وهنا أعرض لبعض إشارات أبي حيان فيما يخص هذه الطريقة وأثرها في بيان المعاني وطرق استخدامها في سياقات تواصلية حقيقية، يقول:

**أَنُق** = الحاضر، يقال:

**أَنُق لاغِل**؛ أي احضره.

ويقال إذا طلب الإنسان الهدية يقول لصاحبه:

**ارمغن فني**، فيجيبه صاحبه:

**انق طُزْ**، أي حاضر.

ويقول أيضاً: **طنلا** = معناه وقت الصبح،

يقول : **طنلا كلدم**؛ أي جئت وقت الصبح،

وإذا قال: اجي في الصبح ، قال: **طندا كلكمن.**

وإذا كانت هذه الإشارات تمثل نسبة قليلة حيث وردت فقط مع بعض المداخل إلا أنها تؤكد لنا فطنة أبي حيان لأهمية هذه الطريقة، وتضرب لنا مثالًا جيدًا يمكن أن نفيد منه في صياغة المعجم الثنائي الحديث. كذلك وردت بعض الإشارات الخاصة بالعادات التواصلية في التركية وأعتبرها هنا متمًا للطريقة التواصلية، ومثال هذا:

- **بَصا** = يقال عند الاستزادة من الحديث نحو (إيه) في اللسان العربيّ، وقال بيلك: بصا = كلمة يجيء في أثناء كلامهم فاصلة وهي لفظة بصا = فتارة تكون بمعنى ثم، وتارة بمعنى إلا، وتارة بمعنى أيضًا.
- **دُب دُز** = "ش" يعطي معنى التفضيل وهي مبالغة في الاستقامة.
- **دُر** = لفظة يصحب الخبر وغيره للتوكيد وتبدل داله طاء في بعض المواضع.
- **دَلِم** = الكثير، يقال: (بودلم در)؛ أي هذا كثير، ويقال عند استكثار الشيء.

**معرفة اللغة والمعجم الثنائي**

الناظر في مجموعة مؤلفات أبي حيان يجد عددًا لا بأس به من الكتابات التي اهتم فيها أبو حيان باللغة التركية خاصة، فمن هذه المؤلفات: "الأفعال في

لسان الترك"[26]، و"زهو الملك في نحو الترك"، بالإضافة إلى كتابه "تحفة المسك في سيرة الترك"، وإذا كانت هذه المؤلفات تدل دلالة واضحة على معرفة أبي حيان بالتركية، إلا أن من المعروف عنه أيضًا أنه كان صاحب اهتمام كبير بلغات أخرى غير العربية كالفارسية والأثيوبية والقبطية، بالإضافة إلى اهتمامه بالقرآن والتوراة.

إن قراءة القسم الثاني المخصص للتصريف والقسم الثالث المخصص للنحو والتركيب من هذا الكتاب كفيلة ببيان معرفة أبي حيان بهذه اللغة الأمر الذي مكنّه من تطبيق النموذج النحويّ العربيّ كاملًا على نحو هذه اللغة، ولكن المهم بالنسبة إلينا هنا أن نؤكد على أن مثل هذه المعرفة ضرورة لكل مهتم بإنشاء معجم للغة من اللغات سواء أكان أحادي اللغة أم ثنائي اللغة.

وأود أن أشير هنا إلى بعض الإشارات التي وردت في هذا المعجم دالة على معرفة أبي حيان باللغة التركية، وأثر هذه المعرفة في المنهج الذي اتبعه في التعامل مع مواد معجمه، وطريقته في تعريفها وبيانها، وذلك للتأكيد على أنه يجب على المتصدي لصناعة معجم ثنائي اللغة أن تكون لديه هذه المعرفة بوجوهها المختلفة، فلا يغني ذكر المرادف غفلًا عن معرفة المعاني وامتلاك الكلمات أو امتلاك أسرارها، ولا يغني منفردًا شيئًا في فهمنا منطق اللغة المصدر وطريقتها في بناء معانيها وطرق استخدام تلك المعاني، ومن الوجوه التي تتبين لنا من خلالها هذه المعرفة ما يلي:

*** معرفة الكثير والقليل والشائع والمشهور، يقول :**

- **اوُزَرا** = بمعنى على، وهي في لغة التركمان أكثر.
- **دِلْنَق** = الحجة، ويقال بالتاء وهو أكثر.

(26) ذكره أبو حيان: الإدراك ص 158.

* **معرفة المهجور والمستعمل والغريب، يقول:**

- **اشنغ يل** = عام، العام الأول، ويقال: **اشنغيل**، والمستعمل اليوم **كَشْكَنيل**.
- **انط طي** = حزن وهي لغة غريبة جدًا والمستعمل الآن لغة التركماني **قَبْغُردي** بمعنى حزن.

* **معرفة الاستخدام الحقيقي والمجازي، يقول:**

- **اِشِك** = عتبة الباب ويكنى به عن الباب.
- **أُطَق** = يعبر به عن الخيمة والوطن في البرية، يقولون: **أُطْقَنْقَني**. أي: أين منزلك؟
- **اقجا** = الأبيض وغلب على الدرهم.
- **كن** = الشمس واليوم وهو مجاز في اليوم.
- **كَنُش** = يطلق على الشمس مجازا وحقيقته للشعاع.

* **معرفة العام والخاص من المعاني، يقول:**

- **أُكُو** = المهد، ويسمى أيضًا (**بشك**)، والفرق بينهما أنه يتخذ من الخشب والحديد **سريرًا** للصغير و(**أُكُرْمَك**) أعم من ذلك، وهو كل ما يتحرك الصغير فيه من سرير وغيره، وينطلق أيضًا على أرجوحة الصغير (**أُكُرْمَك**).

* **معرفة ما يستقبح ذكره من الألفاظ، يقول:**

- **بُزْدي** = ضيق ... ومنه قيل للدبر **بُزُكْ**، وهي مما يستقبح ذكرها.

* **معرفة مراتب الاستخدام وسياقاته، يقول:**

- **أُل** = هو، وبمعنى ذاك، وبمعنى الأصل، ويقال بمعنى التحسين، يقال في المدح: **أُل صَغا**؛ ويقال **أُلي** (خ)، أي أحسنت، وأُلى أُلى.

*** معرفة التلازم اللفظيّ ودلالاته، يقول:**

- o **تُزَلْدى** = استوى، ولا يقال (**اَشْ تزلدى**)، إنما يقال (**اش بشتي**) استوى الطبيخ، ويجوز (**تزلدى اشلر**)؛ أي استوى أمورها.
- o **دُر** = لفظة يصحب الخبر وغيره للتوكيد، وتبدل داله طاء في بعض المواضع.
- o **صَرى شِن** = أشقر اللون بصهوبة، ولا يستعمل (**اشن**) إلا مع (**صرى**).
- o **قر يغز** = أسود اللون، وأكثر ما يستعمل (**يغز**) مع (**قرا**)، وقد ينفرد.

*** معرفة أصل الوضع، يقول:**

- o **بيا** : يدعو الصغير أباه، والكبير أيضًا يدعوه كذلك،وأصله للصغير.

*** معرفة المنقول من معنى إلى آخر، يقول:**

- o **يُزْلَدى** = عتب ولام وكأنه منقول من ضرب وجهه.
- o **كُرُشْدى**= أي صافحه، والشين فيه للمفاعلة، وهو منقول من ناصره إلى صافحه.

*** معرفة الصور النطقية المختلفة للكلمة الواحدة، يقول:**

- o **الطرقج** = الكرسي، ويقال بالغين مكان القاف.

*** معرفة الظواهر الصوتية المختلفة وعلاقتها بدلالة الكلمات، يقول:**

- o **بُغدى = خَنَقَ، وهو علم، وترقق باؤه إذا كان علمًا.**

*** معرفة المكونات الدلالية للكلمة ومعاني مورفيماتها، يقول:**

- o **اِلْكُن** = الدولة، وهو مركب من (**ال**) بلد و(**كن**) الشمس، فجعلوا ذلك عبارة عن الدولة.

- دردو = الأربعة المجتمعة، و(درد) هو الأربعة، وهذه (الواو) دالة على هيئة الاجتماع مع المرقق، ويخلفها مع المفخم (الغين)، وتستعمل (الكاف) أيضًا موضع (الواو)، و(الكاف) هي الأصل.
- يَتْمُز = الذي ما له قدرة، (مز) معناها بلا و(يت) القدرة، فكأنه قال: بلا قدرة.

كل هذه الصورة المختلفة للمعرفة بلغة من اللغات تتيح لصاحبها بناء معجم ثنائي ذي تكوين جيد وعرض حسن، والحقيقة أن هذه المعرفة لم تكن لتتوافر في معجم إلا وصاحبه لغويّ ونحويّ بارع مثل أبي حيان، فالعمل المعجميّ على اختلاف صوره يقوم بطريقة واعية أو غير واعية على نظرية لسانية محددة تفيد من معطيات التحليل اللسانيّ على اختلاف مستوياته، وفي هذا أبلغ الرد على دعاوى الفصل بين عمل اللسانيّ وعمل المعجميّ، فهما متكاملان يفيد كلاهما من الآخر.

**المعجم والمجتمع:**

من الأمور التي لا جدال فيها أن اللغة ترتبط بالمجتمع وثقافته ارتباطًا وثيقًا، وأحسب أن هذا الارتباط ينسحب على جميع مستويات اللغة وبخاصة المعجم، فمن الجيد أن يشتمل المعجم وبخاصة المعجم الثنائي اللغة على الألفاظ والمفردات ومجموعة الأمثال التي تعكس لنا هذا الارتباط، ونجد هنا في معجم أبي حيان مجموعة كبيرة من مثل هذه المفردات منها: الألفاظ التي تتعلق بأسماء القبائل، وأسماء الأعلام، وألفاظ القرابة، وأسماء بعض المهن والوظائف والآلات، وعدة الحرب وألفاظ الرتب، والألفاظ الدالة على الطعام والوجبات، بالإضافة إلى بعض الألفاظ الدالة على بعض العادات الاجتماعية الخاصة بهذا المجتمع في ذلك الزمان.

**ملاحظات على المعجم:**

الملاحظة الأولى هنا تتعلق بالترتيب ولغة التعريف والتداخل بينهما، ففي أمثلة غير قليلة جمعت لغة التعريف بين العربية والتركية، ومن أمثلة هذا:

إ = أرسل "الارسال"، **كندى باشنه وكندى حالنه قومق معنا سنه**، يقال: أرسله إذا أهمله **لسانمزده إِ إِ دنلو ركه براق يتشور معنالرينى ادا ايدر.**

وهذا التعريف:

- يقدم لنا مرادف الكلمة باللغة العربية: أرسل "الارسال".
- ثم يسوق على هذا المعنى مثالاً من التركية : **كندى باشنه وكندى حالنه قومق** (أي تركه وشأنه).
- ثم يوضح معنى هذا المثال أو يترجم معناه باللغة العربية: **معنا سنه** (بمعنى ) يقال: أرسله إذا أهمله.
- ثم يذكر بعض الأفعال التي تؤدي هذا المعنى في التركية: **لسانمزده إِ إِ دنلو ركه براق يتشور معنالرينى ادا ايدر** (وفي لغتنا (أي التركية) تقول:إِ إِ دنلو ركه = اترك، يكفي يؤدي هذه المعاني).

ويمكن تبرير صورة هذا التعريف بأن أبا حيان قد استخدم مرادفًا يختلط معناه في ذهن المخاطبين، فتعريفه (إ = أرسل "الارسال" ) يشترك مع العديد من الأفعال العربية في أداء معنى غير معنى التَّرك والإهمال المصاحب للحرف (إ) في التركية، فجاء التعريف يوضح المعنى المراد بشرح هذا المعنى بطريقة مفصلة من خلال استخدام اللغتين.

والحقيقة أن الكلمات التركية المستخدمة في التعريف السابق ليست لها مداخل في المعجم، بل إن أبواب بعض هذه الكلمات ليست موجودة، فلم أعثر – على سبيل المثال – على باب بعنوان (الميم مع العين)، والسبب في هذا أن أبا حيان لم يعتمد العين حرفا من حروف الهجاء التركي السابق، وهنا نأتي إلى قضية

أخرى، وهي قضية حقيقة الحروف التركية وعددها، فإذا رجعنا إلى قسم التصريف وجدنا أبا حيان يؤكد أن الحروف التركية عددها ثلاثة وعشرون حرفًا، وأنه عدّ الحروف المختلفة عن هذه الحروف غير تركية، ولكن هل لأبي حيان أن يستخدم في معجمه حروفًا وكلمات -وفق رؤيته- غير تركية؟، وهل يمكن أن يستخدم في تعريفه بعض الكلمات ألفاظًا ليست لها مداخل خاصة في معجمه؟.

فى الحقيقة ثمة حاشية للناشر في القسم الخاص بالتصريف تفيد أنه نقل عن كتاب (القوانين الكلية لضبط اللغة التركية) أن الحروف التركية ثمانية وعشرون حرفًا في اللفظ وواحد وعشرون في الصورة منها العين المهملة الخالصة[27] التي لم يجعلها أبو حيان من بين حروف اللغة أو المعجم على السواء، وما أريد قوله بعيدًا عن الخوض في مسائل لا مجال لبحثها هنا: إننا أمام تعريف إما أن يكون من وضع الناشر، وهذا ما أؤيده لأسباب أذكرها، وإما أن يكون أبو حيان قد استعمل في معجمه لغة غير التي عدها تركية خالصة، وهذا مستبعد بسبب أن أغلب من قام بتأليف عربي يتناول اللغة التركية كان ينص على التركية الخالصة - إن جاز هذا الوصف - دون غيرها، هذا بالإضافة إلى أن هذه النسخة من الكتاب التي انتهى أبو حيان من تأليفها في يوم الخميس الموفي عشرين من رمضان سنة 712هـ (15 يناير 1313م) بمدرسة الملك الصالح بالقاهرة وهي التي اعتمد عليها الناشر هنا هي نسخة منقولة عن النسخة الموجودة باستنبول التي وصفها إرمرز (Ermers, R.) بأن أغلب كلماتها ليست مضبوطة الشكل، وأن قارءها تعوقه تعليقات كثيرة توجد على هامش الصفحات وبين سطور الكتاب[28].

ناهيك عما ورد في التعريف السابق من نسبة هذا التعريف إلى الناشر إذ جاء في التعريف قوله: لسانمزده (لغتنا)، فقوله:لغتنا، يدل بوضوح على أن

(27) أبو حيان الأندلسي: الإدراك، ص 125.

(28) See Ermers, R. 1999: op. cit. p.24.

صاحب هذا التعريف شخص غير أبي حيان، بالإضافة إلى عدم اعتبار أبي حيان حرف العين حرفا من حروف التركية، كما وردت في التعريف كلمة **معنالرينى**، ومن أصواتها العين، وليس لها مدخل في المعجم.

وكذلك يؤيد ما ذهبت إليه هنا الترتيب المتبع في المعجم، فالترتيب كما ذكرت من قبل ترتيب ألفبائي، ولكن المتأمل في الصورة التي جاء عليها هذا الترتيب يجد أن ثمة تداخلًا في ترتيب الكلمات بين المداخل والكلمات أو الأمثلة التركية الواردة في التعريف، انظر على سبيل المثال:

| **تركي** | **عربي** | وأزعم أن الأصل فيه أن يكتب هكذا | |
|---|---|---|---|
| اب | الحبل | اب | الحبل، و(يب) بالقبجاقي |
| يب | بالقبجاقي | | |
| آرو | مشترك بين النحل والزنبور، وإذا أرادوا النحل بعينه، قالوا | آرو | مشترك بين النحل والزنبور، وإذا أرادوا النحل بعينه، قالوا: (بال آريسى). |
| بال آريسى | | | |

ولا أدل على التداخل بل والتدخل أيضًا من قوله:**بَزَر** : السوق، وهي منقولة من الفارسية أيضًا، لسانمزده ألف ممدودة وباء مشوبة ايله بازار دينلور.

فهنا ترى أن كلمة (بَزَر) هي عينها (بازار) بمعنى السوق الواردة في المثال (ايله بازار دينلور)، ولكن أبا حيان لو أراد (بازار) لأتى بها، ولكن هذه الكلمة (بازار) الواردة في التعريف من وضع الناشر أو من الملاحظات والتعليقات الموجودة في مخطوطة الكتاب بيد غير يد أبي حيان، وأحسب أن تعريف أبي حيان

يقف عند قوله: وهي منقولة من الفارسية أيضًا. أما ما جاء بعد هذا الكلام من ملاحظات وأمثلة فهو للناشر أو لغيره.

**2 - التكرار**

من أمثلة التكرار كلمة (بِسْ) حيث وردت في باب (الهمزة مع الياء) وتكررت في باب (الباء مع السين)، قال: بِسْ = هي التربية، بَسْلَدى = ربّى، بَسْلَنْدى = تربّى، يقال: بسى يخشى در أي تربية جيدة و(يمندر) أي رديئة.

**3 - عدم ضبط بعض الكلمات التركية**

ورد في تعريفه كلمة (اشلق) = القمح يعني (بغداى). وورد في تعريفه كلمة (بُغْدَى) = القمح وبالقبجاقي بيدى ويوصف به بمعنى أسمر. وهنا لا تدري مكافئ كلمة (القمح) العربية أهي بغدى أم بغداى، وأحسب أن الأخيرة موضوعة وأن تعريف أبي حيان لكلمة اشلق ينتهي عند قوله: القمح.

**4 - عدم اكتمال التعريف**

ومن أمثلة عدم اكتمال التعريف وغموضه في بعض الأحيان قوله: برجلق = نوع من النبات، وقوله: بَغْر = المس، وقوله: بِقِن: الحاضرة، وقوله: بلدرن = نوع من النبات.

الخلاصة:

إن المعجم في كتاب الإدراك من أقدم المعاجم العربية الثنائية اللغة، ويمثل من وجهة نظرنا مصدرا مهما من المصادر التي تؤكد ريادة العمل المعجمي العربي، ويحتوي، على الرغم من حجمه الضئيل، على العديد من المظاهر التي يجب أخذها بعين الاعتبار حال وضع معجم ثنائي، من أهمها:

- معرفة اللغة الثانية معرفة وافية تمكننا من صياغة معجم ثنائي محكم ودقيق.
- معرفة علاقة هذه اللغة بغيرها من اللغات وأثر هذا في المعجم الخاص بها.
- أن يقترن المعجم الثنائي اللغة بموجز واف عن أصوات اللغة وصرفها وقواعدها.
- أن نفيد من المصادر المتعددة التي يمكنها أن تعطينا صورة واضحة عن كلمات هذه اللغة واستخداماتها وعلاقاتها.
- أن نعتمد الطريقة التواصلية آلية مهمة قادرة على بيان معاني الكلمات ودلالاتها المختلفة.
- أن يعكس المعجم صورة عن المجتمع اللغوي صاحب هذه اللغة.

## المصادر والمراجع

**1 - أبو حيان الأندلسي:**

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح مصطفى أحمد النحاس، مطبعة المدني، الطبعة الأولى، 1987.

- الإدراك للسان الأتراك، نشره مصطفى بن حافظ حسين خسرو – استانبول، 1309هـ.

**2 - Ermers, R. 1999:**

- Arabic Grammars of Turkic: The Arabic Linguistic Model Applied to Foreign Languages and Translation of Abu Hayyan al Andalusi's Kitab al-Idrak li-Lisan al-Atrak. Leiden: E. J. Brill.

**3 - Frawley, W. 1992/1993:**

- Introduction. Dictionaries (14): 1-3.

**4 - Lars Johanson 2010:**

- Turkic Language Contacts. in Raymond Hickey (Ed.): The Handbook of Language Contact. Wiley-Blackwell. Pp. 652-672.

**5 - Pawley, A. 1985:**

- Lexicalization. In Georgetown University Roundtable on language and Linguistics, (D. Tannen, ed.). Georgetown University Press. pp. 98-120.

**6 - Versteegh , C. H. M. 2006:**

- Arabic Linguistic Tradition. In Brown, K. (Ed.) Encyclopedia of language and linguistics. Vol.(1): 434-40. Amsterdam: Elsevier.

# مصطلحات التصحيح الزائف
# في نصوص العربية الوسيطة

**د. منتصر أمين عبد الرحيم**
كلية التربية والآداب
جامعة الطائف

**مقدمة:**

حين يحاول متكلم ما أن يتحدث لغة غير لغته أو لهجة غير لهجته غالبًا ما ينجم عن هذا مجموعة من الصيغ غير الصحيحة، ووراء خطأ هذه الصيغ عدة أسباب من أهمها عدم تمكنه من قواعد هذه اللغة وغلبة السمات اللغوية واللهجية الخاصة به على ما ينتجه من صيغ وتراكيب باللغة الثانية، هذه الظاهرة يطلق عليها التصحيح الزائف Pseudocorrection، فالمتكلم يظن أن هذه الصيغ التي يتحدث بها صحيحة، ولكنها في حقيقة الأمر لا تتفق مع قواعد اللغة الثانية (صوتًا أو بناء أو دلالة) بالإضافة إلى أنه قد تتسرب إليها - دون وعي منه - سمات أو ألفاظ من لهجته أو لغته الخاصة، ولقد ارتبط التصحيح الزائف في الدرس الاستشراقي بنصوص اللغة العربية الوسيطة Middel Arabic وعد صفة من صفاتها ومكونًا من مكوناتها الرئيسة، والعربية الوسيطة ضرب من العربية شاع بعد الفتوحات الإسلامية على ألسنة حديثي العهد بالعربية وانتشر في كلامهم وكتاباتهم فكانوا يخلطون بين الفصيح والعامي وتتسرب إلى كتاباتهم ألفاظ وتراكيب من لغاتهم الأصلية غير العربية؛ لذا أطلق المستشرقون على ما تبقى من نصوص هذه الفترة العربية الوسيطة.

ولقد ظل مصطلح العربية الوسيطة هذا قيد المراجعة والبحث حتى عاد تسمية لجميع النصوص التي يكون فيها التصحيح الزائف سمة غالبة بغض النظر عن العصر الذي ظهرت فيه، وما أريد إيضاحه في هذا المدخل هو أن التصحيح الزائف على تلك الصفة السابقة مفهوم واسع يصدق على عدد كبير من الظواهر، ومن ثم عمد المستشرقون إلى تصنيف هذه الظواهر ووضعوا لها مسمياتها واصطلاحاتها، ولكن الحدود بين هذه الظواهر تحتاج إلى بيان وتوضيح يمكّن من يتصدى لتحليل هذه النصوص من الوصف الصحيح لظواهرها، أضف إلى هذا أن ثمة ظواهر أخرى تنتمي إلى التصحيح الزائف أو تتعالق معها لم يتم درسها على أيدي المستشرقين وتجد تحليلها واردًا في ثنايا الدرس اللساني الاجتماعي والتاريخي وفي نماذج من لغات غير العربية، والحقيقة أن بعض المستشرقين أفاد من هذه الدراسات المعاصرة في وصف ظواهر التصحيح الزائف وتحليلها وإن اقتصر التطبيق لديه – لطبيعة درسه – على نصوص العربية الوسيطة، ومعنى هذا أن التصحيح الزائف لم يعد يقتصر على العربية الوسيطة، وأصبحت العربية الوسيطة مصطلحًا يشتمل على النصوص التي يصاحب لغتها عنصر من عناصر التصحيح الزائف، وامتد التصحيح الزائف ليشكل ظاهرة عامة تصدق على لغات عديدة، بل صار يشمل جميع اللغات، كل هذه التحولات تؤكد على أهمية التعريف بمصطلحات التصحيح الزائف وأقسامه المختلفة وبيان حدودها وإيضاح الفروق بين ما يبدو متفقًا منها وهو مختلف، وهذا ما أحاول بيانه في هذا البحث.

**العربية الوسيطة:**

تتفق الدراسات الاستشراقية على أن هذا الضرب من العربية نشأ عن حركة الفتوحات الإسلامية وما أدت إليه هذه الحركة من تغير كبير في المجتمع العربي لاسيما لغة هذا المجتمع، ولكن الخلاف بين هذه الدراسات يدور حول طبيعة هذا الضرب وعلاقته بغيره من صور العربية السابقة واللاحقة، فبينما ينظر بعض

المستشرقين إلى العربية الوسيطة وخواصها بوصفها مرحلة تاريخية من مراحل تطور اللغة العربية تشبه ما يسمى الإنجليزية الوسيطة Middle English تجد منهم مَن يعتبرها مجرد ظاهرة تخص تنوعًا محددًا من تنوعات العربية بعيدًا عن ارتباطها بمرحلة تاريخية محددة، بل يمكن لهذه الظاهرة أن تمتد لتصدق كذلك على تنوعات أخرى ماثلة في النصوص العربية القديمة والمعاصرة على السواء.

وعليه أكد "فرستيج" Versteegh أنه «من الخطأ أن نفهم من مصطلح العربية الوسيطة أي مدلول زمني تاريخي ... [فـ] الأخطاء الموجودة في نصوص عربية حديثة تشبه تلك الموجودة في النصوص القديمة أشد الشبه، ومن الممكن أن تظهر أخطاء لغوية في نصوص العربية الفصحى المعاصرة بنفس درجة السهولة التي كانت تظهر بها في النصوص القديمة»[1]، فمصطلح العربية الوسيطة عند "بلاو" Blau – وقد خضع للعديد من المناقشات التي لا مجال لسردها هنا – أصبح ينطبق على تلك «اللغة التي تتضمن جميع الخصائص التركيبية المميزة للهجات العربية الحديثة»[2]، لذا فالعربية الوسيطة «في هذا الإطار الجديد لم تعد ... تشير إلى تنوع مميز من العربية، ولكن إلى صنف من النصوص يتضمن انحرافات عن القواعد النموذجية في أي حقبة وجدت وأيًّا كان سببها»[3]، وأشار "فرستيج" إلى أن نصوص العربية الوسيطة تمتد من البدايات الأولى للغة العربية حتى العصر الحديث؛ لأن الرابط هنا يكمن في قصد المتكلمين إلى محاكاة نموذج قواعدي تام البناء رغم أنهم لا يستطيعون حيازته بصورة كاملة[4].

1 – كيس فرستيج 2003: اللغة العربية، تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، تر: د محمد الشرقاوي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، ص 130.

2 - Versteegh, K. 2005: Breaking the Rules without Wanting to: Hypercorrection in Middle Arabic Texts. p.4. in Alaa Elgibali (Ed.) : Investigating Arabic: current parameters in analysis and learning. Brill. pp.3-18.

3 - Versteegh, K. 2005. Op. cit., p.5 .

4 - Versteegh, K. 2005. Op. cit., p.5.

وانظر كذلك كيس فرستيج 2003: اللغة العربية ترجمة الشرقاوي ص 146.

وبغض النظر عن الفترة التي وجد فيها هذا الشكل من العربية وهذا الصنف من النصوص فإن الشيء المهم هنا يتعلق باحتمالين لتفسير مثل هذه الانحرافات في علاقتها بذلك النموذج، فهذه الانحرافات في حد ذاتها - وفقًا لـ"فرستيج" - ليست دليلًا كافيًا على وجود نموذج؛ ذلك أنها ربما ينظر إليها بوصفها سمات عامية Vernacular Features وجدت طريقها إلى اللغة المكتوبة وتمت مراجعتها وتحديدها في جهود نحوية لاحقة، ولكن المهم - من وجهة نظر "فرستيج" - أن يتم النظر إلى هذه التصحيحات كدليل على وجود نموذج أو هدف[5]، إن العربية الوسيطة عند "فرستيج" ليست ضربًا لسانيًا بقدر ما هي مجرد تسمية لصنف من النصوص تكون فيه العربية الفصحى هي اللغة التي يحاول الكاتب الالتزام بها[6]. ويمكن لنا أن نستقي أسباب هذه الأهمية ودليل وجود ذلك النموذج من الافتراض الذي يصدق على كثير من مواقف الاحتكاك اللغوي واللهجي ومؤداه أنه متى وجد احتكاك بين تنوع لغوي يحظى بمكانة اجتماعية ودينية وثقافية أو غيرها من الصفات الأخرى وتنوع آخر لا يحظى بالمكانة ذاتها، فإن متحدثي وكتّاب التنوع الأخير يحاولون استعمال صور لغوية من التنوع الأول حتى وإن كانت هذه الصور غير ضرورية في هذه البيئة اللغوية[7].

## نصوص العربية الوسيطة: أقسامها وسماتها

حصر "بلاو" طريقتين لاستعمال مصطلح العربية الوسيطة إذ رأى أن «مِن العلماء مَن يستعمله لتحديد العناصر العامية المنتشرة في نصوص عربية تنتمي إلى القرون الوسطى، والبعض الآخر يستعمله ليشير إلى مزيج من العربية الفصحى والعناصر العامية التي تميز هذه النصوص، وأكثرهم يستعمله بصورة

5 - Versteegh, K. 2005. Op. cit., p.6.

6 - Versteegh, K. 2010: Pidgin Arabic and arabi sa'ab: the influence of the standard language in the history of Arabic. p.62. JSAI= Jerusalem Studies in Arabic and Islam (37): 61-79.

7 - Hary, B. 2007. Hypercorrection.p.275. In Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.2. Leiden and Boston: Brill. 2007, 275–79.

لا تختلف عن المعنيين السابقين»[8]، والمقصود بنصوص العربية الوسيطة هنا «مجموعة من النصوص غير الأدبية مكتوبة بطريقة تحيد عن قواعد عربية القرآن كما وضعها النحاة وعرفت بالفصحى بالرغم من أن كتابها كانوا يتطلعون لنموذج الفصحى في الكتابة»[9]، وهذه النصوص تنقسم إلى أقسام ثلاثة هي[10]:

1. النصوص المكتوبة بلغة عربية سليمة وفيها بعض الخلط البسيط بالعاميات.
2. النصوص نصف الفصيحة.
3. النصوص العامية التي تختلط بشيء من الفصحى.

أما عن السمات اللغوية لنصوص العربية الوسيطة فيمكن إيجازها في النقاط التالية[11]:

- النزوع إلى التقرب من أنماط السلوك اللغوي للعربية الفصحى، وتتجلى هذه السمة في استعمال صيغ البناء للمجهول على الصورة الفصيحة، والمحافظة على التنوين رغم النزوع إلى التخلي عن علامات الإعراب، وفي مراعاة قواعد التطابق.
- وجود تشابهات مع اللهجات المحكية تتجلى في فقد الأفعال المتصرفة لأصوات اللين الأخيرة، وغياب علامات الإعراب في أغلب المواقع الإعرابية.
- النزوع إلى تخفيض التصنيفات الصرفية والنحوية.

---

8 - Blau, J. 1981: The State of Research in the Field of the Linguistic Study of Middle Arabic. P.187f. Arabica, T. 28, Fasc. 2/3, Numéro Spécial Double: Études de Linguistique Arabe (Jun. - Sep., 1981), pp. 187-203.

9 - د. محمد الشرقاوي 2013: الفتوحات اللغوية: انتشار اللغة العربية وولادة اللهجات في القرن الأول الهجري، بيروت- القاهرة- تونس: دار التنوير، الطبعة الأولى، ص117.

10 - انظر د. محمد الشرقاوي 2013: الفتوحات اللغوية، مرجع سابق، ص117.

11 - انظر د. محمد الشرقاوي 2013: الفتوحات اللغوية، مرجع سابق، ص ص127-131 بتصرف.

- هناك سمات تميز نصوص العربية الوسيطة عن الفصحى واللهجات العربية منها: تعريف الصفة للموصوف النكرة، والفصل بين المضاف والمضاف إليه، والنزوع إلى ثبات ترتيب الكلمات.

وما يجب التنبيه عليه هنا أن هذه السمات ليست ثابتة على مستوى النصوص التي تنتمي إلى العربية الوسيطة، فقد تزيد في نص وتنقص في آخر، كما أنها ليست كل السمات الخاصة بهذه النصوص، ولكنها بعض السمات البارزة التي اتفق عليها دارسو نصوص العربية الوسيطة.

**مصطلحات التصحيح الزائف:**

سأكتفي بما ورد سابقًا من التأكيد على تحوُّل النظر إلى العربية الوسيطة من مرحلة تاريخية في حياة العربية إلى اعتبارها مجرد ظاهرة تصف نصوصًا تمتد من فترات قديمة حتى عصرنا هذا، ولن أقف بطبيعة الحال عند ظروف نشأة العربية الوسيطة أو صحة اعتبارها مرحلة من مراحل تطور العربية ودليل هذا النظر أو الأدلة ذات الصيغة التوافقية أو الخلافية أو غيرها من الموضوعات الأخرى ذات الصلة[12]، إنما أتناول فقط المصطلحات المتعلقة بأشكال الانحراف التي صاحبت نصوص العربية الوسيطة وتنوعاتها كما تناولتها جهود المستشرقين - أمثال "بلاو" و"فرستيج" و"هَري Hary" - قصد توضيحها وبيان مقصودها وعلاقاتها بغيرها من مصطلحات المجال عينه؛ وذلك لأهمية هذه المصطلحات من جهة ولما يصاحبها من تداخل يصل في أحيان كثيرة حد الغموض.

وإذا كانت طريقتنا في التناول تتصل بالمستوى الاصطلاحي وما يصاحبه من ضرورة تحديد المفاهيم ومجالاتها فإن من الواجب أن نربط هذا كله بالأهداف الخاصة بدراسة نصوص العربية الوسيطة، فقد أشار "هَري" إلى أهمية

---

12 - لعرض مميز حول هذه الموضوعات انظر :

Johannes den Heijer 2012: Middle and Mixed Arabic: A New Trend in Arabic Studies. In Zack, L. & Schippers, A. (Eds.) 2012: Middle Arabic and Mixed Arabic: Diachrony and Synchrony. Leiden: Brill. pp. 1-25.

ظاهرة التصحيح الزائف في دراسة هذه النصوص؛ لأن العربية الوسيطة برأيه خليط من عناصر العربية الفصحى والسمات العامية وصيغ التصحيح الزائف؛ لذا يمكننا استخلاص السمات المميزة للهجات العربية الوسيطة عن طريق عزل العناصر الفصيحة عن صيغ التصحيح الزائف مما يضع أيدينا على السمات اللهجية المميزة لهذه النصوص، كذلك شدد "هَري" على أن الفحص الدقيق لنصوص العربية الوسيطة يؤدي إلى بيان سمات التصحيح الزائف وإمكانية التمييز بين هذه السمات[13].

إن فكرة التصنيف السابقة القائمة على عزل سمات هذه النصوص وعناصرها المختلفة لن تتم بصورة دقيقة إن لم تكن لدينا فكرة عن حدود المصطلحات المرتبطة بالتصحيحات الزائفة ومفاهيمها وعلاقاتها وأوجه الاختلاف بينها، فهناك على حد تعبير "فرستيج" العديد من نصوص العربية الوسيطة التي لم يتم بحثها، وربما تساعدنا المعلومات التي تحتويها هذه النصوص في حل لغز تاريخ العربية، فلا ننظر إلى هذه النصوص على أنها مجرد انعكاس لكلام الكاتب العامي فقط، ولكنها لمحة مهمة لما كان يجري في الكلام المنطوق آنذاك[14]، وأحسب أن الوصول إلى دراسة هذه النصوص للتعرف على علاقتها التاريخية باللغة العربية لن تتم إلا على ضوء تحديد اصطلاحي جيد.

ولقد قسمت هذه المصطلحات إلى مجموعات ثلاث؛ المجموعة الأولى تتعلق بالمصطلحات العامة وما يرتبط بها من مصطلحات تشكل مكونًا أساسيًّا من مكونات تعريفها أو تساعد في بيانه، والثانية تتعلق بمصطلحين رئيسين من مصطلحات التصحيح الزائف في كتابات المستشرقين، وهما على الرغم من ارتباطهما الوثيق إلا أن هناك العديد من الفوارق بينهما يحاول البحث توضيحها، والمجموعة الثالثة تتعلق بمصطلحات صور محددة من تلك الانحرافات قد لا

13 - See Hary, B. 2007: Op. cit., P.279.

14 - Versteegh, K. 2005: Op. cit., p.17-18.

يجدها الباحث في نصوص استشراقية تعالج نصوص العربية الوسيطة، ولكنها تضاف إلى صور المجموعة الثانية وتختلف عنها.

**(1) المجموعة الأولى:**

| | |
|---|---|
| تصحيح زائف | 1-Pseudocorrection |
| تصحيح زائد | 2-Overcorrection |
| تفاصح حضري | 3-Hyperurbanism |
| اعتبار | 4-Prestige |
| أصالة | 5-Authenticity |
| سمة موسومة × سمة غير موسومة | 6-Marked Feature vs. Unmarked Feature |

**التصحيح الزائف والتصحيح الزائد والتفاصح الحضري:**

الحقيقة أن المصطلح الأول في هذه المجموعة Pseudocorrection أي التصحيح الزائف يمثل داخل الدرس الاستشراقي مصطلحًا عامًا يعبر عن جميع الانحرافات التي قد تجدها في نصوص العربية الوسيطة، ويتفق أغلب المهتمين بدراسة نصوص العربية الوسيطة على أن أخطاء التصحيح الزائف Pseudocorrection تحدث بسبب عدم توافر معرفة كافية لدى أولئك المتحدثين الذين يحاولون تمثل ضرب لغوي ذي مكانة اجتماعية، ومن ثم يلزم عن هذا النقص تصحيح أو تغيير بعض صور هذا الضرب مما لا يحتاج إلى تصحيح لنصل في بعض الحالات إلى صورة لغوية مصححة تصحيحًا زائدًا أو ليست مصححة بصورة كافية في حالات أخرى[15]، وهذا المصطلح يكافئ مصطلح التصحيح الزائد Overcorrection[16].

والحقيقة أنه يمكن لنا أن نضيف إلى المصطلحين السابقين مصطلح التفاصح الحضري Hyperurbanism وهو مصطلح يكافئ هذين المصطلحين،

15 - Hary, B. 2007. Op. cit., p.275.

16 - Hary, B. 2007. Op. cit., p.275.

ونظرًا لأن التصحيح هنا يحدث عند أصحاب المناطق عند محاولتهم محاكاة اللهجة النموذجية فإنه يدعى بهذا الاسم[17]، ولعل هذا المصطلح يرتبط بقضية اللحن فقد بيّن "فرستيج" هذا بقوله: «ففي معظم أمثلة اللحن يكمن الخطأ في أحد التصحيحات الزائدة ... فلم يكن اللحن مجرد استعمال نوع جديد من العربية بكل تغيراتها المهمة في مقابل اللغة الفصحى، فهو أيضًا كلام أولئك الذين يحاولون مضاهاة المتحدثين بالعربية الخالصة، فعندما يروى "الجاحظ" [ت 255-868] كلام خادمه وكلام غيره ممن يميلون إلى استعمال النهايات الإعرابية بشكل غير صحيح، فإن ما ينطقونه يثبت أن هناك مستوى يحاولون محاكاته، أو بتعبير آخر، لابد أنهم سمعوا أثناء اتصالهم بالعرب شكلًا من العربية لا تزال تستخدم فيه النهايات الإعرابية »[18].

وإذا كانت هذه المصطلحات الثلاثة متكافئة بشكل ما فإن اختيار أحدهم لمصطلح دون غيره ربما يتعلق في نهاية الأمر برؤية أو منظور محدد من التحليل، ويمكن القول إن المصطلح الأول أي التصحيحات الزائفة Pseudocorrection هو الأكثر دورانًا في الدراسات الاستشراقية المتعلقة بنصوص العربية الوسيطة.

### التصحيح الزائف ومصطلح الاعتبار:

إن تعريف مصطلح التصحيح الزائف ارتبط عند "هَري" بمصطلح الاعتبار Prestige وهو صفة لذلك التنوع الذي يحاول المتكلم استعماله في الحديث أو الكتابة لكونه يمتلك مكانة اجتماعية أو دينية أو سياسية ... إلخ، ولقد نظر "هَري" إلى الاعتبار بوصفه عاملًا مهمًا من العوامل التي تؤدي إلى هذا النوع من التصحيح[19]، والحقيقة أن هذا المصطلح يراد به موقف المتكلم من ضرب لساني محدد سواء أكان هذا الفرد ينتمي إلى جماعة لغوية واحدة أم إلى جماعة ثنائية اللغة أو ذات لغات متعددة.

---

17 – انظر د. رمزي بعلبكي 1990: معجم المصطلحات اللغوية، ص 232.

18 - Versteegh, K. 1983. Arabic Grammar and the Corruption of Speech. p.156-157. Ramzi Baalbaki (Ed.): Arab Language and Culture, 117-138. (= al-Abḥāth, 31). Beirut: American University of Beirut.

19 - Hary, B. 2007: op. cit., p.276.

وينقسم الاعتبار إلى نوعين: أولهما الاعتبار الإيجابي Positive وهو أن ينظر المتكلم إلى ضرب ما نظرة تقدير تملي عليه استعمال هذا الضرب دون غيره وتفضيله عما سواه، والثاني اعتبار سلبي Negative وهو نظر المتكلم إلى ضرب لغوي ما على أنه أقل منزلة؛ ومن ثمّ عدم استعماله أو تفضيله، كذلك هناك من يقسم الاعتبار إلى نوعين آخرين، هما: الاعتبار الظاهر Overt وهو أن ينظر المتكلم إلى **ضرب لغوي فصيح** نظرة تقدير تملي عليه استعمال هذا الضرب لأنه يعزز من وضعه الاجتماعي، والنوع الثاني هو الاعتبار الخفي Covert وهو نظرة المتكلم إلى **ضرب لغوي غير فصيح** نظرة معينة تملي عليه استعمال هذا الضرب[20].

وعليه يمكن أن نستنتج أن التصحيحات الزائفة بصورة عامة ترتبط بنظرة المتكلم (من أبناء العربية أو غيرهم) إلى ضرب العربية الفصحى نظرة تجمع بين الاعتبار الظاهر Overt Prestige والاعتبار الإيجابي Positive Prestige، وهنا يمكننا الإشارة إلى استنتاج يؤكد رؤية "فرستيج" لهذه التصحيحات باعتبارها دليلًا مهمًا على وجود ضرب لغوي فصيح يمثل النموذج أو الهدف الذي يسعى المتكلم إلى استعماله.

## التصحيح الزائف ومفهوم الأصالة:

ويعزز الاستنتاج السابق أن "هَري" أضاف إلى الاعتبار عاملًا آخر من العوامل التي تؤدي برأيه إلى التصحيحات الزائفة، ويتمثل هذا العامل فيما يطلق عليه الأصالة Authenticity[21]. ويراد به أن المتكلم الذي يحاول اكتساب لغة ثانية يشترك في مواقف تفاعلية حقيقية مستعملًا هذه اللغة في سياقات اجتماعية وثقافية مهمة للدلالة على تمكنه منها وتأصلها لديه[22]. وهذا معناه أن المتكلم

---

20 – انظر د. منتصر أمين عبد الرحيم 2013: معجم الفروق في المصطلح اللغوي الحديث، ص 96، وص 99.

21 - Hary, B. 2007: op. cit., p.276.

22 - Swan et al 2004: A Dictionary of Sociolinguistics. P.19. Edinburgh University Press.

الذي ينتسب إلى ضرب أقل مكانة عندما يحاول استعمال ضرب أعلى فإنه يحاول التأكيد على تأصل هذا الضرب فيه، ولما كانت قدرته على استعمال قواعد هذا الضرب غير كافية ومعرفته بها قليلة أدى هذا إلى أخطاء التصحيح الزائف بصوره المختلفة التي سنتعرض لها عند الحديث عن المجموعة الثانية من المصطلحات.

## التصحيح الزائف ومصطلح الصيغ الموسومة:

وعلاوة على الاعتبار والأصالة يشير "هَري" إلى مصطلح آخر وهو مصطلح الصيغ الموسومة Marked Form أو السمات المميزة Marked Feature مشيرًا إلى أن انتقال المتكلم من صيغة موسومة في الضرب الأعلى مكانة إلى صيغة غير موسومة Unmarked داخل هذا الضرب يعد عاملًا آخر من العوامل التي ينتج عنها التصحيح الزائف23، وعليه فإن مصطلح الصيغة الموسومة يشير إلى تلك الصيغة التي تنتمي إلى العربية الفصحى وتتماشى مع قواعدها على جميع المستويات؛ المستوى الصوتي، والصرفي، والتركيبي، أما الصيغة غير الموسومة فيشير إلى صيغة تنتمي إلى ضرب عامي ولا تتفق مع قواعد الفصحى، وقد يجرى أن تنتشر هذه الصيغة وتلقى قبولًا مما يؤدي في النهاية إلى تغير اللغة.

**(2) المجموعة الثانية:**

تصحيح زائد 7- Hypercorrection

تصحيح ناقص 8- Hypocorrection

على الرغم من أن مصطلح التصحيح الزائف مصطلح عام يتضمن مصطلحي المجموعة الثانية هذه إلا أن مصطلح التصحيح الزائد والتصحيح الناقص هما الأكثر دورنًا في مصنفات المستشرقين الذين يتعاملون مع العربية الوسيطة تنظيرًا وتطبيقًا، وفي محاولة لوضع الفروق التي تمييز بين التصحيح

23 - Hary, B. 2007: op. cit., p.276.

الزائد والتصحيح الناقص يقرر "بلاو" أن التصحيح الزائد هو الأشكال الفصيحة التي تطبق بصورة غير صحيحة، بينما يكون التصحيح الناقص نصف تصحيح أو بعبارة أخرى هو الأشكال التي لا تقع في اللهجة أو في اللغة الفصيحة[24]، ويلاحظ "هَري" أنه في الحالات التي يحاول المتكلم فيها استعمال صيغ تنتمي إلى الضرب الأعلى مكانة هناك بعض التغيرات التي تلحق الصيغ المراد استعمالها وهناك تصحيحات تصيبها حتى ولو كانت هذه التصحيحات لا تتماشى والضرب الأعلى مكانة، وربما نصل مع هذه التغيرات والتصحيحات إلى صيغ مبالغ في تصحيحها (التصحيح الزائد) أو ليست مصححة بصورة تامة (التصحيح الناقص)[25].

وفحوى ما سبق أن التصحيح الزائد ينطوي على صيغ لا تتماشى وقواعد الضرب الفصيح بمعنى أنها تستعمل داخل هذا الضرب في بيئات تركيبية مختلفة، ولا ينفي هذا انتماء تلك الصيغ لذاك الضرب، أما التصحيح الناقص فينطوي ليس فقط على صيغ لا تتماشى مع القواعد، بل لا تنتمي هذه الصيغ إلى هذا الضرب ولا إلى الضرب اللهجي الأدنى.

والحقيقة أن هناك العديد من الأمثلة على كلا النوعين موجودة في كثير من البحوث التي تناولت العربية الوسيطة، لكني سأقف هنا عند بعضها مما تجده عند "هَري"، فمن الأمثلة التي ساقها فيما يخص التصحيح الزائد ما يلي:

1- قولهم: (وسلب منهم مبلغ مائة وخمسون ألف)[26]، فالصيغة (خمسون) في هذه العبارة تصحيح زائد في لهجة الكاتب وهي العربية اليهودية المصرية وفي معظم اللهجات العربية إذ يستعمل المتحدثون صيغة صوتية للجمع (ين) في جميع الحالات، ولكن الكاتب هنا استعمل (ون) لأنه يعلم أن العربية الفصحى تستخدم هذه الصيغة، ولكنه فشل في استعمالها في بيئتها التركيبية الصحيحة.

---

24 - Versteegh, K. 2005: op. cit., p.4.
25 - Hary, B. 2007: op. cit., p.275.
26 - Hary, B. 2007: op. cit., p.276.

2- قولهم: (نحو عن اثنا عشر رجل)[27]، فالعدد (اثنا عشر) وهو صيغة عربية فصيحة مرفوعة هي تصحيح زائد إذ يريد الكاتب استعمال صيغة عربية فصيحة موسومة ليست موجودة في العامية، ولكنه فشل في استعمالها داخل بيئة تركيبية صحيحة.

أما أمثلة التصحيح الناقص فمنها ما يلي:

3- قولهم: (عِيدَ إليه الرسول ثانية)[28]، ومعنى الفعل (عِيدَ): أُرسِل ثانية، وقد أراد الكاتب استعمال صيغة البناء للمجهول الداخلية Internal Passive Form وهي صيغة غير مستخدمة في لهجته وغير صحيحة في الضرب الأعلى مكانة.

4- قولهم: (هم باقيون)، وورد في نص عربي يهودي[29]، وفي هذا المثال نجد أن لاحقة الجمع (ين) تستخدم في اللهجات بصورة أكبر من استعمال اللاحقة (ون)، والكاتب هنا لم يرد استعمال الصيغة (باقين) ذات اللاحقة (ين) الموجودة في لهجته لأنه يعرف أن اللاحقة (ون) لا تستعمل في لهجته، فاستبدلها باللاحقة (ين)، مما نجم عنه نصف تصحيح؛ لأنه الصورة الفصيحة هي (باقون) والصيغة الجديدة التي أتى بها غير مستعملة في لهجته.

**الفرق بين التصحيح الزائد والتصحيح الناقص:**

يرى "هَري" أنه بالرغم من أن كلا النوعين من التصحيحات يصدر عن رغبة المتكلم في استعمال شكل لغوي من الضرب الفصيح فإن هناك مجموعة من الاختلافات الجوهرية التي تميز كل واحد منهما، من بين هذه الاختلافات[30]:

**- أن الصورة التحتية – التي يراد لها أن تتواءم مع الصورة الفصحى – في حالة التصحيح الزائد لا تختلف عن الصورة الفصيحة، بينما في حال التصحيح الناقص تأتي الصورتان مختلفتين.**

27 - Ibid., p.277.
28 - Hary, B. 2007: op. cit., p.277.
29 - Ibid., p.277.
30 - Ibid., p.277-8.

ففي المثال الأول كلمة (خمسون) هي الصيغة التحتية التي يراد تغييرها، وهي لا تختلف عن صورتها في الاستعمال الأعلى مكانة لأنها موجودة في هذا الاستعمال وترد في هذه البيئة التركيبية، وكذلك العدد (اثنا عشر) في المثال الثاني لا يختلف عن الصيغة العربية الفصيحة، بينما الصيغة الفعلية التحتية في المثال الثالث (عِيدَ) تختلف عن صيغة المجهول الداخلية في الضرب الأعلى مكانة (أُعِيد)، وكذلك الصيغة التحتية في المثال الرابع (باقيين) تختلف عن الصيغة الفصيحة (باقون).

**- أن الصيغة السطحية الناتجة عن التصحيح الزائد لا تتضمن أية عناصر لهجية، في حين أن الصيغة الناشئة عن التصحيح الناقص تتضمن على الأقل سمة عامية واحدة.**

فالصيغة الناتجة عن التصحيح الزائد (وخمسون) في المثال الأول لا تحتوي على أية سمة لهجية وكذلك الصيغة (اثنا عشر) في المثال الثاني، بينما الصورة الناتجة في المثال الثالث (عيد) عن التصحيح الناقص تحوي سمة لهجية وكذلك الصيغة (باقيون) في المثال الرابع حيث يمثل الاحتفاظ بالياء في هذه الصيغة سمة لهجية.

**- أن صورة الصيغة الناتجة عن التصحيح الزائد صيغة مختلفة وبعيدة عن الصيغة الفصحى، بينما تكون في حالة التصحيح الناقص قريبة من تلك الصيغة.**

فالصيغة (وخمسون) في المثال الأول صيغة بعيدة عن الضرب الأعلى مكانة لأن الصيغة التحتية (وخمسين) هي الصيغة التي تلبي قواعد هذا الضرب، وكذلك الصيغة (اثنا عشر) في المثال الثاني لأن (اثني عشر) هي الصحيحة في تلك البيئة التركيبية، بينما صيغة (عيد) في المثال الثالث لا تقترب من الصيغة (أُفعِل = أعيد)، وذلك صيغة (باقيون) في المثال الرابع لاحتفاظها بالياء عوض حذفها.

**- الصورة السطحية في حالة التصحيح الزائد ربما توجد في الضرب الفصيح في بيئة تركيبية مختلفة وقد لا توجد على الإطلاق، بينما الصيغة الناجمة عن التصحيح الناقص لا توجد فيما يعتبره المتكلم ضربًا فصيحًا.**

فالصيغة (وخمسون) في المثال الأول موجودة في الضرب الأعلى مكانة، ولكنها ضمن هذا الضرب تقع في بيئة تركيبية مختلفة، وكذلك الصيغة (اثنا عشر) في المثال الثاني، ولكن الصيغة (عيد) و(باقيون) في المثالين الثالث والرابع غير موجودة في هذا الضرب ولا تجدها في اللهجة العربية اليهودية.

ويلخص "هَري" هذه الفروق في الجدول التالي:

| | التصحيح الزائد | التصحيح الناقص |
|---|---|---|
| **الصيغة التحتية** | لا تختلف عن صيغ الضرب ذي المكانة | تختلف عن هذه الصيغ |
| **الصيغة الناتجة (1)** | لا تتضمن أيًا من عناصر الضرب الأقل مكانة | تتضمن على الأقل عنصرًا واحدًا من عناصر الضرب الأقل مكانة |
| **(2)** | تتجاوز صيغ الضرب ذي المكانة وتختلف عنها | لا تصل إلى هذه الصيغ وتقصر عنها |
| **(3)** | ربما توجد في الضرب ذي المكانة وربما لا توجد فيه | لا توجد في أي من الضربين |

وعلى الرغم من هذه الاختلافات التي أوضحها "هَري" بين التصحيح الزائد والتصحيح الناقص لكنه يعترف بوجود بعض الحالات التي تتداخل فيها الحدود بين المصطلحين بحيث لا يمكن التفريق بينهما، والمثال الذي قد يمثل هذه الحالة من التداخل هو : (لم بَقِي)، وهو مثال موجود ببردية تعود إلى سنة

208هـ، وقد رأى "فرستيج" هذا المثال دليلًا على أن أداة النفي (لم) لم تختف بعد من الكلام العامي، ولكنها تعكس في الغالب نوعًا غريبًا من التصحيح الزائد، ولكن "فرستيج" يرى - وفقًا لهذه الرؤية - أن حرف النفي (لم) كان قد اختفى من الكلام المنطوق آنذاك وبقي علامة على العربية الكلاسيكية، وفي هذه الحالة فإن الكاتب استعمل (لم) هنا في محاولة كتابة العربية الكلاسيكية دونما وعي بالبنية الصحيحة للنفي[31].

ويتفق "هَري" مع "فرستيج" في نظرته السابقة إلى الأداة (لم)، ولكن على الرغم من أن "فرستيج" اعتبر المثال السابق ينتمي إلى التصحيح الزائد إلا أن "هَري" ينظر إليه على أنه يشكل نوعًا من أمثلة التصحيح الناقص لأن الكتاب اختار فيه تصحيحًا غير كامل (نصف تصحيح)، فجل ما صنعه هو استبدال (لم) بـ(ما) ولم يجعل تاليها مضارعًا مجزومًا حسبما تتطلبه قواعد العربية الفصحى، زد على هذا أن هذا المثال يلبي بعض المعايير الخاصة بالتصحيح الناقص فنجد أن الصيغة التحتية تختلف عن صورتها في العربية الفصحى (لم) وأن الصورة الناتجة تتضمن سمة لهجية (وهي استعمال الفعل الماضي التام وليس الفعل المضارع المجزوم)، ولأن هذه الصورة غير موجودة في الضرب الفصيح أو في اللهجة[32].

## 9- Half-correction نصف تصحيح

مصطلح نصف تصحيح من المصطلحات المصاحبة لمصطلح التصحيح الناقص Hypocorrection، وهو يصف لنا الصورة التي يكون عليها هذا النوع من التصحيح، فالمتكلم عادة ما يحاول أن يصل بصيغته إلى صورة تقارب الصيغة الفصيحة التي تنتمي إلى الضرب الأعلى مكانة، ولكنه ينطق بهذه الصيغة أو يوظفها داخل بيئة تركيبية بصورة تجعلها لا تنتمي إلى أي من الضربين، وعليه يمكن تعريف مصطلح (نصف تصحيح) بأنه يشير إلى حالة من حالات

31 - Versteegh, K. 2005: op. cit., p.7.

32 - Hary, B. 2007: op. cit., p.279.

التصحيح الزائف حيث لا تنتمي الصيغة المصححة إلى الضرب ذي المكانة ولا إلى الضرب الخاص بالمتكلم، وهو بهذا المفهوم يصف الطريقة التي ينشأ من خلالها التصحيح الناقص.

**(3) المجموعة الثالثة:**

غريب زائد 10- Hyperforeign

هناك من يساوي بين هذا المصطلح ومصطلح التغريب الزائد Hyperforeignization أو hyperforeignism الغرابة الزائدة، ويشير هذا المصطلح إلى موقف من مواقف الاحتكاك اللغوي بين عدة لغات مختلفة، والمتكلم في هذا الموقف على وعي بغرابة الأشكال اللغوية المراد النطق بها، وقبل التعرض لهذه المصطلحات نود الإشارة إلى أن مصطلح الغرابة foreignism ومصطلح التغريب foreignization يشير إلى عملية من عمليات التطويّع Adaptation يمكن من خلالها أن تمثل صورة اللغة الأولى $L_1$ لعنصر من عناصر اللغة الثانية $L_2$ تقريبًا ناجحًا ومعتدلًا لأنماط اللغة الثانية، أما مصطلحا الغرابة الزائدة أو التغريب الزائد فيشيرا إلى نتاج محاولة المتكلم تقريب نمط اللغة الثانية وتعميمه تعميمًا زائدًا، ولكن ما ينتج عن هذه المحاولة هو صورة مولدة غير موجودة في لغته الأولى أو الثانية، ويمكن التعبير عن تلك الصورة المولدة على وجه التبسيط بأنها صورة بدون لغة[33]، فالتغريب الزائد يتمثل في النطق الزائف لعنصر من لغة ثانية مختلفة.

والمسألة المهمة هنا تخص العلاقة بين هذه المصطلحات ومصطلح التصحيح الزائد، وفي سبيل بيان هذه العلاقة أعرض هنا بعض المميزات الخاصة بهذه المصطلحات التي أزعم أنها تبين حدودها وعلاقاتها، أولًا يتفق الباحثون على أن مصطلح التغريب الزائد يمتاز بالسمات الآتية[34]:

---

33 - Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994: Systematic Hyperforeignisms as Maximally External Evidence for Linguistic Rules. p.71.

34 - Ibid., p.72-73.

1- لا يتضمن أمثلة النطق الهجائي المعتمد على اللغة الأولى والناجم عن سوء فهم الإملاء الخاص باللغة الثانية.

2- لا يتضمن الصور النطقية غير الموجودة في اللغتين الأولى أو الثانية.

3- لا يتضمن الصور التي تنطق باللغة الأولى وليس لها وجود في اللغة الثانية.

وعليه فإن التغريب الزائد تبعًا لهذه السمات يعد نوعًا من الأنواع الفرعية للتصحيح الزائد[35]، والحقيقة أن التصحيح الزائد في أغلب دراسات اللسانيات الاجتماعية واللسانيات التاريخية ينقسم إلى نوعين هما: التصحيح الزائد النوعي Qualitative Hypercorrection والتصحيح الزائد الكمي Quantitative Hypercorrection[36]، وللتفريق بينهما نعود إلى مصطلح التصحيح الزائد فهو يتضمن إنتاج صيغ غير صحيحة داخل ضرب لغوي معين لعنصر مأخوذ من ضرب لغوي مختلف لأنه أعلى قيمة ومنزلة تبعًا لمعايير محددة يراها المتكلم مدعاة إلى تقليده، فالمتكلم يحاول محاكاة الضرب الأعلى منزلة في سياقات رسمية لأنه يشعر بأن هذا الضرب أكثر مناسبة من غيره؛ ومن ثّم يصبح أكثر ميلًا إلى تقليد هذا الضرب وإلى مراقبة الحديث به، فإذا قدّم المتكلم في سياق مناسب نماذج لعناصر هذا الضرب أكثر مما يقدمه أصحابه فهذا هو التصحيح الزائد الكمي Quantitative، أما إذا قدم هذا العنصر في سياق لا ينبغي له أن يظهر فيه فهذا هو التصحيح الزائد النوعي Qualitative. والتغريب الزائد - وفق هذا التحديد - ينتمي إلى التصحيح الزائد النوعي حيث يخطئ متكلم اللغة الأولى في التعرف على التوزيع المميز لأنماط اللغة الثانية ويوسع استعمالها داخل بيئات تركيبية لا تنتمي إلى هذه اللغة[37].

11- Pseudo Loanword الاقتراض الزائف

35 - Ibid., P.73.

36 - لمزيد من التفاصيل حول هذين المصطلحين انظر دراسة Janda, R. & Auger, J. 1992

37 - Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994: Op. cit., p.74.

ولعل مصطلح التغريب الزائد بصفته السابقة يكافئ مصطلح الاقتراض الزائف Pseudo Loanword؛ ذلك أن الكلمة المقترضة داخل اللغة المصدر Source Language لها صورة صوتية معينة، ولكن بدخولها اللغة الهدف Target Language فالحاصل أنه إذا كان نظام التصويت لديها يتشابه مع نظيره في اللغة المصدر فالاقتراض في هذه الحالة اقتراض غير زائف يحافظ على السمات النطقية للكلمة المقترضة، أما إذا كان نظاما التصويت مختلفين فإننا أمام حالة من حالات الاقتراض الزائف؛ لأن الكلمة المقترضة في هذه البيئة ليست هي نفسها الكلمة في لغتها المصدر[38].

12- Hyperarchaism إحياء زائد

إن مصطلح التغريب الزائد يتضمن كذلك ما يطلق عليه الإحياء الزائد Hyperarchaism، وهي حالة فريدة من حالات الاقتراض الداخلي، ولبيان مفهوم هذا المصطلح نقف أولًا عند عنصر من عناصره وهو مصطلح Archaism ويقصد به الكلمة أو الصيغة القديمة المهجورة، كما يطلق أيضًا على إحياء استعمال مثل هذه الصيغ؛ لذا يرتبط الإحياء الزائد بالتغريب الزائد حيث يدل في هذا السياق على استعمال المتكلم كلمة تنتمي إلى مرحلة سابقة من مراحل اللغة في سياق جديد، ومن ثم يختلفان فقط من حيث مصدر هذه الصيغ، ففي حالة التغريب الزائد يستعمل المتكلم صيغة من لغة مختلفة، وفي الإحياء الزائد يستعمل صيغة من لغته الأصلية.

وفيما يخص العربية الوسيطة يرى "هَري" أن متحدثي العامية العربية يميلون إلى التغريب الزائد للكلمات التي اقترضتها لغتهم من لغة أخرى عندما تكون معرفتهم باللغة الثانية غير كافية أو يرغبون في تنميق حديثهم بهذه الكلمات الأجنبية باعتبارها دليلًا على المكانة. أما أمثلة الغريب الزائد التي ساقها "هَري" فتتمثل في نطق أهل بغداد ودمشق الكلمة الإنجليزية Bus على الصورة

---

38 - after Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994: p.74.

Pas باص، والقاعدة هنا – كما يشير "هَري" – أن صوت الباء الثقيلة P يقع داخل اللهجة حينما يكون هناك اقتراض مباشر من اللغة الأجنبية، لذا فإنهم يميلون إلى تغريب هذه الكلمة المقترضة لاعتقادهم أنه قد جرت لها مماثلة مع النظام الصوتي العربي[39].

13- Hyperadaptation تطويع زائد

إن التطويع الزائد هو عملية ناجمة عن الاحتكاك اللهجي تتضح حينما يحاول متكلم ضرب ما تغيير سمات ضرب آخر، ولكنه يبالغ في هذا التغيير[40]، كذلك يمكن تعريفه بأنه توسيع نمط أو عنصر بنيوي وتعميمه داخل موقف الاحتكاك بعيدًا عما هو ثابت له تاريخيًّا واشتقاقيًّا اعتمادًا على فهم المتكلم للقواعد الخاصة بصيغ أخرى[41]، وعليه أمكن تقسيم التطويع الزائد وفق علاقته بفاعلية المتكلم إلى قسمين هما: التصحيح الزائد والتغريب الزائد[42]، وقد تحدثت عنهما في الأقسام السابقة من هذا البحث، ولكن إذا كانت مناقشة الباحثين للتغريب الزائد قد آلت إلى اعتباره قسمًا من التصحيح الزائد النوعي فإن التطويع الزائد قد يشمل نوعي التصحيح الزائد؛ الكمي والنوعي، زد على هذا أن أمر التطويع الزائد لا يقف عند هذا الحد، بل يتصل كذلك بما يسمى التلهيج الزائد Hyperdialectism والتفاصح الحضري Hyperurbanism حيث يعمل المتكلم ذو الضرب اللهجي الأقل مكانة على تعميم زائد Overgeneralization لأشكال لهجية حضرية[43].

والمثال الذي يضربه "هَري" على التطويع الزائد – رغم أنه يتعلق باللغة الإنجليزية – مثال مهم في تعرّف حدود التطويع الزائد، يقول "هَري": إن زائرًا

39 - Hary, B. 2007: op. cit., p.277.
40 - see Trudgill, B. 2003: A Glossary of Sociolinguistics. P.59. Edinburgh University Press.
41 - see Joseph, B. D. 2009: On Some Hyperadaptations in Greek and in Greece.p.27f.
42 - see Joseph, B. D. 2009: op. cit., p.27f.
43 - Trudgill, B. 2003: op. cit., P.59.

من جوهانسبرج يظن الإنجليزية الأمريكية ضربًا أعلى منزلة ويريد أن يبين أصالتها فيه قد ينطق بجملة مثل:

- I don't guess he's coming tomorrow

(لا أخمن أنه سيأتي غدًا)، بدلًا من القول:

- I don't think he's coming tomorrow

(لا أظن أنه سيأتي غدًا)

وذلك لأن (think) شائعة في لهجته، وهو يعلم أنه يمكن – في الإنجليزية الأمريكية – استعمال كلمة guess مكان think، ومن ثم فهو يستعمل (guess) في بيئة تركيبية غير صحيحة لأن (guess) لا تأتي في جملة منفية[44]، والمتكلم في المثال السابق يحاول تنميق كلامه، ولكنه غيّر سمة من سمات الضرب الأعلى منزلة وبالغ في هذا التغيير.

ويرى "هَري" أن حالات كثيرة من حالات الاحتكاك اللهجي في العربية تنتمي إلى التطويع الزائد، ومن هذه الحالات الحالة التي يمثلها مصطلح التعويض الخاطئ التالي:

تراجع خاطئ = تعويض خاطئ 14- False Regression = False Restitution

وعلى الرغم من أن "هَري" نسب هذه الظاهرة بصورة واضحة إلى التطويع الزائد لكنه عاد فجمعها تحت عنوان التصحيح الزائد[45]، ولكن إذا احتكمنا إلى المعايير التي وضعها "هَري" للتصحيح الزائد – التي بيّناها في قسم سابق من هذا البحث – نجد أن هذه الظاهرة لا تنتمي إلى التصحيح الزائد بقدر ما ترتبط بالتطويع الزائد، لأن الغالب على التطويع الزائد هو تجنب المتكلم استعمال سمة موسومة في الضرب اللهجي الذي ينتمي إليه واستعمال سمة غير

44 - see Hary, B. 2007: op. cit., p.276.

45 - see Hary, B. 2007: op. cit., p.276-7.

موسومة – بالنسبة إليه – في الضرب الأعلى مكانة، يقول "هَري": إن النصارى واليهود البغداديين يستعملون في لهجتهم الصوت الطبقي الاحتكاكي [y] بديلًا عن الصوت الفصيح [r]، ولكن المسلمين البغداديين من ناحية أخرى يستعملون الصوتين [g] و[r] طبقا للعربية الفصحى، فعندما يريد النصارى واليهود البغداديون تجنب السمة الموسومة المميزة [y] فإنهم يستعملون مكانها السمة غير الموسومة [r] حتى ولو كان هذا الإبدال لا تتطلبه اللهجة الغالبة أو العربية الفصحى ... وهذه الحالة من التطويع الزائد يمكن أن تسمى الإرجاع الخاطئ أو التعويض الخاطئ[46].

أما المثال الثاني الذي ضربه "هَري" للتعويض الخاطئ وعنونه بوصفه حالة خاصة من حالات التصحيح الزائد فهو خاص بالعربية اليهودية التونسية التي اعتادت أن تحذف الصوت الاحتكاكي المزماري [h] ثم أعاد اليهود التونسيون استعماله في كتاباتهم ولو لم تكن هناك حاجة تدعو إلى هذا[47]. وأحسب أن هذا المثال لا يختلف كثيرًا عما سبقه من أمثله عزاها "هَري" إلى التطويع الزائد، ولعل التطويع الزائد يقوم – من وجهة نظري – على فكرة التبديل بصورة أساسية، فالمثال السابق الخاص بالإنجليزية تم فيه إبدال كلمة بأخرى قريبة المعنى، ولكن في بيئة تركيبية مختلفة، وهنا يتم استبدال سمة فصيحة بأخرى غير فصيحة، ولا تنطبق معايير التصحيح الزائد الأربعة التي ساقها "هَري" على أي من هذه الأمثلة، فهي تنتمي إلى التطويع الزائد الناجم عن المبالغة في بيان السمة واستبدالها.

## 15- Mixed Forms صيغ مزيج

يرى "هَري" أنه إذا كان من السهل التمييز بين التصحيح الزائد والتصحيح الناقص، وبين التصحيح الزائد والتطويع الزائد إلا أنه من الصعب

46 - Hary, B. 2007: op. cit., p.276.

47 - Hary, B. 2007: op. cit., p.277.

تعيين الصيغ المزيج Mixed Forms أو الأخطاء البسيطة[48]، وعلى أية حال يمكننا تعريف الصيغ المزيج بأنها تلك الصيغ التي تحتوي على عنصر عامي أو لهجي وعنصر آخر من العناصر الأدبية، بمعنى أن تكون لدينا صيغة تجمع بين عنصر يتميز بسمة عامية وآخر أدبي يتبع قواعد الضرب الفصيح، ومثال الصيغ المزيج التي لها علاقة بالتصحيحات الزائفة هنا قولهم: (على كِلٍ) ففيها عنصر عامي وهو الكسرة التي شغلت حرف (الكاف) بديلًا عن الضمة، وعنصر فصيح وهو التنوين[49].

والحقيقة أنه على الرغم من بساطة تعريف الصيغ المزيج إلا أن هناك مجموعة من الأمثلة التي يصعب فيها تحديد إذا ما كانت الصيغة تنتمي إلى التصحيح الناقص أو إلى الصيغ المزيج، ومثال هذا قولهم: (طريء /'/ = طريق /q/ ) بإبدال القاف همزة، فهذا المثال يمكن النظر إليه على أنه تصحيح ناقص لاحتوائه على سمة لهجية تتمثل في هذا الإبدال الصوتي من القاف إلى الهمزة ولاحتفاظه بالسمة الفصحى في الصيغة وهي حركة الفتح /a/ على الراء، وكذلك يمكن النظر إليه على أنه مجرد صيغة من الصيغ المزيج[50].

**أسباب التصحيح الزائف:**

هناك اتفاق واسع بين أغلب المشتغلين على نصوص العربية الوسيطة على أن عدم تمكّن كتابها من القواعد النحوية للضرب الأعلى مكانة أو نقص معرفتهم بهذه القواعد هو من أهم الأسباب التي تنتج عنها أمثال هذه التصحيحات والانحرافات، ولكن هناك حشد كبير من هذه النصوص ترك هامشًا كبيرًا لاستنتاج سبب آخر نجده عند "فرستيج" حيث ذكر أن استعمال بعض عناصر العامية لم تكن أكثر من ظاهرة أسلوبية يقصد الكاتب بها مغازلة

48 - Hary, B. 2007: op. cit., p.278.

49 - Hary, B. 2007: op. cit., p.276.

50 - Ibid., p.278.

المتلقي أو القارئ خاصة في بعض القصص المكتوبة التي تصور الخليفة أو الأمير على أنه يستعمل لغة لا تختلف عن لغة الناس العامية[51]، ومثّل "فرستيج" لهذا بالقطعة التالية من إحدى هذه القصص:

«في زمان الخليفة هارون الرشيد كان الخليفة **ذات يوم من الأيام** ضاق صدره **فاستدعى** بالوزير جعفر وقال له يا وزير صدري ضيق وزعلان في هذا اليوم **مرادي** أتبادل أنا وأنت ومنصور سياف النقمة ونسوق في بغداد نتفرج على شوارع بغداد وأسواقها وننظر أحوال الرعية».

ففي هذه الفقرة مازالت العربية الفصحى هي المعيار ويستشهد "فرستيج" على هذا بوجود تعبيرات مثل: (ذات يوم)، واستعمال الرابط (الفاء)، واستبدال الكاتب (مرادي) بالعنصر العامي (بدي)، ومع تطور القصة بدأت شخصياتها في استعمال مستوى كلامي مختلف تمامًا، ويريد "فرستيج" من عرضه هذا المثال تأكيد أن استعمال الكاتب لعناصر من العامية أو اللون المحلي من أجل إمتاع القراء قد يتسبب في التصحيح الزائد، ويشير كذلك إلى أن هناك من الأخطاء ما يتسبب فيها العاملان معًا؛ أي الحلية الأسلوبية، ونقص الكفاءة النحوية، وتعليل هذا أن الكاتب باستعماله عناصر عامية حتى لو كانت مجرد حلية أسلوبية فإنه يكشف عن عدم تمكنه عن طريق استعمال سمات لا تتشابه تمامًا مع الضرب العامي مما ينتج عنه تصحيحات زائدة[52]، ويصل "فرستيج" من جميع هذه الأمثلة إلى نتيجة مؤداها أن العربية الفصحى كانت نموذجًا و هدفًا يحاول الكتّاب محاكاته.

ولكن "شفتيل" A. Shivtiel ينظر إلى هذه التصحيحات من زاوية أخرى فيرى أنه ربما نتفق على أن هذه التصحيحات ناجمة عن جهل الكاتب بالقواعد ورغبته الواضحة في محاكاة ضرب فصيح يتسم بالالتزام بقواعد الفصحى،

51 - Versteegh, K. 2005: op. cit., p.8.
52 - Ibid., p.9-10.

ولكن من ناحية أخرى هناك بعض حالات من هذه التصحيحات تمثل صيغًا لهجية لا تشكل تشويهًا لقواعد العربية الفصيحة، مثل تلك الصيغ الموحدة Unified مثل: أبوك وأخوك، وليس بالضرورة النظر إلى هذه الحالات على أنها تشويه متعمد لقواعد العربية الفصحى، بل على أنها صيغًا موحدة تم قبولها داخل اللهجات بوصفها أشكالًا مباحة[53].

وقريب من رؤية "شفتيل" نجد مَن يشير إلى من أهم الأسباب الأخرى الكامنة وراء هذه الأخطاء هو تعرض أصحاب هذه النصوص لتراكيب وبنيات لم يتم تعلمها بصورة جيدة وأنهم كانوا يصدرون فيها عن لغتهم الأم، يقول د. "محمد الشرقاوي" : «أتصور أن التشابهات بين اللهجات العربية الجديدة ونصوص العربية الوسيطة تبين أن من يملي نصًا كان ينطلق مما يعرف ويملك كلغة أم، ويحاول مع ذلك تجميل النص بسمات يتصور فصاحتها ... لذلك من الطبيعي أن تنتج الجاليات غير العربية في الإمبراطورية الوليدة نصوصًا مكتوبة بحرف غير عربي وتحتوي على أخطاء ... وتحتوي كذلك على سمات عامية أكثر ومفردات مقتبسة من لغات أجنبية»[54].

### التصحيح الزائف وتغير اللغة:

لا شك في أن تغير لغة عملية ليست ذاتية داخلية تحدث من تلقاء نفسها، ولكنها مرتبطة بصورة كبيرة بالعوامل الاجتماعية بمعنى أنها تحدث في سياق اجتماعي معين له صفاته وخصائصه وأسبابه التي تستدعي مثل هذا التغير، ولعل أي حالة من حالات الاحتكاك اللغوي أو اللهجي تكفل التعبير عن جانب معين من جوانب هذا التغير، فهناك مَن يرى أن الاحتكاك اللغوي يعضد

53 - Shivtiel, A. 1991. The Maze of Arabic. P.1438. In Kaye, A. S. (Ed.): Semitic Studies. in honor of Wolf Leslau, on The Occasion of his eighty-fifth birthday, Vol.2, pp. 1435-42. Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

54 – انظر د محمد الشرقاوي 2013: الفتوحات اللغوية، مرجع سابق، ص 132.

حدوث تغيرات لا ترتبط به هي التغيرات المستقلة، ولكن هذه التغيرات بلا شك تتأثر في مرحلة من المراحل بهذا الاحتكاك[55].

وفي حالة العربية الوسيطة نلحظ أن تلك الأسباب التي تنجم عنها أخطاء التصحيح الزائف تشكل عاملًا مهمًا من عوامل تغير اللغة، بل إن ظاهرة التصحيح الزائف بوجه عام تعتبر آلية من آليات التغير في جميع اللغات[56]، فبعض التصحيحات كما يقرر "هَري" يتم النظر إليها داخل التنوع الأقل مكانة على أنها صيغ قياسية؛ ومن ثمّ تشترك مثل هذه التصحيحات في عملية التغير[57] وبخاصة إذا عمت وانتشرت وتم قبولها[58]، والمثال الذي يشير إليه "هَري" في هذا الصدد هو المثال الخاص بالأداة (لم) المتبوعة بفعل ماض تام، فاستعمال (لم) على هذه الصورة في العربية المصرية اليهودية يعد دليلًا على تصحيح زائف، فالأداة (لم) هنا هي بديل أداة النفي (ما) التي يتلوها فعل ماض، ولكن هذا الاستعمال كان واسع الانتشار ومن ثمّ تم قبوله في هذه اللهجة ليصبح جزءًا منها[59]، كذلك يشير "هَري" إلى تخفيف الهمزة [رأس – راس، كأس – كاس، رديء – ردي] على أنه صورة من التصحيحات الزائفة التي يتم قبولها داخل اللهجة وتقييسها وكانت سببًا في تغير اللغة[60].

**خاتمة:**

عرضت في الصفحات السابقة تعريفًا متواضعًا بظاهرة التصحيح الزائف وصورها ومصطلحاتها المختلفة، وإذا كانت دواعي هذا التعريف ترتبط بما لهذه المصطلحات من صلة كبيرة بما اتفق على تسميته العربية الوسيطة فإن هذا

55 - see Heine, B. & Kuteva, T. 2005: Language Contact and Grammatical Change. P.5. Cambridge University Press.

56 - Hary, B. 2007: op. cit., p.275.

57 - Ibid., p.275.

58 - Ibid., p.278.

59 - Ibid., p.279.

60 - Ibid., p.279.

الإطار من المعالجة يتغير بتغير مفهوم العربية الوسيطة نفسه ويؤول إلى ما آلت إليه، ومن ثم يفتح آفاقًا جديدة في دراسة نصوص العربية المعاصرة وصورتها النحوية المميزة، لأن مسار تحول مفهوم العربية الوسيطة من (1) الإشارة إلى ضرب لغوي صاحب فترة تاريخية محددة من حياة العربية، ثم إلى (2) ضرب يجمع بين العناصر الفصحى والعامية، فـ (3) عنوان على نصوص تكون فيها اللغة الفصحى هي الهدف، إن هذا المسار وتلك التحولات في تعريف العربية الوسيطة ليؤكد حياة ظاهرة التصحيح الزائف واستمرارها في العربية حتى عصرنا هذا.

## المصطلحات الواردة في البحث

| | |
|---|---|
| Archaism | مهجور - إحياء |
| Authenticity | أصالة |
| Covert Prestige | اعتبار خفي |
| False Regression | تراجع خاطئ |
| False Restitution | تعويض خاطئ |
| foreignism | تغريب |
| Half-correction | نصف تصحيح |
| Hyperadaptation | تطويع زائد |
| Hyperarchaism | إحياء زائد |
| Hypercorrection | تصحيح زائد |
| Hyperdialectism | تلهيج زائد |
| Hyperforeign | غريب زائد |
| hyperforeignism | غرابة زائدة |
| Hyperforeignization | تغريب زائد |
| Hyperurbanism | تفاصح حضري |
| Hypocorrection | تصحيح ناقص |
| Marked Feature | سمة موسومة |
| Middle Arabic | العربية الوسيطة |
| Middle English | الإنجليزية الوسيطة |
| Mixed Forms | صيغ مزيج |

| | |
|---|---|
| **Negative Prestige** | اعتبار سلبي |
| **Overcorrection** | تصحيح زائد |
| **Overgeneralization** | تعميم زائد |
| **Overt Prestige** | اعتبار ظاهر |
| **Positive Prestige** | اعتبار إيجابي |
| **Prestige** | اعتبار |
| **Pseudocorrection** | تصحيح زائف |
| **Pseudocorrection Features** | سمات التصحيح الزائف |
| **Pseudo Loanword** | اقتراض زائف |
| **Qualitative Hypercorrection** | تصحيح زائد نوعي |
| **Quantitative Hypercorrection** | تصحيح زائد كمي |
| **Source Language** | اللغة المصدر (المانحة) |
| **Target Language** | اللغة الهدف (المستقبلة) |
| **Unmarked Feature** | سمة غير موسومة |
| **Vernacular Features** | سمات عامية |

# مراجع البحث

**رمزي بعلبكي 1990:**

معجم المصطلحات اللسانية، لبنان: دار العلم للملايين، الطبعة الأولى.

**كيس "فرستيج" 2003:**

اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها، تر: د. محمد الشرقاوي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى.

**محمد الشرقاوي 2013:**

الفتوحات اللغوية: انتشار اللغة العربية وولادة اللهجات في القرن الأول الهجري، القاهرة – بيروت– تونس: دار التنوير، الطبعة الأولى.

**منتصر أمين عبد الرحيم 2013:**

معجم الفروق في المصطلح اللغوي الحديث، لبنان: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى.

**Blau, J. 1981a:**

The State of Research in the Field of the Linguistic Study of Middle Arabic. Arabica, T. 28, Fasc. 2/3, Numéro Spécial Double: Études de Linguistique Arabe (Jun. - Sep., 1981), p. 187-203.

**---------- 1981b:**

The Emergence and Linguistic Background of Judaeo-Arabic: A Study of the Origins of Middle Arabic. Leiden: Brill.

**Hary, B. 2007.**

Hypercorrection. In Encyclopedia of Arabic Language and Linguistics. Vol.2. Leiden and Boston: Brill. 2007, p. 275–79.

**Heine, B. & Kuteva, T. 2005:**

Language Contact and Grammatical Change. Cambridge University Press.

**Janda, R., Joseph, B. D. & Jacobs, N. 1994:**

Systematic Hyperforeignisms as Maximally External Evidence for Linguistic Rules. In Lima, S. & Corrigan, R. & Iverson, G. (eds.), The Reality of Linguistic Rules. John Benjamin's Publishing Co., p. 67-92.

**Janda, R. & Auger, J. 1992.**

Quantitative Evidence, Qualitative Hypercorrection, Sociolinguistic Variables--And French Speakers "eadhaches" with English h/O. Language and Communication, vol.12 (3-4): p.195-236.

**Johannes den Heijer 2012:**

Middle and Mixed Arabic: A New Trend in Arabic Studies. In Zack, L. & Schippers, A. (Eds.) 2012: Middle Arabic and Mixed Arabic: Diachrony and Synchrony. Leiden: Brill. p. 1-25.

**Joseph, B. D. 2009:**

On Some Hyperadaptations in Greek and in Greece.p.27f. in A. Ralli, B. Joseph & M. Janse (eds.) Proceedings of the Third International Conference of Modern Greek Dialects and Linguistic Theory (Lefkosia, Cyprus, June 14-16, 2007). Nicosia, Cyprus: Research Centre of the Kykkos Monastery, 2009, p.27-36.

**Shivtiel, A. 1991.**

The Maze of Arabic. In Kaye, A. S. (Ed.): Semitic Studies. in honor of Wolf Leslau, on The Occasion of his eighty-fifth birthday, Vol.2, p. 1435-42. Otto Harrassowitz, Wiesbaden.

**Swan, J. et al 2004:**

A Dictionary of Sociolinguistics. Edinburgh University Press.

**Trudgill, B. 2003:**

A Glossary of Sociolinguistics. Edinburgh University Press.

**Versteegh, K. 1983.**

Arabic Grammar and the Corruption of Speech. in Ramzi Baalbaki (Ed.): Arab Language and Culture, p.117-138. (= al-Abḥāth, 31). Beirut: American University of Beirut.

---------- **2005:**

Breaking the Rules without Wanting to: Hypercorrection in Middle Arabic Texts. in Alaa Elgibali (Ed.) : Investigating Arabic: Current Parameters in Analysis and Learning. Leiden: Brill. p.3-18.

---------- **2010:**

Pidgin Arabic and arabi sa'ab: the Influence of the Standard Language in the History of Arabic. JSAI= Jerusalem Studies in Arabic and Islam (37): p.61-79.

# المصطلحات اللغوية في كتاب "العين"

# للخليل بن أحمد الفراهيدي

# قراءة في ثلاثة فهارس

د. منتصر أمين عبد الرحيم

## توطئة

يقوم بناء أي فهرس على رصد مصطلحات مجال معين، عند مرحلة معينة، ضمن عمل يمثل ذلك المجال، وذلك بهدف استقصاء لغته الواصفة، والأصل في هذا أن يمكننا الفهرس من فهم أعمق للمفاهيم المعتمدة في هذا العمل، يمكن أن يوظف في تحليله تحليلا وافيا، إذ يعمل الفهرس على جرد مصطلحات هذه المفاهيم، وتتبع صورها، ومواضعها، وسياقاتها، ثم ترتيب هذه المصطلحات ترتيبا معينا يراعي حاجات مستعمليه. وفي حال توافرنا على عدد كافٍ من فهارس هذا المجال يمكن أن نتبين آثار هذه الألفاظ والمصطلحات في مرحلة تالية تعد تطورا عن المرحلة السابقة أو تطويرا لها.

ويعد وضع الفهرس على هذه الأوصاف والشروط عملا مضنيا يحتاج إلى فرق بحثية تشرف عليها هيئات ومؤسسات علمية مختصة؛ ومن ثم يتم التخلي عن بعض هذه الشروط ويُكتفى منها بما يتفق وغايات كل باحث من وراء تسجيل تلك المصطلحات أو بعضها، لا سيما إذا كان عمل الواضع يشكل جزءا من بحث أو دراسة تتعلق بهذه المصطلحات. وفي بعض الحالات يمكن أن يكون همّ الواضع هو التنبيه على أهمية بناء فهرس لعمل معين إذا كان يشكل علامة مميزة ضمن هذا المجال أو ذاك. إن مثل هذه الحالات رغم عدم الالتزام

بالشروط والأوصاف يمكن أن تشكل أساسا مهما وتنبيها حافزا لوضع الفهرس على صورته المأمولة. وفي هذه الورقة سأحاول تحليل ثلاثة أعمال قامت على جرد الرصيد المصطلحي الوارد في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي تتمثل في:

- **"الفهرس الأبجدي للمصطلحات النحوية في كتاب العين"** للمستشرق رافي طلمون الذي ورد ضمن كتابه:

R. Talmon 1997: Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. pp. 373-421. Brill.

- **"مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل"** للدكتور أحمد محمد قدور ضمن كتابه الصادر سنة 2001 بعنوان **"اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي"** عن دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، (ص51: 55). وقد قدمه الدكتور قدور سابقا ضمن كتابه **"أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين"** الصادر عن دار الفكر بدمشق في طبعتين الأولى سنة 1998، والثانية سنة 2003 (ص67: 81).

- **"كشاف الاصطلاحات اللغوية للخليل بن أحمد الفراهيدي"** للدكتور خالد اليعبودي الصادر سنة 2018 ضمن بحوث مجلة **"مصطلحيات"** العدد العاشر (ص69: 108).

### 1 - ملحوظات أولية:

بداية نلاحظ من خلال عناوين هذه الأعمال أن أولها معني بالمصطلحات النحوية الواردة في "العين"، والثاني بالمصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة هذا الكتاب. أما العمل الأخير فيروم تقديم جرد شامل لمجموع المصطلحات اللغوية الواردة في هذا الكتاب؛ إذ اشتمل على تلك المصطلحات موزعة على مباحثها (الصوتية، والصرفية، والنحوية) بالإضافة إلى مصطلحات فقه اللغة والمصطلحات البلاغية ومسرد بالأبنية الواردة في "العين" وانتهى بمصطلحات الأحكام المعيارية.

وقد يبدو العنوان الذي اختاره "طلمون" لفهرسه غير دقيق بالنسبة إلى ما تضمنه من مصطلحات صوتية وصرفية ونحوية، ولكن هذا العنوان يرتبط برؤية طلمون للعناصر أو المستويات التي يقوم عليها التحليل النحوي عند الخليل وهي: الصوت والصرف والنحو. ومن الجدير بالذكر هنا أن هذا الفهرس أتبعه طلمون بفهرس لعيوب اللغة(1) وآخر بالتعبيرات الدالة على الأحكام المتصلة بمدى انتشار لفظ أو تعبير معين، مثل الحكم بأنه: كثير، قليل، مطرد، ليس بمعروف(2)، ثم فهرس ثالث بالأحكام المعيارية المتعلقة بالصيغ اللغوية(3).

وإذا عدنا إلى **مسرد المصطلحات الصوتية في مقدمة العين** يمكن أن نقول إن هذا العمل محدود الفائدة؛ لأن اقتصاره على مصطلحات المقدمة وحدها لا يعكس بأي حال من الأحوال صورة شاملة لخصوصية المصطلحات الصوتية لدى "الخليل" حتى إذا التزم جميع المعايير المصطلحية والمعجمية، وإن كان من عذر في هذا فربما تكون إشارة محققي كتاب العين - الواردة تحت عنوان "منزلة كتاب العين في تاريخ علم اللغة" - إلى أن "مقدمة "العين" مادة غزيرة في علم الأصوات العربي وعلم وظائف الأصوات، وهي بهذا تعدّ من أهم الوثائق في علم اللغة التاريخي؛ وذلك لتقدمها ولأن صاحبها مبتدع مؤسس لم يأخذ علمه هذا عن معاصر له أو سابق عليه"(4)، أو ربما ما ذكره الدكتور قدور نفسه في كتابه سابقا على هذا المسرد من النص على أن "المصطلحات الصوتية الواردة في (مقدمة) كتاب "العين" مصطلحات عربية المصدر لغة ومعرفة؛ لأنها تخلو من التأثر بأي علم أجنبي ترجم إلى العربية، وهي كذلك مصطلحات رائدة لا

(1) R. Talmon 1997: op. cit. p.422.

(2) R. Talmon 1997: op. cit. p.422-3.

(3) R. Talmon 1997: op. cit. p.424-6.

(4) الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت، 1/ 14.

نعرف لها أساسا متقدما، وهي مصطلحات حية أيضا إذا تداولها العلماء"[5]. إن هذه الأوصاف التي أحيطت بها مصطلحات (المقدمة) تصدق كذلك على مثيلاتها مما ورد في غير موضع من ذلك السّفر الكبير، وليت هذه الكلمات قد استثارت دافعا لعمل أشمل يأخذ بعين الاعتبار مكانة كتاب "العين" ودوره التأسيسي في علم الأصوات العربي، ولكن إذا قصد الدكتور "قدور" من وراء عمله هذا أن يكون نواة لأعمال لاحقة أكثر إحاطة فهذا مقبول غير أنه مردود على الأقل بظهور عمل طلمون الذي سبق هذا المسرد بحوالي خمس سنوات.

حين تفتش عن نسخة كتاب "العين" وطبعته التي اعتمدت عليها هذه الأعمال ستجد أن العملين الأول والثاني يعتمدان على النسخة التي حققها الأستاذان "مهدي المخزومي" و"إبراهيم السامرائي". أما العمل الثالث للدكتور "اليعبودي" فقد ذكر أنه اعتمد على نسخة إلكترونية من كتاب العين مدونة بمركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي 1999: "مكتبة المعاجم وغريب المصطلحات" بعمان الأردنية، ولكني أرجح من خلال المقارنة أنها لا تختلف عن الطبعة المحققة السابقة.

**2 – البناء والترتيب**

شغل الفهرس الأبجدي للمصطلحات النحوية في كتاب "العين" حوالي تسع وأربعين صفحة من كتاب طلمون (373– 421)، وقد رتبت مصطلحاته وفق جذورها المشتقة منها، بعد ذكر الجذر وسط السطر يأتي المصطلح أو عدد من المصطلحات المشتقة منه، كل منها على سطر منفرد متبوعا بمعانيه أو مشتقاته والدرس أو الدروس التي ينتمي إليها بين معقوفين، بعدها وعلى سطر ثالث يعدّد طلمون مواضع ورود المصطلحات ضمن مجلدات الكتاب؛ رقم المجلد بخط ثخين، ثم رقم الصفحة أعلاه عدد مرات ورود المصطلح بهذه الصفحة،

(5) د. أحمد محمد قدور 2001: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر)، الطبعة الأولى، ص 50.

وبعده شرطة حال ورود المصطلح ضمن صفحتين متتاليتين على الصورة: 3 45 2 – وبدون هذه الشرطة أو العدد أعلى رقم الصفحة لما يرد مرة واحدة في تلك الصفحة، وقد بدأ الفهرس بالمصطلح (أَخْذٌ) وانتهى بالمصطلح (موافق ومتفق).

**أ د و**

**أداة [أقسام الكلام]**

**1** 48 – (دارج)؛ 320 **3** 210 – ؛ 285؛ 309 – ؛ 352 – . **5** 414 . **7** 302 (دارج). **8** 135؛ 143 – ؛ 375[6].

**أما مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل** فقد شغل نحو خمس صفحات (51– 55)، رتبت مصطلحاته ترتيبا ألفبائيا، بحيث يأتي المصطلح أولا متبوعا بموضعه من المقدمة، وقد بدأ المسرد بالمصطلح (أحرف) وانتهى بالمصطلح (يفتح فاه).

يتفق العمل الثالث **كشاف الاصطلاحات اللغوية** للدكتور "خالد اليعبودي" مع عمل الدكتور "قدور" في ترتيب المصطلحات ألفبائيا، ولكنه يختلف عنه في عدة من الأمور المهمة منها محاولته تغطية جميع المصطلحات الواردة في كتاب "العين"، وقيامه بتقسيم هذه المصطلحات على المباحث التي تنتمي إليها؛ فبدأ بالمصطلحات الصوتية (ص72– 79) ثم الصرفية (ص80– 85) ثم النحوية (ص86– 91) بعدها مصطلحات فقه اللغة (ص92– 93) فالمصطلحات البلاغية (ص94 – 95)، فكشاف أبنية كتاب "العين" (ص96– 105)، وأخيرا المصطلحات الدالة على الأحكام المعيارية (ص106– 108)، وهذا التقسيم لا تجده في العملين الآخرين، هذا بالإضافة إلى استعماله الهوامش

(6) see R. Talmon 1997: Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. p. 373. Brill.

استعمالا جيدا في شرح بعض المصطلحات أو تعريفها أو التمثيل لها، أو المقارنة بينها وبين بعض المصطلحات الأخرى الواردة في الكتاب، وفي القليل تتضمن الهوامش عبارات الخليل التي تتصل بالمصطلح وتوضح معناه. وقد بني هذا الكشاف على ثلاثة أعمدة؛ الأول يتضمن ترقيم كل مصطلح مما يجعلنا قادرين على إحصاء مصطلحات كل قسم من أقسامه، والثاني يمثل المصطلحات بترتيبها الألفبائي. أما الأخير فيتضمن مواضع المصطلحات، كل بجزئه وصفحاته.

### 3 - الفهرس الأبجدي لطلمون

إن مجرد النص على المواضع التي ورد فيها المصطلح على الطريقة التي جاءت في هذا الفهرس يشبه تلك الآلية التي اعتمدها "جيرار تربو Gérard Troupeau" في المعجم المفهرس لكتاب "سيبويه" Lexique-index du Kitab de Sibawayhi المنشور سنة 1976، وهي تحتاج من المستعمل الرجوع إلى المصدر الأصلي بغية تحصيل المفهوم الذي يسميه، وإذا قارنا هذه الطريقة بطريقة "نفتالي كينبرج Kinberg, N." في فهرسة مصطلحات كتاب معاني القرآن للفراء A Lexicon of Al-Farra's Terminology in his Qur'an Commentary الصادر سنة 1996 - أي قبل عام من صدور كتاب "طلمون" - نجد أن طريقة "كينبرج" - على ما عليها من ملحوظات الحشو والتكرار والتكديس وغيرها- تضع أمام المصطلح السياقات والنصوص التي ورد ضمنها، لتأكيد معانيه.

ربما يكون ترتيب المصطلحات النحوية الواردة في كتاب الخليل على هذه الطريقة أسلوبا يتبعه طلمون في رصد المصطلحات التراثية، بيد أني لم أحصل على نسخة من دراسته لكتاب "مقدمة في النحو" المنسوب إلى خلف الأحمر، الصادرة سنة 1990، حيث قام بدراسة الكتاب وفهرسة مصطلحاته، ومن المحتمل أيضا أن يكون الترتيب متعلقا برؤيته حول "اضطراب" المصطلح لدى الخليل وسيبويه بين المعنى الاشتقاقي والمعنى الاصطلاحي، أو بتفسيره لتلك العلاقة بين المعنيين الذي تستنتجه من قوله: "في اختلاف مفهوم المصطلح عن

معناه الاشتقاقي دلالة على التطور، قد يعلله البعض بأنه الثمرة الناضجة التي مضت عليها فترة طويلة من الزمان حتى استوت ... ويمكننا أن نفسر هذا الاختلاف في بعض المصطلحات على وجه آخر، دون أن نلجأ إلى الاستدلال بالتطور المستمر الطويل الأمد، بل نفترض استعارة المعنى الاصطلاحي عن حضارة أجنبية أو علم آخر من علوم الحضارة ذاتها"(7)، وهذا التفسير يتعلق برؤيته الثابتة حول طبيعة فترة تأسيس النحو العربي قبل الكتاب والعين.

ورغم ما يبدو عليه إحصاء تلك المصطلحات من الدقة في فهرس "طلمون" فإنه لا يخلو من الاعتماد على التسمية دون المفهوم، فعلى سبيل المثال ورد المصطلح (أداة) بحسب طلمون إحدى عشرة مرة، منها ما ورد في الجزء الأول ص320، وعند الرجوع إلى هذا الموضع تجد المصطلح ضمن قول الخليل: "والمسعط: الذي يجعل فيه الدواء، على مفعل، لأنه أداة"(8)، والفرق بين مفهومي التسميتين باد لا يحتاج مزيد إيضاح، كما هو قول الخليل: "والسّانية: اسم الغرب وأداته، والجمع السواني"(9). فإذا كان "الخليل" يستعمل "المصطلح" بمعانيه الأصلية بحكم أن كتابه في أصل خصوصه "معجم" فقد كان على "طلمون" أن يستبعد هذه الاستعمالات التي لا تتفق مع ما ورد في بقية المواضع التي استقصاها، أو تلك التي قام بتحليلها في مواضع أخرى من الكتاب. ومن مثل هذا أيضا مصطلح (أسلة اللسان) إذ أشير إلى موضعه(10) بقول "الخليل": "والعذبة في البعير أسلته"(11).

إن مجالات بعض المصطلحات لدى "الخليل" أو جُلها متشعبة ومتعددة وبالتالي يحتاج حصر المصطلح ضمن مجال معين تدقيق النصوص واستقصاء

(7) رافي طلمون 1984: التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه – دراسة في تأريخ المصطلح النحوي العربي، مجلة الكرمل أبحاث في اللغة والأدب، العدد الخامس (ص37: 53)، ص44.

(8) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 320.

(9) السابق، 7/ 302.

(10) R. Talmon 1997: op. cit. p.373.

(11) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 2/ 103.

السياقات التي ورد فيها، وقد أخطأ واضع الفهرس حينما قصر مصطلح (التأسيس) على الاشتقاق - وبالتالي على التصريف - وجعل من بين سياقاته[12] قول الخليل: "والرس في قوافي الشعر: صرف الحرف الذي بعد الألف للتأسيس نحو حركة عين فاعل في القافية"[13]، فالخليل جعل هذا الموضع خاصا بالعروض والقوافي، وبالتالي فـ"ألف التأسيس" بكل خاصياته مصطلح عروضي، وهذا ما قد أشار إليه طلمون نفسه في موضع سابق من كتابه[14].

وفي بعض الأحيان يضع "طلمون" المصطلح موضعا من الكتاب لا تجد فيه هذا المصطلح بالمعنى الذي جُعل له، ومن ذلك مصطلح (التأويل)، وقد جعله مخصوصا بالاشتقاق في موضعين: أولهما تجده في قول الخليل: "وكان الحسن يقرأ (إلا من خطّف الخَطْفَة) على تأويل: اختطف اختطافة، جعل المصدر على بناء خَطِفَ يخطَفُ خَطفَة كما تقول من الاختطاف اختطافة"[15]، والثاني قول الخليل: "والتأول والتأويل: تفسير الكلام الذي تختلف معانيه، ولا يصح إلا ببيان غير لفظه"[16] - وهو فيه بغير ما خصه من الاشتقاق.

ولا شك في أن ما ألمحتُ إليه قد نراه يتكرر في مواطن أخرى من فهرس طلمون، ويبقى أن أشير إلى أن النظام المتبع في هذا الفهرس؛ أي ترتيب المصطلحات ترتيبا جذريا - وإن كان يناسب فخامة كتاب العين- فإنه يصعب على طالب المصطلح مقارنة بالنظام الألفبائي المتبع في مسرد الدكتور قدور وكشاف الدكتور اليعبودي، لأنه قد لا يفصل بين المعاني المختلفة للمصطلح الواحد، ويخلط بينها.

وإن كان من كلمة تقال في حق عمل طلمون فهي أنه جمع عددا لا بأس به من المصطلحات المهمة التي لا تجدها في عملي الدكتور قدور والدكتور

(12) R. Talmon 1997: op. cit. p.373.

(13) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 7/ 190.

(14) R. Talmon 1997: op. cit. p.117.

(15) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 4/ 221.

(16) السابق، 8/ 369.

اليعبودي، ورغبة في بيان سياقات هذه المصطلحات سأضع أمام كل مصطلح النص الذي ورد ضمنه، ممثلا لبعض هذه المصطلحات التي تفرد بإحصائها بما يلي:

**أخذ [بمعنى الاشتقاق]**

- والخيل جماعة الفرس، لم **تُؤخَذ** من واحد مثل النبل والإبل[17].
- وقالوا الصلخدم **أُخِذَ** من الصلخم. الدال زائدة أم الميم[18].
- ويقال: الكلابَ على البقر، نصب، **مَأخُوذ** من صيدهم البقر الوحشية بالكلاب[19].

**أخَّر [ خلاف: قدّم؛ صرفي]**

- والأصل مألك فقدموا اللام وأخروا الهمزة فقالوا ملأك[20].

**أختان [تصنيف الحركات؛ صوتي]**

- ولكن لما صارت الكسرة والضمة أختين واشتركتا في مواضع كثيرة دخلت الكسرة مدخل الضمة[21].

**أداة [أقسام الكلام]**

- فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه من الأدوات والزجر[22].
- حيث، الثاء مضمومة، وهو أداة للرفع يرفع الاسم بعده[23].

---

(17) السابق، 4/ 306.

(18) السابق، 4/ 330.

(19) السابق، 5/ 361.

(20) السابق، 5/ 380.

(21) السابق، 7/ 214.

(22) السابق، 1/ 48.

(23) السابق، 1/ 285.

- وكل حرف أداة إذا جعلت فيه ألفا و لاما صار اسما، فقوي و ثقل[24].

**تأسيس [أصل -؛ بناء؛ في الاشتقاق]**

- القحو **تأسيس** الأقحوان[25].

- والاسم أصل تأسيسه: السمو[26].

- وتفسير الأم في كل معانيها: أمة لأن تأسيسه من حرفين صحيحين[27].

**دغمة [صوتي؛ صرفي]**

- **والدغمة** اسم من إدغامك حرفا في حرف[28].

**4 – مسرد المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة كتاب العين للخليل**

كان الدكتور قدور قد ذكر أن مقدمة كتاب العين تضم بحسب إحصائه "نحوا من مئة وسبعين مصطلحا أو عبارة اصطلاحية، في مجال علم الأصوات بفروعه المختلفة، وفق التصنيف الحديث كما سيتضح لاحقا"[29]. والحقيقة أن الفهرس المقدم جمع على وجه التحديد مائة وأربعة وستين لفظا فقط من ألفاظ المصطلحات الصوتية، وأقول لفظا؛ لأن تكرار موضع المصطلح لا يعني بالضرورة أننا أمام مفهوم جديد مختلف، فالمرصود بالنسبة إلى الشفتين على سبيل المثال هو "الشفة، والشفتان" ومنه أوصاف مثل: "شفهية، وشفوية، وثلاثة شفوية، والحروف الشفوية"، وكذلك بالنسبة إلى "أحياز" و"حيز" و"حيز واحد" إنما هي تنويعات لمفاهيم مترادفة أو تسميات لمفهوم واحد، وهنا ربما يكون النظام المتبع لدى طلمون – من منظور مصطلحي – أفضل من النظام

(24) السابق، 3/ 352.

(25) السابق، 3/ 255.

(26) السابق، 7/ 318.

(27) السابق، 8/ 433.

(28) السابق، 4/ 395.

(29) د. أحمد محمد قدور 2001: مرجع سابق، ص42، 43.

الألفبائي، ولكن طالما أننا في سياق فهرسة تضع كل لفظ موضعه فلا بأس بما ورد.

أما بالنسبة إلى الإيضاح الذي وعد به الدكتور "قدور" المتعلق بإمكان توزيع هذه المصطلحات على فروع علم الأصوات وفق التصنيف الحديث فلم أجد عليه أي دلائل أو إشارات واضحة تؤكد عبارتُه كما سيتضح لاحقا، ولعل ما ذكره الدكتور قدور من أن المقدمة قد ضمّت "مبادئ علم الأصوات النطقي كالحديث عن جهاز النطق وأعضائه، وتحديد المنظومة الصوتية، والانتباه إلى مبدأ اللغة الصوتي، وتقسيم الأصوات إلى صوامت وصوائت، كما ضمت مبادئ علم الأصوات التشكيلي كائتلاف الحروف، والصفات التركيبية، وصوغ الكلمات حكاية للأصوات الطبيعية"[30] لا يقوى عمليا على أن يكون بنفسه دليلا، لا سيما إذا أمعنا النظر في المسرد الذي صنعه لمصطلحات تلك المقدمة، وأرجح أن السبب في هذا يكمن في أن مصطلحات مقدمة "العين" لا تكفي وحدها للوفاء بهذا التوزيع، والدليل على ذلك يمكن تمثيله بما قدمه الدكتور "عمرو محمد فرج مدكور" في دراسته الموسومة بـ **"المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد"** إذ كان معنيا بمثل هذا التوزيع؛ فقسم المصطلحات الواردة في كتاب "العين" على ثلاث أقسام رئيسة، هي "المصطلحات العامة"، و"مصطلحات علم الأصوات النطقي" بما فيه من "مصطلحات المخرج"، و"مصطلحات أعضاء النطق"، و"مصطلحات الصفات"، وتناول في القسم الأخير "مصطلحات علم الأصوات الوظيفي"، وسواء في هذه الحال إن حاولنا توزيع المصطلحات الواردة في مسرد الدكتور "قدور" على هذه الأقسام، أو قارنا مصطلحات هذا المسرد بمثيلاتها مما ورد في دراسة الدكتور "مدكور"[31]، فالنتيجة أن مصطلحات المقدمة وحدها لن تستوفي هذا التوزيع على طريقته

(30) السابق، ص43.

(31) انظر ملحق المصطلحات ضمن دراسة د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد، مجلة علوم اللغة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (القاهرة: دار غريب) ص79: 81.

المثلى، حتى إذا كان جميع ما أثبته الدكتور قدور يدور في فلك علم الأصوات، ولكن الحقيقة غير هذا.

أثبت الدكتور قدور ضمن مسرده بعض المصطلحات التي لا تنتمي إلى علم الأصوات، ولم يكن سياقها ضمن المقدمة هو الحديث عن الأصوات أو ما يتعلق بها، فعلى سبيل المثال أثبت الدكتور قدور تعبير (**فصارت الياء**) ضمن المصطلحات الصوتية، ولم يثبته طلمون أو الدكتور اليعبودي، ربما لأنه لا تشتم منه رائحة المصطلح، وقد ورد في كتاب العين في قوله: "وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنها لانت، **فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح**"(32)، وهذا المصطلح ضمن نصه وسياقه لا علاقة له بعلم الأصوات، فالمفهوم منه هو خروج الياء والواو والألف عن الحروف الصحيحة لتكون ضمن "حروف العلل"، كما اصطلح عليها الخليل في كتابه. وهذا يأخذنا إلى الحديث عن المصطلح التالي.

مصطلح (**معتل**): حصر د. قدور وُرود هذا المصطلح في موضع واحد في الصفحة 55، وقد ورد في مواضع أخرى ضمن المقدمة سابقة على هذا الموضع ولاحقة به؛ إذ ورد بحسب طلمون في الصفحات 47، 50، 54، 59. وقد أحصيت له المواضع التالية (47، 55، 56، 57، 59 [حروف العلل]، 60)، والملاحظ أن طلمون لم ينسب هذا المصطلح إلى علم الأصوات، وجعله مصطلحا صرفيا؛ فقد ورد في سياق الحديث عن الألفبائية العربية والطريقة التي انتهجها الخليل في ترتيب حروف معجمه، وذلك في قوله "فأعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدأ التأليف من أول ا، ب، ت، ث وهو الألف، لأن الألف **حرف معتل**"(33)، وورد أيضا في قوله: "والعرب **تشتق** في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف ومن **الثلاثي المعتل**"(34)، وجاء

(32) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 52.

(33) السابق، 1/ 47.

(34) السابق، 1/ 56.

في تفسير الثلاثي الصحيح "أن يكون ثلاثة أحرف ولا يكون فيها واو ولا ياء ولا ألف [لينة ولا همزة] في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف علل"[35]، وجميع هذه السياقات تدل على أن الوصف "معتل" إنما هو للصوت والبناء على السواء، وبالتالي يمكن نسبته إلى علمي الأصوات والصرف.

وقد حصر الدكتور مدكور معنى هذا المصطلح - معتمدا على شاهدين اثنين - في مفهوم الأصوات (ا، و، ي) مقابل الأصوات الصحيحة[36]. إذ جعل المصطلح (معتل) مرتبطا في معناه بالمصطلح (حروف علل أو حرف معتل)، لكننا في سياق بناء فهرس علينا أن نفصل بين "حرف معتل" وبناء "معتل"، وربما يجب علينا أيضا أن ننتبه إلى أن هذا الفهرس في حال كحالة كتاب العين فهرس من منظور تاريخي؛ بمعنى أننا لا نحتاج في تسجيل ألفاظه إلى إسقاطات خاصة بتطور مفهوم المصطلح وصورته الحالية على صورته ومعناه الأول.

كما أثبت الدكتور قدور مصطلح **"المضاعف"** ضمن المصطلحات الصوتية، وذكر له ثلاثة مواضع من المقدمة (55، 56، 57)، ولم يثبته الدكتور اليعبودي، إنما أثبت مصطلح "التضاعف" ضمن مصطلحات المقدمة 56/1. أما طلمون فلم يثبت هذا المصطلح في الأجزاء الأولى من الكتاب وسجله في الجزء الثالث والرابع والخامس؛ أي بعيدا عن المقدمة، ولكنه أحسن تصنيفه إذ جعله واقعا في إطار علم الصرف، والدليل على ذلك - ويحسن هنا أيضا أن نعود إلى سياقات المصطلح – قوله:

- وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة[37].

- والمضاعف في البيان في الحكايات وغيرها ما كان **حرفا عجزه مثل حرفي صدره**[38].

---

(35) السابق، 1/ 59.

(36) د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: مرجع سابق، ص66.

(37) الخليل بن أحمد الفراهيدي: مرجع سابق، 1/ 55.

(38) السابق، 1/ 55.

- ويجوز في حكاية المضاعفة ما لا يجوز في غيرها من **تأليف الحروف**، ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل "ضك" كان تأليفا لم يحسن في أبنية **الأسماء والأفعال** إلا مفصولا بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر [39].

- **وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل فنحو قول العجاج ..** [40].

- والعرب **تشتق** في كثير من كلامها **أبنية المضاعف** من **بناء الثلاثي المثقل** بحرفي التضعيف، ومن الثلاثي المعتل[41].

وجميع هذه السياقات تفصح بوضوح عن أن مصطلح "المضاعف" خاص بالأبنية لا الأصوات.

ومن الأمور اللافتة أن الدكتور عمرو مدكور ذكر هذا المصطلح ضمن المصطلحات الصوتية وقد علّق عليه قائلا: "استخدم الخليل المصطلح بمفهوم **الكلمة التي تكرر فيها صوتان مثل صلصلة**، والأمثلة التي ساقها الخليل هي **وزن فعلل المضاعف** (زلزل) ومصدره بإزاء مصطلح (**مُضعّف**) الذي يعني تشديد الحرف مثل (صلّ)"[42]، وكان الدكتور مدكور قد ذكر في موضع سابق أن "الخليل يفرق بين (**التضعيف**) مثل (صلّ) و(**المضاعف**) مثل (صلصلة)"[43]، ولاحظ هنا أيضا أن مصطلح (**مُضعّف**) غير (التضعيف)، فلم يرد عن الخليل مصطلح "المضعف" إنما ورد "التضعيف" مركبا بالإضافة في قوله: "والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي **المثقل بحرفي التضعيف**، ومن الثلاثي المعتل"[44].

---

(39) السابق، 1/ 56.

(40) السابق، 1/ 57.

(41) السابق، 1/ 56.

(42) د. عمرو محمد فرج مدكور 2011: مرجع سابق، ص71.

(43) السابق ص59.

(44) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 1/ 56.

ولاحظ في السياق الأخير مصطلح (**المثقل**) الذي ورد وصفا لبناء الثلاثي، إذ جعله الدكتور قدور أيضا ضمن المصطلحات الصوتية، ولم يثبته الدكتور اليعبودي لا في المصطلحات الصوتية ولا في الصرفية، وأثبت منه (**ثقل**) ضمن المصطلحات الصوتية بينما أثبت طلمون "ثقل واستثقل [صوتي]، وثقل [خلاف خفف في شكل الحروف]" ضمن عشرة مواضع من الكتاب لم أحص منها غير تسعة فقط، وكان طلمون قد أثبته في مواضع أخرى غير المقدمة، وأرجح أن هذا المصطلح ينتمي إلى أكثر من مجال واحد؛ فهو صوتي، وصرفي، وحكم من الأحكام المعيارية؛ كما يتضح من سياقاته التالية إذ ورد عن الخليل:

- الدعابة من المزاح والمضاحكة ... تقول يدعب دعبا إذا قال قولا يستملح. قال:

واستطربتْ ظُعنُهُم لمّا احزألّ بهم *** مع الضحى ناشطٌ من داعبات ددِ.

رواه الخليل بالباء ... ويروى: داعب ددد، يجعله نعتا للداعب ويكسعه بدال ثالثة ليتم النعت ... **فإذا اشتقوا منه فعلا** أدخلوا بين الدالين همزة **لتستمر طريقة الفعل، ولئلا تثقل الدالات إذا اجتمعن** .... وإنما حكى جرسا يشبه ببب **فلم يستقم في التصريف** إلا كذلك"[45].

- في تعريف اللفيف قال الخليل: أن تلف الحرف بالحرف أي تدغم، لأن العي أصله العوي، **فاستثقلوا** إظهار الواو مع الياء المتحركة فحولوها ياء وأدغموها فيها[46].

- الحُزْن والحَزَن لغتان إذا **ثقلوا فتحوا** وإذا ضمُوا خففوا يقال: أصابه حَزَن شديد وحُزْن شديد، ويقال حَزَنني الأمر [يَحْزُنُني فأنا محزون] وأحزنني [فأنا مُحْزَن وهو مُحزِن]، لغتان أيضا، ولا يقال: حازن[47].

---

(45) السابق، 2/ 51.

(46) السابق، 2/ 270.

(47) السابق، 3/ 160.

- وكل حرف أداة جعلت فيه ألفا ولاما صار اسما فقُوِّى **وثُقِّل**. وإذا جاءت الحروف اللينة في كلمة، مثل لو وأشباهها **ثُقِّلت**، لأن الحرف اللين خوار أجوف لابد له من حشو يقوى به إذا جعل اسما[48].

- وصارت الواو في يخاف ألفا لأنه على بناء عمِل يعمَل فألقوا الواو **استثقالا**[49].

- وحد تأليف الخاء مع الهمزة : (الأخ) وكان أصل تأليف بنائه على بناء فَعَلٌ بثلاث حركات، وكذلك (الأب) **فاستثقلوا** ذلك[50].

- وقرئ (ظِلتَ عليه، فمن فتح فالأصل فيه ظللت عليه، ولكن اللام حذفت **لثقل** التضعيف والكسر[51].

- العرب **تستثقل** التقاء همزتين في كلمة واحدة[52].

- لا يقال اؤمر ... إنما يقال: مر في الابتداء بالأمر، استثقالا للضمتين، فإذا تقدم قبل الكلام واو أو فاء قلت: وأمر[53].

ومعنى ما سبق أن مسرد الدكتور قدور يعاني من مشكلات في إحصاء المصطلحات، ومن تسجيل تعبيرات لا علاقة لها بمجال الأصوات مثل: "يفتح فاه [بالألف]" و"ذاقها [أي الحروف]".

## 5 - كشاف الاصطلاحات اللغوية الواردة في كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي

إذا كان محور اهتمام الدكتور قدور في مسرده هو المصطلحات الصوتية الواردة في مقدمة العين، باشتمالها حسب تقييمه على أغلب المصطلحات الصوتية

(48) السابق، 3/ 352.

(49) السابق، 4/ 312.

(50) السابق، 4/ 319.

(51) السابق، 8/ 149.

(52) السابق، 8/ 202.

(53) السابق، 8/ 297.

التأسيسية، فإن هدف هذا الكشاف يتمحور في جرد المصطلح اللغوي الخليلي على كافة المستويات، كما ذكرت سابقا؛ ولكن ما يلفت انتباهك أن الدكتور اليعبودي بدأه بالنص على أنه "سيجمع بين **المصطلحات النحوية ومسميات اللغة الواصفة لها**، نظرا لتزامن تأليف كتاب العين مع المراحل الأولى من نشأة النحو العربي التي تميزت بتأرجح المفهوم النحوي بين عدة تسميات،"(54) فيخيل إليك أنه مقتصر على هذا الصنف من المصطلحات دون غيره مثلما فعل "طلمون"، وربما يكون السبب وراء هذا متعلقا بقضية استقصائية شغلت صاحبه، هي العلاقة بين المصطلح الخليلي وتطوره في ثنايا كتاب سيبويه، فعاد في تقديمه إلى القول مرة ثانية بأن جرد هذه المصطلحات "حجة على مدى تطور علم النحو ومصطلحاته خلال عصر الخليل ... خصوصا إذا علمنا أن تدوينه تم قبل تصنيف كتاب سيبويه، مما يجعل أثر الخليل شاهدا على طبيعة المصطلح اللغوي في مرحلة من مراحل العربية اتسمت بضياع مجمع تصانيف النحو واللغة"(55)، وهذا كلام مقبول أضيف إليه كلام الدكتور حسن حمزة من أن "وجود مصطلح ما في التراث النحوي العربي عند متقدمي النحاة ومتأخريهم لا يعني بالضرورة أن المفهوم الذي جاء هذا المصطلح تعبيرا عنه واحد عندهم"(56) وقوله: إن "ملاحقة تطور مصطلحات النحو العربي وغيرها من مصطلحات هذا التراث لا تكون برصد المصطلحات التي ماتت والمصطلحات التي ولدت فحسب، بل تكون برصد أثر هذا الموت وتلك الولادة على المصطلحات الباقية التي تبدو في ظاهرها كأنها ثابتة لا تغيير فيها"(57).

ومما يميز الكشاف الذي وضعه الدكتور اليعبودي اشتماله على العدد الأكبر من مصطلحات الخليل المرصودة، فقد جمع حوالي 568 مصطلحا إذا

(54) د. مجلة مصطلحيات، العدد العاشر، (فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية)، ص69.

(55) السابق، ص70.

(56) د. حسن حمزة 2006: في تطور المصطلح النحوي العربي، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الأول، (القاهرة: دار غريب) ص29.

(57) السابق، ص 28، 29.

استثنينا عدد المصطلحات الخاصة بالأبنية (185)، كما قام الدكتور اليعبودي بتوزيع هذه المصطلحات وتصنيفها ضمن المباحث الصوتية والصرفية والنحوية والبلاغية (الدلالية) ومصطلحات فقه اللغة والأحكام المعيارية، مرتبا إياها ترتيبا أبجديا.

على أية حال يبدو أن استقصاء جميع مواضع المصطلحات لم يكن من بين اهتمامات الدكتور اليعبودي، ذلك أنك تجد العمود الثالث من كشافه الخاص بالتوثيق يكتفي فقط بتسجيل موضع أو اثنين على الأكثر، وذلك بالنسبة إلى جميع المصطلحات؛ وتلاحظ أيضا أن بعض المصطلحات سجلت ضمن مواضع متأخرة من الكتاب، والأصل أنها وردت في مواضع متقدمة، فمصطلح "حيز" على سبيل المثال تم تسجيله مرة واحدة ضمن الصفحة 421 من المجلد الثامن رغم أنه ورد في المجلد الأول، وضمن مقدمة الكتاب في عدة من المواضع؛ وهناك أيضا تسجيل لمواضع لم ترد فيها المصطلحات، فالمصطلح "قياس" مثلا لم يرد في المجلد الأول ص 133.

من جهة أخرى قد يختصر الكشاف ألفاظ المصطلحات في مصطلح وحيد هو الأشهر والمألوف، ولا يوزع ألفاظه على مواضعها، ومثال هذا مصطلح "التخفيف" رقم 35 في المصطلحات الصوتية؛ إذ وردت ألفاظ هذا المصطلح على الصيغ (خفَّفَ، خُفِّف، مُخَفَّف، تخفيف)[58]، وورد أيضا بلفظ "يُخَفَّف"[59]. وكان من قبل قد أثبت الكشاف مصطلح "ألين" رقم 22، و"حرف ليّن" رقم 59، و"لينها" رقم 136، ولم يختصرها في مصطلح وحيد، ومن هنا فإن عدم التزام نسق واحد في تسجيل المصطلحات قد يؤدي إلى ضياع كثير منها.

ومما يضاف إلى ميزات عمل الدكتور اليعبودي أنه حاول بالفعل الفصل بين مصطلحات أقسام كشافه؛ فمصطلح "القياس" ورد ضمن المصطلحات الصرفية مشارا إلى موضعه بـ 55/1، وضمن المصطلحات النحوية بالموضع

(58) الخليل بن أحمد الفراهيدي: السابق، 6/ 296.

(59) السابق، 4/ 245.

143/1 من الكتاب، وهذا معناه أن العمل قام على محاولة الميز بين مفاهيم المصطلح الواحد اعتمادا على سياقاته، فالصرفي منهما ورد في قول الخليل: "ولو كان الهعخع من الحكاية لجاز في قياس بناء تأليف العرب"[60] وورد الثاني في قوله: "القواعد: أساس البيت، الواحدة (قاعد) وقياسه (قاعدة) بالهاء"[61]، وإن كان الموضع الأخير قد يتردد بين النحو والصرف.

## خاتمة

الحقيقة أن هذه الأعمال الثلاث كانت أمام عمل كبير - ككتاب العين - يحتاج تسجيل جميع مصطلحاته وسرد سياقاتها والتمييز بين مفاهيمها إلى تضافر جهود مؤسساتية؛ إذ لا يقوى عليه فرد أو اثنان، وبالتالي تمثل هذه الأعمال نواة لا بأس بها لعمل أكبر وأشمل لابد أن يستعان عليه ويتوسل إليه بما تقدمه التقانة الحديثة من سبل حوسبية وأدوات برنامجية، ولا أحسب هذه الورقة إلا مجرد تنبيه على أهمية مثل ذلك العمل الذي ربما يقوم على أساسه -ليس فقط بناء معجم تاريخي للمصطلحات اللغوية- بل عدد غير قليل من البحوث والدراسات المصطلحية، ليفتح آفاقا جديدة في قراءة التراث اللغوي العربي وتحليل مصادره بشكل دقيق.

(60) السابق، 1/ 55.

(61) السابق، 1/ 143.

## المصادر والمراجع

**الخليل بن أحمد الفراهيدي:**

**كتاب العين**، تحقيق د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال: سلسلة المعاجم والفهارس) بدون طبعة أو تاريخ.

**د. أحمد محمد قدور 2001:**

**اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي**، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر) الطبعة الأولى.

**- - - - - 2003 [1998]:**

**أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين**، (دمشق: دار الفكر) الطبعة الثانية.

**د. حسن حمزة 2006:**

**في تطور المصطلح النحوي العربي**، مجلة علوم اللغة، المجلد التاسع، العدد الأول، (القاهرة: دار غريب)، ص16: 36.

**د. خالد اليعبودي 2018:**

**كشاف الاصطلاحات اللغوية الواردة في كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي**، مجلة مصطلحيات، العدد العاشر، (فاس: مقاربات للنشر والصناعات الثقافية)، ص69: 108.

**رافي طلمون 1984:**

**التفكير النحوي قبل كتاب سيبويه - دراسة في تأريخ المصطلح النحوي العربي**، مجلة الكرمل: أبحاث في اللغة والأدب، العدد الخامس، ص37: 53.

**د. عمرو محمد فرج مدكور 2011:**

**المصطلح الصوتي في معجم العين للخليل بن أحمد،** مجلة علوم اللغة، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، (القاهرة: دار غريب)، ص9: 85.

**Gérard Troupeau 1976:**

Lexique-index du Kitab de Sibawayhi. Paris: Editions Klincksieck.

**Naphtali Kinberg 1996:**

A Lexicon of Al-Farra's Terminology in his Qur'an Commentary. E. J. Brill.

**Rafael Talmon 1997:**

Arabic Grammar in its Formative Age: Kitab al-'Ayn and its Attribution to Halil b. Ahmad. Brill.